٤٠٠

متر في القاهرة

رِوايَة

٤٠٠

متر في القاهرة

عبد النبي فرج

كلاما
للنشر والتوزيع

كلاما
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى 2022
جميع الحقوق محفوظة للناشر

ردمك: 978-9931-839-27-9
الإيداع القانوني: السداسي الأول جانفي 2022
صنف العمل: رواية
العنوان: ٤٠٠ متر في القاهرة
المؤلف: عبد النبي فرج
التصفيف: دادة سالمة
تصميم الغلاف:

كلاما للنشر والتوزيع
التحصيص الاجتماعي ٢ بلدية هواري بومدين ولاية قالمة
kalamaedition@hotmail.com
Tél/Fax : 037241119

الآراء الواردة في الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

إهداء

إلى كل

جوليو ريجينى في العالم

كلمات مأثورة

لن يحاكم ضابط قتل مواطن بخرطوش أوغاز.

-على لسان "الأزرق"-

مات وكأنه مصري

-أم جوليو ريجيني-

المال يحررك مادامت الحرية عقيدة ثابتة لديك غير ذلك ستستمر تبحث عن سيد حتى وأنت على حافة القبر.

-ع ف-

الشاب الإيطالي

تلقيت ضربةً قاتلة على العنق، سقطتُ على الأرضية الخرسانية ممدًا، لا قدرة لي على الحركة مجرد جثة لا أشعر بشيء بقعةُ دماء تتسع نتيجةَ نزيف من الرأس ودوار خفيف وصور تتابع خاطفةً، وجوه متعددة، شرائح ضوء تظهر ثم تختفي، جسمي يتبخر منه الدفء، صقيع يجتاحني لا أحتاج من العالم الآن سوى حضنٍ قوي لأم أو حبيبة أو شقيقة.

لقد عرفت أخيرا أن هناك مناطقَ مظلمة من العالم بشكلٍ فظيع ينتج صورًا سريالية جزارًا يمسك بلطة، رؤوسًا تطير في الهواء، أذرعًا تتفكك من أجسادها، وتبحر في الفضاء، أقدامًا تنتزع وتسير مع الريح، أطفالًا تمسك سيوفًا وتبقر بطونَ نساء، أزهارًا بيضاء تفرز سائلًا يشبه القيح.

أجسادٌ متفسخة ذاتُ رائحة عفنة، وأنا مشدود بين عالَمين بنفس المسافة ولا أعرف هل لي القدرةُ على تقرير مصيري أم سأنجرف مع الريح.

مقاومتي تضاءلت، ولكن أبذل جهدًا خارقًا للصمود، لا أريد لأجلاف أن ينتصروا، لم أعد أرى جيدًا لذلك لم يعد أمامي حاسة لأطل منها على الفضاء، انطفأت الواحدة وراء الأخرى سوى حاسة الشم، نعم تدفق الروائح داخلي آمُلُ أن تمدني بطاقة لبث الدفء داخل روحي المنهكة.

أخذتُ أُركز وأتشمم روائح الجدار القريب، هناك روائح لأجساد آدمية، أنفاس مقهورة رائحةُ موتٍ قويةٌ تزكم أنفي، أتجاهل ذلك محاولًا تجاوز الجدران حيث الخلاء، لعل هناك شجرة كافور مزروعة يفوح منها عطرٌ، أو أعوادُ نعناعٍ بري، لم ينتبه إليها أحدٌ، هناك ندرة في الهواء هنا، مما يجعلني غير قادر على الاستمرار، لديّ رغبةٌ بالالتصاق بالجدار، قوتي

استُنزفت، هناك نهار في الخارج يُخايِلني، تتري أمامي شمس وبحار وأنهار وجبال وحدائق.

النزيف توقف، الدم جف تحت رأسي، لعل هناك فرصة أخرى، ما زلت لدي رغبة.

محتجز داخل حجرة قذرة سيئة التهوية، ذات إضاءة شاحبة، وسقف خرساني غير مطلي، أخذت أستعيد ما حدث معي، لم أنس شيئًا كل شيء نقش داخلي، فُتح الباب، سقط على وجهي ضوء، ضوء ضعيف ولكنه شفاف لا يشبه الأنوار الاصطناعية، ودخل عليّ رجالٌ بوجوه بيضاء لا هوية لهم يرتدون ملابس من الكتان والتفوا حولي، ثم تقدم اثنان وبجوارهم اثنان آخران وأخذوا ينزعون عني ملابسي، انزعجت وقلت: لم أفعل شيئًا!

أنا مجرد طفلٍ هادئ قالوا: لماذا ترتجف؟ لن يحدث شيء، ثم وضعوني على محفة ورفعوني، وخرجوا بي من المقبرة التي كنت محشورًا داخلها، كان النهار أكثرَ إشراقًا مما تحتمل عيناي، لذلك لم أر سوى فضاء أبيض ناصع وصمت، أتلفتُ لعلي أجد أثرًا للطريق الذي نسير فيه، أُحدق بقوة لأتبين معالم ولكني أُصبت بصداع رهيبٍ، وأصبحتُ غيرَ قادر على الرؤية، أغمضْتُ عيني فقد كانت تؤلمني بقسوة، ثم مررت بيدي على رموشي، كانت منتوفةً، تحسستُ حواجبي، كانت ملساء قلت: لا يهم كل ذلك، المهم أنني خرجت من الحفرة التي سقطتُ فيها، وبعد فترة أتعود على الوضع.

مَضَوْا بي مدة لم أدرك مداها ثم توقفوا، فتحت عينيا ببطء، وجدتني أمام شاطئ لنهر يبدو مثل النيل فضي وساكن تمامًا لا موج له، كأنه سجادة فارسية عليها رسوماتٌ ولكنها نائية، لم أدرك تفاصيلها لصغر حجمها، هناك حركة وكأنهم نحلٌ داخل خليةٍ، أيُّ نهر هذا؟ جغرافيًّا المكان غير مألوف، أخذتُ أتفحص ملامحَ النهر لعلي أتيقن شيئا، لو لدي الحاسوب لكنت بحثتُ عنه على الإنترنت قلت: ربما يكون منتجعًا استشفائيًّا مخصصًا لكبار الأثرياء في العالم ليطببوا جراحي الغائرة بعدما اكتشفوا أنني بريءٌ، لذلك سكن بالي.

الرجال الذين لم أرهم ظلوا يحملونني وتعاملوا معي برقة، فلم أشعر بأي مضايقة وكان المحفة يحملها الضباب، وهذا أيضًا حسنٌ.

جاء قارب صغير ومددوني داخله، القارب مبطن بقش أرز، سرّب إليّ قليلاً من الدفء، ثم دفعوني داخل النهر الذي أخذ يهتز اهتزازًا خفيفًا، فخفتْ آلام جسدي التي كنت أشعر بها، وهذا حسن مهما كانت النتائج، فما حدث شنيعًا ولا أعتقد أن المسيح نال ما نلتُ من تعذيب، لقد انتزعوا أظافري، هل قاموا بانتزاع أظافر يديه وقدميه بآلة بدائية؟

ليس عدلا أن أتعرض لأذى أكثرَ قسوةً من المسيح دون لمسة عزاء، دون يد الله لتطبب روحي المنهكة، لم يدعمني أحدٌ، ما فائدة الإله إن لم يأخذ بيدي في تلك اللحظة؟ ويمرر بيده على جروحي الغائرة الآن.

ناقمًا، أحاول أن أجد مبررًا واحدًا يجعلني أتقبل أن أكون حقل تجارب لمجموعة من القتلة، ولكن لا شيء، هل أكون أنا أيضًا "حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي جئت لأَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ"

هل عليّ أن أُذعن وأتقبل ذلك أيضاً؟

هل هذا التكرار الأبدي الفظيع يفيد البشرية في شيء؟

هل الرب منحازٌ لمجموعة من القتلة المهوسين، الوشاة والسفاحين اللصوص وقطاع الطرق، لكي يدفع ببريءٍ غرٍّ أحمق للتهلكة لكي يرفع خطايا؟ أي خطايا؟ أي بؤس؟

أنا إنسان بسيطٌ –أيها الرب– وصغيرٌ ولم أنضج بعد، لماذا لا تقدم لي دلالةً واحدةً على جدوى هذا النظام الكوني الذي لا يتقبله عقلٌ ولا حواسٌّ، أنا من عُذِّب وليس أحد آخر، لماذا لا ترسل عشرات الملايين بجلود سميكة لكي يتدرب هؤلاء القتلةُ المهوسون فيهم؟ لماذا لا تفتح كوة في قلب هذه الجدران تنير هذه الأرواح المظلمة بدلًا من هذا الصمت العنيف، المُتواطئ، لقد أرغمتني على الفداء، ولن أتقبل أبداً أبداً ذلك تحت أي مسمى مهما كان، هل عليّ أن أذعن وأتقبل ذلك أيضا، هل هذا التكرار الأبدي الفظيع لصخرة سيزيف التى نحملها ونصعد بها الجبل لتسقط وفي عودتها تسحقنا لننبت من جديد ونصعد بها لتكرر سحقنا دون أن يكون لنا القدرة لا على إيقاف دورة الصخرة ولا الفناء الأبدي.

في قاع القارب، وأرى النهر بمياهه المظلمة واتساعه الخرافي والقارب يتجه لمرساه محددا ولكن بعيدة، وهناك صخرتين عملاقتين تظهر وسطهما مجموعة من الأشجار بدت أشبه ما يكون بأشباح عملاقة تحرس المكان، النهر ساحة كبيرة جدا مغمور ببشر مطاردة، ورد النيل الأخضر بأوراقه العريضة ينبثق منه رؤوس جنود، هناك أرنب في صورة الجنرال الأزرق يلتهم ضحاياه ويسحقها، ثم يمضغها ويتقيؤها، الناس تجري هنا وهناك، ولكن تجمعاً كبيرا من الحيوانات والزواحف سحالي، ضفادع، بوم، أفاع، تخطفهم وتلقي بهم أمام الجنرال، وحوش كابوسية ومخلوقات شيطانية تتطاير في الفضاء كتل سحب نارية تمور في الفضاء، شياطين وعفاريت وجنيّات، وأم عشوش، وبنات بأثداء حديد، هناك نار على الجانب الآخر من الشاطئ تلتهم الغاب الذي ينبت على الشاطئ، حيتان تطل برأسها من الماء تدور حولي، وانْتَبَهْتُ لهذا العالم المحيط بي، لقد رأيته قبل ذلك لم يكن أبدا واقعاً معاشاً، بل هذا العالم مصطنع، العالم يبتعد عني وأرى نفسي أعوم في فضاء هش جدا، فقاعة هائلة ولدي رغبة في النوم وأعرف المصير الحتمي في نومي، مماتي لذلك أنا أقاوم بقوةً وصلابة كي لا أسقط في البئر.

نعم بدأت أتذكر رغم الإعياء، أنا مجرد شخصية داخل لوحة فنية، رأيتها منذ فترة في واحد من المتاحف التي زرتها في إيطاليا ربما هولاندا ممكن بريطانيا، نعم أنا عالق في نسيج لوحة هيرونيموس بوش، "**حديقة المسرات الدنيوية**": مغروساً داخل الجزء الأوسط حيث الجحيم مجسدا، هناك غربة أعيشها وأنا على الحافة كيف وصلت إلى هنا، وكيف تتحول رسومات لشخص عاش قبل قرنين إلى واقع فعلي معاش، يبدو أنني واقع تحت تأثير قوة سحرية ولا قدرة لدي للخروج منها، ولا رغبة إلا لو كانت عودة لأنتقم من العالم من كل الوجوه القبيحة التي استنزفتني قطرةً قطرة، تتجسد أمامي اللوحة بكل تفاصيلها حيث الشر يسود العالم، رياح خفيفة تدفع القارب في وجهه محددة دون مجداف، جثث تطفوا على سطح الماء لم يزعجني ذلك جثث ممزقة وجثث محيطة بخيط رديء جثث تتقلب في المياه، كنت أشعر ناحيتها بالحب بالشفقة، سماء بعيدة نائية تحتشد بسحب رمادية،

وتنانين مخيفة تتشكل جعلتني أغمض عيني لكي أحتفظ بطمأنينة داخلية حصلتها أخيرا، فلأول مرة منذ فترة طويلة يزول الخوف مني الخوف الذي يقتلع القلب الخوف المدمر المنهك مع كل لحظة تمّر فهناك شياطين علوية تمدهم بخيال شيطاني فائق القوة سوبر شيطاني جعل الموت بالنسبة لي حلما، أمنية أخيرة من الرب ليتدخل وينقذني ليس من الموت ولكن من الحياة.

أعتقد أنني نلت بعضا مما أردت فلم أعد خائفاً أو قلقاً من القادم لم يعد مجديا لن يحدث شيء أكثر من ذلك حتى الكوابيس العتيقة التي ربيتها داخلي ضمرت وأصبحت تستحق الرثاء، بودي أن أضحك من كل الخيالات المرعبة التي ظلت طوال حياتي تؤرقني تحد من حريتي وتجعلني طوال الوقت داخل محارة وفي الوقت الذي أخرج منها وأغامر في قلب الحياة . يتم نصب شركٍ بهذا الشكل المهين دون أي أمل في النجاة.

ذاكرتي أشرقت وحياتي أمام عيني تترى، لم أندم مازلت فخورا بي وحتى نهايتي تمثل إنجازا استطعت اجتيازه بشرف واستقامة أغادر وذاكرتي معلقة بالحياة برغباتي التافهة، حلمي الضائع صدفة، باولا وكلوديو ومارين، الطعام الشهي، الشوارع الصاخبة، النساء الجميلات، نداءات الباعة، اللوحات الفنية، الكتب التي لم أستطع حملها لتؤنس وحدتي، السينما، الزهور، البحار، الشمس، ولكنها داخلي أعرف ذلك الكلام أردد بشفاه مقطوعة جملا وأشعاراً أتذكرها عن الحب والحرية والعدالة والموت والشقاء أيضا، أبحث عن حروف اللغة العربية لا أعثر عليها داخلي، لقد تبخرت امتصتها الجدران السوداء والسقوف البشعة ولو وجدت حرفا تعثرت فيه كل الكلمات التي حفظتها والحكايات التي سمعتها من أفواه تنطق بها ضائعة مني في أقبية المعتقلات.

هذا المكان معتم ولم يدخله إلا صرخات الضحايا أكثر ما أحتاج الآن أن أسمع الموسيقى.

هناك أثر يتردد داخلي لصوت كريس مارتن وفرقة كولد بلاي:

سأشتري هذا المكان وأحرقه.

سأدفنه تحت سابع أرض.

قال: سأشتري هذا المكان وأشاهده ينهار..

قف هنا بجانبي تحت جدرانه المتهدمة...

أوه سأشتري هذا المكان وأشعله نارا،

فلتقف هنا أملأ قلبك أشواقا، فأنا سأشتري هذا المكان وأشاهده يحترق.

قال: سأشتري سلاحا وأبدأ الحرب

إن قلت لي ما الذي يستحق أن أقاتل لأجله

أوه سأشتري هذا المكان، هذا ما قلته أنا، فلتلم اندفاعي وطيشي.. عزيزي.

لترى كيف أنهار وأقع على وجهي.

قال: سأشتري هذا المكان وأشاهده يذهب..

قف هنا بجانبي، ولتشاهد الوهج البرتقالي..

أبحث داخلي عن موسيقى البلوز والجاز، والروك والشعبية، والكلاسيك بيتهوفن، باخ، هاندل، ريخمانينوف، برامز وشوبيرت، ليست، شومان، الكونشرتو والسيمفونية، والسوناتا، الفصول الأربعة، تشايكوفسكي، والمسرحيات الموسيقية، أريد أن أموت وآخر شيء أسمعه كونشرتو" قداس الموت" لموزارت، هذا العظيم الذي وزع روحه على نغمات سرب دماءه مع الأوتار، المريض الذي تنطفيء حياته ورغم ذلك يظل مفعم بالقوة والحيوية ويشيد مرثية عظيمة خالدة تضطرم بضفيرة معقدة من الصخب والعنف الذي يرافق الأبدية الجوقة وأصواتها الرهيبة، صرخات الرعب والاستسلام الحزين الرومانسي الجليل، كل شيء يرتجف من القلق والحمى و نفاذ الصبر يجب ألا أموت وحدي في الظلام منفيا منبوذا، يجب أن أسحب الموسيقي لنعبر معا أرض المعركة، ليس عدلاً أن أنفذ من الكوة وحدي بجراحي لا صوت فقط الصمت والظلام والغبن والأسى.

أحتاج لأن ألقى مجرد ضوء بسيط يسحبني معه زقزقة عصفور يقف على نافذة السجن ساعتها سأسلم يدي وأخطو معه في قلب الظلام، لعل هناك حياة أخرى نقيض ما نحن

فيه لعل هناك ما يجعلني أسخر من تشبثي بالحياة وأن ما من شيء يضاهي الحياة الأخرى، قضيت طوال عمري والحياة الأخرى تمثل لي من وجهة نظري مجرد وهم كبير عزاء للاستمرار، ولكن الآن أتوق فعلا لحياة وموسيقي وفنون أخرى، لم أتشبع منها بعدُ هناك خط ما لا أريده أن يتمدد للحياة الأخرى، أريد أن يرفع الستار عن عالم خال من القبح الدمامة الخراتيت والضباع.

عندما يصل بي القارب لمبتغاه سيكون لدي وقت للكلام عن أشياء خرست عن قولها، لن يكون إنسانا سأختار شجرة حيوانا طيرا حبة رمل للمياه، حشرة أسرد فيها عن وجودي الخطأ في الوقت والمكان الخطأ عن التعثر عن القدر، الصداقة والحب والحنين عن الجلافة والأوغاد والخسة الضياع الخيانة والسلطة الإجرامية التي تمسخ البشر وتشوههم عن أغوار الذات والتفاخر عن الخديعة والسذاجة عن إرث الطعنات الغادرة الضارب في القدم عن الموت المؤذي بطيء شديد القسوة "أشعر أن الحب يموت بداخلي ويموت كعصفور" صلاح ستيتية.

نعم يتطرق إلى ذهني التماعات وذكريات خاطفة تتناول نصوص شعرية ولوحات تشكيلية، مشاهد سينمائية، أول قبلة لفتاة مارين الجميلة، شقيقتي وذكريات الطفولة حيث البراءة والحماس والرغبة في تغيير العالم نعم تغيير العالم كان لدي يقين لا يهتز أني لدي قدرة على أحداث زلزال سياسي في أوربا ليس من خلال أبحاثي ولا من خلال كتابة أجمل قصائد الحب لم أكن أحلم أن أكون قائدا سياسياً راديكالي وأقوم بعمل انقلاب ثوري اشتراكي ينحاز للفقراء لم أكن أعرف أن الحياة قصيرة جدا، وأنها محض جنون.

(٢)

في الليلة الأخيرة قبل انتقالي رأيتني وحدي أقف علي شاطئ البحر، الشمس اختفت تحت ركاماً ثقيلاً من الغيوم الكثيفة، مناخاً رمادياً قاتماً ورغم ذلك كانت المياه بيضاء والرمل يتألق بضياء مبهر أخذت أنظر لا أعرف هل بحثاً عن أسماك أم تأمل الرمال والأصداف ثم ارتفعت المياه وعلا الموج فجأة فانتبهت لنفسي وأخذت أنظر حوالي، القارب أبتعد عن الشاطئ بسرعة تدفق المياه، شعرت بالوحشة أخذت أتحرك بقوة ولكن الماء يهدر ويضرب الصخور ثم يسحبني داخل جوف البحر، نظرت وجدت على سطح المياه رؤوس بقر وجواميس وكائن أسود عبارة عن كتلة سوداء يفتح فاه ليلتهمني، انزعجت جدا وأخذت أجذف بقوة ولكن القارب يستعصي ويندفع تجاه الفوه السوداء ثم جاء إعصار قوي فارتطمت بالصخور دخلت في إغماءه جسدي يطفو على الماء وأتوسد حجر، أفقت حاولت صعود الشاطئ الصخري ولكن كلما صعدت الدرج قدمي تنزلق، كلما صعدت لفح وجهي الهواء، انتبهت أن هذا ليس واقعاً معاشاً ولكنه حلم لا كابوس، نعم كابوس مشؤم يطاردني في مناماتي، أخذت أردد سأوقظ نفسي من هذا الكابوس اللعين وفعلاً قمت، أتلفت حولي لم أجد أحد فقط ظلام قاتم لا كوة ضوء تنير المكان حاولت أن أتحسس الجروح الذي بدت تلتئم لأنها تضايقني وأريد أن أقشرها، ولكن كنت مقيدا من الخلف داخلي حلم أن يضموني لأي مجوعة من المعتقلين السياسيين وبعد فترة تعذيب مميتة تلقيتها داخل المبني المرعب جاءني فرد الأمن وقال:

أخلع ملابسك!

خلعت ملابسي وبقيت بالسليب، ففتح خرطوم المياه ووجهه ناحيتي كان الماء ثلجيا وكاد قلبي يتوقف من الصدمة ولكن تماسكت وإن كنت غير قادر على السيطرة على

رعشة جسمي وأعرف أنه لن يمر وقت إلا وقد مرضت بالتهاب رئوي أو انفلونزا شديدة والحقيقة كنت آمل أن أقع مريضا حتى يشفقون عليّ ويعفون عني أو يدخلوني مستشفى أنعم فيها بالدفء والاهتمام، رمي لي قطع الملابس لم تكن ملابسي وخفت أن أقول له ذلك يعتدي علي، فهؤلاء الوحوش لاعقل لهم، لذلك أسهل طريقة للتفاهم الضرب العشوائي، أي مساحة من الجسم متاحة لهم، حاولت أن أرتدي الملابس ولكنها ضيقة عليّ، نظرت إليه، فتغير وجهه وتحول لمسخ بشري فلم أجد حلا إلا ارتدائها.

حشرت نفسي داخلها وعندما تحركت شعرت أني مقيد وأنني مثل فتاة صينية تخضع لتقليد طي الأقدام ولكن شعرت بالدفء وبدأت أنتعش قليلاً وتسلل لي أمل أن يكون هناك أمر بالعفو عني فزاد نشاطي، كنت أريد أن أجد طريقة للتودد لفرد الأمن لذلك اقتربت منه وقلت: أرجوك أخبرني، هناك قرار بالعفو عني؟ فهاج وتكلم بلغة لم أفهمها جيدا فكانت العامية التي يستخدمها غريبة عن أذني ولكن فهمت أنه يسبني فصمت وندمت على أني آثرته، ثم وقفت أنتظر أن يتكلم أخذ ينظر إلي وقال تعالى، سرت وراءه في ممر طويل لم أكن قادرا على السير بطريقة طبيعية بسبب ضيق البنطلون

أبذل أقصى جهد كي ألحق به.

أصوات أقدامنا تصدر صوت مزعجاً يخدش الصمت الرهيب الذي يغلف المكان ولا أعرف لماذا كنت خائفا فعلاً من صوت أقدامي لذلك أردت أن أخلع الحذاء وأسير حافياً متأكداً أنني سأنتقل من المكان وأنهم لو يريدون مضاعفة الأذى ما كنت خرجت من بيت الرعب، نعم هي إشارة علامة مضيئة سيتم عرضي على المحقق وأخذت أرتب كل كلمة لكي أقنعه إنني لا أمثل أي خطر وإنني أحب مصر فعلا، وله أن يتم ترحيلي وسأقسم له أنني لن أذكر أي شيئا مما حدث معي حتى لو لم يقتنع على الأقل أرى الشارع وأختلط بالناس.

ركبنا الأسانسير وصعدنا للدور الخامس ثم سار وأنا وراءه حتى فتح حجرة ودخل إليها، تأخرت قليلاً فزعق في وجهي كي أدخل عندما دخلت وجدتها غرفة شبيهةً بالغرفة

التي كنت محجوزا داخلها، جدرانها مبطنة بعازلٍ للصوت والشبابيك أيضا، وقفت على الباب فقال لي تعال يا حمار، عندما سبني افتعلت ابتسامة، كان فرد الأمن يستند على الحائط ويدخن السيجارة يشرب بتلذذ ساهماً أردت أن أطلب واحدة لنفسي ولكن لم تستطع الكلمة الخروج من حلقي.

اقتربت من الرجل النائم وفتح كيس من الخيش وقال: شيل وعرفت أنه يريد أن يضع الرجل في الكيس، استغربت فقد تصورته مريضاً ولأنه كان نحيفاً جدا، ملت عليه وعندما رفعته وأصبح وجهي مقابل وجهه ورأيت عينيه ميتة ووجهه متصلباً وفمه مفتوحاً متخشباً عرفت أن الرجل ميتاً، رميته وصرخت من هول الرعب وجريت هربا للخارج، فوضع يده على الباب حتي يمنعني من الخروج، أخذت أدور في الحجرة وأنا أتوسل إليه أن يتركني أخرج ولكنه كان مصراً "**أن أشيل الرجل**" وعندما رفضت أخذ يعتدي علي بالضرب فأذعنت في النهاية فقال: أنتم كده بشر زبالة لا ينفع معكم تحضر أو أدب أتعامل معك بهدوء تتمرد، أضربك تقوم بالمطلوب منك على أكمل وجه أنتم بشر وسخة تستاهل الحرق، اقتربت من الجثة وأنا أرتعش ثم وضعناها في الكيس الخيش ثم حملتها على كتفي، لم تكن الجثة ثقيلة ولكن تجمدها على وضع رحمى جعل حمله ليس بالأمر السهل لذلك كنت أغير وضعه من كتفي اليمين لكتفي اليسار ثم احتضنه على صدري ومن خلال هذا الوضع شعرت بالراحة وبقليل من الطمأنينة، كنت أفكر فى حياة الرجل الميت هل هو ناشط سياسي، لديه أسرة، هل يبحثون عنه ولديهم أمل أن يجدونه، كل شيء غير مؤكد ولكن المؤكد فعلاً أنه مات لأنه لديه حلم، لديه رغبة وأمل.

سار وأنا وراءه، دخلنا الأسانسير ومنه إلى الجراج ففتح حقيبة السيارة وتناول مني الجثة وقذف بها في الحقيبة كأنه يرمي كيس من النفايات وعرفت أن هذا الرجل معارضا للنظام وأنه تم نسيانه داخل الحجرة حتى مات من الجوع والصقيع، كدت أجن كيف يمكن نسيان معتقل ليموت ببطئ ووحشية لا مثيل لها، وقد تبلورت داخلي فكرة كنت آمل بعد خروجي من المعتقل أن أتبعها وهي جذور الشر داخل الإنسان من خلال

الأعمال الفنية والأدبية والسينما والفلسفة، هل الشر فطري داخل البشر أم مكتسب من المجتمع؟ هل الجهل والعزلة وعدم الاهتمام هم الدافع القوي، أم الموضوع يقع داخل الرأس لعطب مادي يمكن علاجه من خلال أدوية، أو تدخل جراحي تجعله يتوقف عن فعل الشر ويعيش إنساناً سويا في المجتمع؟

أسئلة كثيرة، تتدافع داخل ذهني حتى نسيت وجود فرد الأمن والسائق الذي يقف مستندا على السيارة ويدخن في تفاخر، الجراج أكثر صقيعا، والهواء يعصف بالبدن في قسوة.

ركبنا أخيرا السيارة وخرجت بنا إلى الشارع، نزلت دموع من عيني بصورة مفاجئة عندما رأيت الشارع، كنت مذهولاً وتحول كياني كله إلى عين، عين كبيرة تحدق في السماء، التي تنطفئ نجومها ويتسلل ضوء خافت شفيف يزيح ركام الظلام داخلي يرقص وأنا أرى الأشجار والبنايات ومحلات السوبر ماركت والسيارات القليلة التي تمرق بسرعة، آه لو مندوب الأمن يتوقف عند أي كافيه لنتناول قدح من القهوة العالم عندي الآن محصور في قدح قهوة وسيجارة دخان أو حجر معسل، لا أعرف إلى أين نحن ذاهبون، وتذكرت جثة المواطن وتبخرت لدي شحنة التفاؤل.

كنت منتبهاً أشد الانتباه لأجد أي مواطن يسير في الطريق لكي أصرخ مستنجدا به، ولكن سرعة السيارة الجنونية جعلت استغاثتي عديمة الجدوى، وعندما أبطأ السائق السرعة وجدت رجلا ينظر إلى وجهي، مواطن مصري بسيط يحمل في يده إفطار من خبز وقراطيس طعمية وأكياس فول وجهه مدور وعلى رأسه طاقية بيضاء، صرخت مستنجدا فأخذ فرد الأمن يضربني ومؤكد أن الرجل رآني فعلاً لقد التقت نظراتنا لمحة، ولكن كانت كافية ليعرف صورتي تم لصق فمي بلاصق وفرد الأمن أخذ يسب طوال الطريق، ويضرب بكوعه في جانبي كنت أحلم، نعم أحلم بالحرية التي لم أعرف قيمتها إلا الآن كنت أتوق لها، أتوق للعودة لحياتي القديمة لأحقق لنفسي أحلاما كانت بالنسبة لي هامشية، أحلام تتألق أمامي تمثل لي جوهر الوجود، أن استمتع بالحياة وأتزوج ويكون لي طفل من الحب

الذي أشتاق إليه، ملامحها تتشكل أمامي، صوتها، جسدها المتألق الحر، سأجعلها تعلمني الرقص، نعم الرقص حرية وبهجة وسحر، سأرقص تحت ضوء القمر، هذه ليست رومانسية ولكن حاجة وجودية.

دخلنا في طريق صحراوي وبعد مدة بسيطة توقفت السيارة عن السير، تركني وأخرج حديدة من حقيبة السيارة وفتح غطاء للصرف الصحي ثم عاد وحمل الرجل وأسقطه في مواسير الصرف الصحي، ثم أغلق مرة ثانية بوابة الصرف وأعاد وضع الحديدة الطويلة في حقيبة السيارة وركب جواري يلهث ووجهه ممتقع ثم تحركت السيارة إلى أن وصلنا لمكان منعزل في الصحراء، قفر ليس هناك أشجار فقط بعض المباني القليلة وسياج من السلك الشائك، تقدم من البوابة فرد الأمن وناول حارس البوابة كارت فسمح له بالدخول، بقيت في السيارة فترة حتى جاء بعض الجنود واستلموني منهم، تم وضع القيد الحديدي في يدي وسحبين سرنا حتي وصلنا لحجرة في مكان بعيد عن المباني وتم دفعي داخلها.

كانت الشمس قد ارتفعت في السماء وقد شعرت بالدفء ولكني كنت جائعا جدا، كنت أتضور جوعا، فأخذت أدقّ الباب حتى جاء الحارس فقلت له إني جائع فتركني وبعد فترة عاد ومعه فول وخبز أسمر وجبن نيستو وزبادي، أكلت وكانت أشهى وجبة طعام كنت أتلذذ وأنا أمضغ الطعام وعندما انتهيت استغرقت في النوم من التعب، ورأيت نفسي في الشارع أقف محاصرا بين بعض الباعة الجائلين وكان النقيب يمد يده إليّ ويقول: تعال لا تخف أنت في حمايتي بعد الله، لن يمسّك أحد من أولاد الشوارع قلت له: ولكن أولاد الشوارع لم يؤذوني بشيء، تقدم مني وقال: لماذا تبدو عصبياً؟ خليك لين كي لا تكسر.

كان غاضباً ويريدني معه وأنا حائر لا أعرف ماذا أفعل وقد توقف ذهني عن العمل فتقدم مني وشدني بقوة فوجدت نفسي أسقط في هوة بلا آخر وأنا أصرخ لا، لا.

قمت من النوم أنظر حولي لم يكن أحد كان الصمت وحده هو العالم وتساءلت لماذا يطاردني النقيب وماذا فعلت له حتى يقوم بتسليمي؟ لم يكن لديّ خيار، لا تفهم الدوافع

التي تجعله هو أو أصدقائي يقومون بالوشاية بي للشرطة.

كنت آمل أن يقوم واحد منهم بغرس سكين في جنبي ولا يتركني ليقتات عليّ مصاص الدماء عدة أيام، يتناوبون عليّ، هل كانوا يريدون أن يجاملوا السلطة على حسابي، أم مجرد الخوف الذي زرعته الدكتاتورية الفاشية جعلتهم في حالة ذعر وعدم قدرة على التفكير، الأمر محير ويجعلني أكاد أجن فعلا لكن عليّ تحمل جزء كبيرا مما حدث لي، فثقتي الزائفة في حماية بلادي لي جعلني أتحرك برعونة وسط أوباش وسفلة، اعتبرت جواز سفري جدارا صلبا وواقعي فولاذي ضد الطغاة ولم أكن أعرف مدى وحشية النظام، كنت في النهاية مجرد أحمق داخل وسط يجمل الواقع يعقم الأخبار، صحيح الكل يعرف أن هناك تعذيبا، ولكن أن تضع قدمك في الجحيم شيء آخر تماماً، كل شيء كان طبيعيا، طبيعيا جدا بالنسبة لنا بشكل زائف واتضح أنني سانتياجو بطل رواية "**وقائع موت معلن**" فالكل في المدينة يعرف أنه سيقضي عليّ.

الباعة المتجولون المخبرون أصدقائي في المنزل ممن اعتبرتهم أشقاء في الحياة، الذين عشت معهم شهورا، نفترش الشارع ونأكل كشري وفول وفلافل وبتنجان ومخلل وكبدة وسجق وكوارع، هربنا من الشرطة عرفت العم زين بائع الملابس الريفي الطيب الذي يأتي يوميا من واحدة من قرى مركز الصف ليظل يدور طوال النهار في الميدان دون أن يأبه بالحر أو الصقيع الذي جلست معه ساعات على الرصيف نشرب الشاي ونأكل ونتناول طبق الكشري ويحكي لي عن الظروف الصعبة حيث عاش في السعودية فترة طويلة وعاد ومعه أموالا كثيرة، وتصور أنه سيعيش باقي حياته مرتاحاً، ولكن شراء بيت مستقل وزواج ابنه البكر بلع كل الفلوس ولم يعد في بيته جنيه، والولد المتزوج دخله بالكاد يكفيه هو وزوجته وابنه الصغير، لذلك لم يجد طريقاً آخر سوى النزول للشارع، الملابس على كتفه استلمها بالأجل وقد وقع شيكاً على بياض للتاجر، حتى يلتزم وله الشكر، وأقسم أن ما يكسبه لا يكفي إلا الأشياء الضرورية من طعام وفواتير النور والمياه ومصاريف الأولاد في

الإعدادي والثانوي وابنته في الجامعة.

عرّفني عبدو على عم فتح الله، وقد التقيته في مدخل التوفيقة حيث يقف بعربة خشب لها يد وأربع عجلات يدفعها أمامه عندما يهبط على المكان ضباط البلدية.

يبيع عليها اللب والسوداني والحمص والعسلية، النوجا ويقف بجواره أصغر أبنائه والذي تمرد على الذهاب للدراسة فجلبه معه ليكون أذنه الذي يسمع بها عندما يعلن أحد عن قدوم البلدية، فقد كان يعاني من انعدام السمع بسبب مشكلة في طبل الأذن وقد تعرض لحوادث كثيرة حيث ضربته سيارة رمته عدة أمتار لأن السائق كان يسير بسرعة ولم يسمع مزمار العربية، وعندما انتبه عاد مرة ثانية ولكن لم يستطيع السائق تفاديه ومن حظه الحسن أنه لم يُصب في تلك الحادثة، رغم أن عمره لم يزيد عن(٤٠) عام إلا أن الشقاء جعله يبدو ككهل في الستين، فقد جرب العمل في كل شيء بحثاً عن رغيف الخبز له ولوالديه ولـ ٥ إخوة هو أكبرهم.

عمل في البداية في المعمار حيث كان يحمل مواد البناء من طوب وإسمنت ورمل للأدوار العليا قبل أن يتم استخدام الونش في الرفع والاستغناء عن العمال، ثم عمل بائعاً متجولاً ولما ضاقت به شوارع القاهرة توجه إلى ليبيا، ولكن الحصار الاقتصادي لليبيا بسبب تورط معمر القذافي في تفجير الطائرة البوينغ ٧٤٧، التابعة لشركة بان أمريكان أثناء تحليقها فوق قرية لوكربي الواقعة في مدينة دمفريز وغالواي الإسكتلندية غربي إنجلترا.

وقد نجم عن الحادث مقتل ٢٥٩ شخصاً هم جميع من كان على متن الطائرة و ١١ شخصاً من سكان القرية حيث وقعت، وقد تضرر اقتصاد ليبيا بهذا الحصار في الصحة والزراعة والثروة الحيوانية والمواصلات والنقل والصناعة والاقتصاد والطاقة وقطاع الصحة، وحدث كساد كبير ولذلك كان الحصول على عمل ثابت شديد الصعوبة، وكان ما يربحه، يكفي لإيجار الغرفة والطعام وعلبة سجائر لذلك عاد منها بنفس الحسرة، إن شيئاً ما يطارده، ليس هو سوء الحظ، بل سوء السمع الذي أصابه نتيجة حادثة جعلت طريق الكلام إلى مخه مسدوداً، وجعلته هو نفسه هدفاً للجهامة. حين سألتُه: ماذا تريد لتشعر

أنك بخير؟ قال وقد لمعت عيناه ببريق مفاجيء، كأنه تخطى عقبته: السماعة والستر.

وقد قام عبدو بمساعدته في الحصول على سماعة أذن من وزارة الصحة من خلال قرار.

كانت عربة التسالي أشبه بحصالة متنقلة يدّخر فيها أيامه، والواقع أن هذه الحصالة زوّجت أخواته الثلاث وتعول الآن ٦ أفواه هم أولاده، وأخاه الأصغر وأبويه، أي أن عربته تجرّ خلفها ٣ بيوت، واحداً في بولاق أبو العلا، حيث يسكن بالإيجار واثنين في سوهاج بالصعيد، حيث أسرته وعائلته، لذلك لا شيء يسعد فتح الله سوى أن يعود آخر النهار وجيبه عامر بالنقود ساعتها يمكنه أن يبتسم.

وميدو بائع الساعات والنظارات وجراب الموبايل الشيطان الصغير الذي يدخن المارجوانا بكل المال الذي يكسبه من البيع وينام تحت الكوبري أو يفترش أي كرتون وينام تحت مظلة القطارات دون خوف من أي شيء وأنا أنام داخل غرفتي وأغلق الشقة والنوافذ وغرفة النوم وأظل لدي شكوك وأبقى قلقِا طوال الليل، عندما كنت أجلس جواره وأقول له:

لماذا لا تعود لأسرتك؟ يقول:

أنا هنا حر! ويضرب على صدره، أنا طائر بلا عش، أعيش حياتي ضاربة ألف بالحذاء هل أخذ أحد معه شيء إلى العالم الآخر؟ لا أحد؟ والموت ممكن يخطفك في أي وقت، عايز أضيع عمري في المذاكرة والتعليم، وبعدين أدخل الجيش ولما أخلص، أبحث عن وظيفة وشقة، وعروسة وعلى إيه ده كله أنا بعيش يوم بيوم، آكل وأشرب وأعمر الدماغ ولما ملك الموت يحضر أسلم الجثة وكل سنة وأنت طيب ثم قال:

روّق يا مستر جوليو، خد لك سيجارة بانجو

كان أبوه شخصا طيبا وحنونا ولكنه يعاني هلوسات وأوهاما وقد ذهب به جدي أكثر من مرة للطبيب النفسي وقال الدكتور إنه يعاني مرض انفصام الشخصية وكتب له روشتة ولكن جدي لم يقدر على شرائها بسبب الثمن المرتفع فتكفل رجل من البلدة

يعمل في مستشفى معهد ناصر بعمل قرار خاص بعلاجه، صرفنا الدواء وبدأ يتناوله بانتظام لمدة قصيرة وعندها تحسن نوعا ما ولكنه لم يكمل العلاج، عاد مرة أخرى لحالته القديمة فقد كان يتصور نفسه مكلفا من المخابرات لمراقبة شخص ما يختاره ويظل يتتبعه ويحاصره ليلاً ونهارا وحدثت مشاكل كبيرة وتعرض للضرب مرات من الناس الذين يقوم بمراقبتهم، وبدأ يشك في أمه بأنها تخونه مع جار لهم، ثم يتحدث عن نفسه باعتباره الرجل الأخضر العظيم الذي يستطيع أن يدمر البلدة ويقضي على الأشرار، ثم يخرج من البيت ويظل طوال النهار في الشارع أو يركب أي سيارة يتنقل من خلالها من بلد إلى بلد ويظل بعيدا عن البيت بعد فترة طويلة دون أن يصرف على البيت.

فغادرت أمه البيت ولم تعد، بعدها رفعت قضية طلاق وبعد ذلك تزوجت وأخذت ميدو وشقيقته أنهار.

عندما اشتد عوده قليلاً وأصبح قادرا على العمل كان زوج الأم يستعبده بالأعمال الشاقة ويضربه ضربا عنيفا، فهرب من البيت وذهب لبيت جده لأبيه فلم يجد منه إلا المعاملة السيئة، فركب القطار وذهب لرمسيس وهناك تعرف على أولاد من نفس عمره علموه البيع في الشارع والهروب من الشرطة والتدخين وهو علمهم بعد ذلك المارجوانا والكولة.

كان ظريفا وصانعاً للبهجة، رأيته أول مرة يدخن سيجارة محشوة خطفتها منه وسحقتها تحت الحذاء فوجدته يخرج المطواة بسرعة ويضع سنها في رقبتي وتحول الصبي المرح

لشيطان صغير شرير، يتلاعب بأعصابي ولم أكن قادرا على الحركة ولم يخلصني منه إلا نقيب الباعة الجائلين ورغم ذلك صمم أن أدفع له ثمن السيجارة.

يعرف جيدا كيف يضحكني، فكلما نظرت إليه يبدأ بحركات ويقلب وجهه فأضحك، عندما تم القبض عليه حكم بشهرين سجن مع وقف التنفيذ، ذهبت ودفعت له الغرامة كلما رأيته أتخيل هذا الولد داخل مؤسسة تربوية ويتم الاعتناء به وتعليمه تعليما

جيدا، أثق أنه سيكون له مستقبل باهرا.

والست نادية أم فتحي التي كانت تبيع الخضار وعندما صادرت الشرطة منها الميزان والشمسية والعربة الخشبية التي تبيع عليها، وكيف ذهبت إلى بيتها لأطمئن عليها، وقام نقيب الباعة الجائلين بجمع مبلغ معقول من الباعة وأصحاب محلات السوبر ماركت يغطي تكاليف ما صادرته الشرطة دفعت مثل الآخرين باعتباري منهم وقام بشراء عربة جديدة وموازين وكمية خضار تكفي ليوم، إنهم يحبونه وله سطوة غريبة عليهم ولكن أنا لا أعرف لماذا يفعل معي ذلك مع أنني كنت أعتبره في بداية تعاوننا شقيقا بعد أن عرفتني عليه السيدة إلهام الناشطة العمالية لذلك كلما أتذكر النكت والقفشات الظريفة واللطيفة أستغرب كيف يتحول الإنسان بهذا الشكل وكيف ينزع القناع ليرتدي قناعا آخر بسرعة مذهلة، إنه الخوف الضارب في العظام رأيته عندما كان يقف أمام أمين الشرطة، لذلك كنت أستاء جدا وأنظر للأمين شزرا ولم يكن يقدر أن يفعل شيئا بالعكس كان ينافقني ويحاول أن يكسب ودي، لم أر ذلك من قبل وجوه تائهة بشعة، لا تعرف من أي مستنقع عفن خرج هؤلاء!

لم أقابل نماذج إنسانية بهذا الشكل، رغم أنني عشت داخل نظام رأسمالي يسحق الطبقات الفقيرة شخصيات تصلح لأفلام الديستوبيا ليست من الواقع في شيء، تظن أنها في مهمة وستعود لوكرها في المنافي البعيدة، ورغم ذلك الناس قادرة هنا على أن تعيش وتفرح وتمارس حياتها رغم حصار المغول لهم كيف ذلك؟ لا أعرف.

لم أجد منهم إلا كل تعاون ومحبة وبمجرد أن تطلب شيئا تجدهم يتنافسون على توفيره شعب طيب يزيل كل اغتراب، تشعر وسط الناس بالأمان لذلك عندما تجد مطواة تغرس في لحمك يكون الألم الجسماني آخر شيء تشعر به ولكن عنف وجه القاتل الذي تغذى على الغدر، والخيانة والدناءة من سلمني للأمن كنت أتصوره لا يستطيع أن يؤذي نملة شخص عادي لطيف ابن بلد، استطاع بسرعة أن يدمجني في عوالم الباعة الجائلين ويختار لي الأشخاص الذين يسهل التعامل معهم وحذرني من التعامل مع بعض الأشخاص

وأخرج تليفونه وأراني صورهم، هؤلاء يقومون بالأعمال القذرة ممنوع منعا باتا التعامل معهم وإلا لن تخرج سليما، عندما ألححت عليه كي يوضح لي الأمر قال: بلطجية وتجار مخدرات وبرشام وهباب أسود وأنت باين عليك غلبان وملكش في الكلام ده أبعد وخذ رزقك الله يهديك، قلت له:

هل فيهم مخبرين للشرطة؟

قال: لا الشرطة تستخدمهم في أغراض أخرى، المخبرين دول سكة تانية، اسمع بس والباقي عليّ ثم قال: لي ابعت هات طعام عشان يكون فيه عيش وملح، أخرجت ٥٠ جنيها وأعطيتها له فكتب ورقة بالمطلوب وناولها مع الفلوس لميدو لكي يشتري من المطعم، افترشنا كراتين ورق وقطع قماش قذرة ببقع الزيت وطين جاف وجلسنا عليها وأخذنا نلتهم أشهى طعام ممكن تصوره: فول وفلافل وبصل وبيض وسلطة، وجرجير وطحينة.

المقابلة التالية أختار مطعم معروف بارتفاع أسعاره وعزمني عليه وأنا من دفعت، بعد ذلك قام بشراء بنطلون وتي شرت، ترينج، طيب معاك ٥٠٠ جنيه، يجدني في البار يظل يشرب طوال الليل ثم يغادر دون أن يدفع الحساب وفي يوم قال: معاك ١٠٠٠ جنيه؟

صرخت في وجهه: أنت كلما تراني تقول لي معاك فلوس، خبر إيه يا أستاذ مهدي، أنت أصبحت خنزيرا حقيقيا، وتركته وطلبت تاكسي وغادرت المكان ثم أحسست بالندم لعله يحتاج إليهم فعلا لعل الوضع خطير ظلت بداخلي هواجس حتى طلبت من السائق أن يعود مرة تانية، وجدته يقف على الرصيف يرتعش من البرد خلعت الكوفية ورميتها عليه واحتضنته وأخرجت الفلوس ووضعتها في يده وقلت له: بص فيه مشروع بيننا ممكن نتكلم فيه كلمني غدا.

أنا لدي حماس كبير لعمل مشروع يعضد الباعة الجائلين ويجعل حياتهم أكثر استقرار، أخذ يهز رأسه في بلاهه أضحكتني، كان يبدو طيباً وتعساً أكثر مما تصورت.

عدت للمنزل وأخذت أعمل على الأبحاث حتى تعبت، فقمت وشغلت اللاب توب لأشاهد فيلما حتى نمت مكاني، قمت من مكاني السادسة صباحا دخلت أخذت "دش"

وكنت جائعاً فقد نمت دون تناول طعام نزلت لسوبر ماركت واشتريت بيض وجبن وعسل أبيض وسجائر جهزت الطعام وتناولت الشاي ثم عدت مرة أخرى لاستكمال دراستي حتى الساعة الثالثة.

ارتديت ثيابي وخرجت من منزلي كان ذلك منتصف ديسمبر مررت بصالة ألعاب كنت أمارس فيها الرياضة طوال شهرين مدة وجودي بالقاهرة يقف أمامها عددٌ من الشباب، يغطون بأجسادهم العملاقة حائطا أصفر، كلما رأيته فكرت في الاستعانة بفنان جرافيك ليقوم بإعادة صباغته ورسم تكوينات جميلة، رأيت سعيد ينزل درجات السلم خارجا من الصالة أشار لي فتوقفت أعرفه طالب بمعهد الفنون المسرحية يقضي وقتاً في الصالة وكلما صادف والتقينا في الصالة يتوقف عن ممارسة الرياضة ويطلب مني رأيي في ما يقوم به من أدوار، ثم يقوم بتمثيل بعض الأدوار التاريخية من هملت أو الملك لير أوكوميدي لأدوار يقوم بها بعض الممثلين المصريين، ثم يقول إيه رأيك في تمثيلي كنت أنتبه وأتتبع الشفاه لأعرف ما ينطق فلغتي العربية محدودة وأحتاج لتركيز لالتقاط الكلمات، أما عندما يمثل أدوارا بالعامية المصرية فكان يضيع مني معظم الكلمات، ورغم ذلك كان أداؤه التمثيلي مدهشا فكنت أشجعه وأراه فنانا موهوبا وأثق أنه سيجد فرصة ويصبح نجما، سلم علي وقال إنه ذاهب للتليفزيون لتمثيل مشهد في مسلسل جديد وأخذ يكلمني عن طموحه وعن أهمية التمثيل بالنسبة له، ثم أوقف تاكسي وقال لي: إركب معي لأوصلك أينما تريد، رفضت وقلت له المكان ليس ببعيد وأنا أريد أن أمشي كي أحرك عضلات قدمي، أشار لي بيده كعادة المصريين وقال: أمسية جميلة، الناس هنا عاطيفيون بشكل مدهش ولكن القائمين على النظام هنا قساة مجرد برابرة همج، يبيعون الوطنية هنا للناس وكأن الله اصطفاهم وهم أكثر الناس جهلاً ولصوصية ويستمرون في الحكم بالإذعان، وهم يعرفون ذلك ويبيعون دورهم في مكافحة الإرهاب للغرب الإمبريالي الحقير، عندما أقرأ بعض المراكز الحقوقية عن التعذيب في أقبية الأمن عقلي يتوقف، هذا جنون محض.

سرت في شارع التحرير، تجاوزت محطة مترو الأنفاق وسرت على كوبري قصر النيل

هدوء يسود المكان، اليوم الجمعة الإجازة الرسمية توقفت أمام النيل وأخذت أتأمل سريانه الهادئ وتدفقه، مازال الوقت أمامي لذلك سرت على مهل ودخلت شارع القصر العيني، في البداية دخلت مطعم وتناولت غدائي لأنني لم أتناول بعد الإفطار، ثم ذهبت للمؤتمر، ركبت الأسانسير ومنه إلى غرفتين بلا حائط يفصلهما. الحضور كان كثيفا مقارنة بالمؤتمرات الأُخْرَى لذلك كنت متفائلاً بتنامي الوعي العمالي، وقدرتهم على اختراق الخوف والرعب الذي يفرضه النظام على المصريين، قام قيادة عمالية بتقديم الحضور وسرد سريعاً ما جرى في السنوات الأخيرة ضد النقابات عموماً والنقابات المستقلة بشكل خاص، ثم أعطى الكلمة لقيادة عمالية بعدها توالت النقاشات والمداخلات.

كان الإجتماع حماسيا عنيفا في نقد الحكومة بسبب الكتاب الدوري الذي أصدرته بمقاطعة النقابات المستقلة والاكتفاء بالنقابة العامة التي تم تأسيسها تقريبا عام ألف وتسعمائة وثمانية وخمسون، في عهد جمال عبد الناصر لتمثيل العمال واستيعابهم داخل السلطة وإضفاء شرعية عليها، وفي نفس الوقت هي من تقوم بتصعيد القيادات المدجنة التي تمتثل لطلبات السلطة حتى أصبحت هذه النقابات مجرد بوق من أبواق السلطة وضد العمال.

"عادت النقابات المستقلة مرة ثانية لمربع ما قبل ثورة ٢٥ يناير، قيادة عمالية أخذ يذكر النظام بالدور الذي قاموا به بالتجييش ضد الإخوان ومشاركتهم في الدستور الذي يجحف حقوقهم، ودعوة العمال لوقف الإضرابات والاحتجاجات وسحب الشكاوي الدولية التي قدمت قبل الثورة، وماذا حدث بعد ذلك غير استيعاب القيادات الكبيرة داخل السلطة وإذعان تلك القيادات خاصة المناضل التاريخي كمال أبوعيطة الذي ضحى بكل تاريخه النضالي بمجرد فتات رمته له السلطة، وبدلا من مكافحة السلطة وهو داخلها وأقوى مائة مرة أصبح مجرد بوق نتن يزيف الحقائق ويبرر خيانته وانتهازيته وتورطه حتى النخاع في معاداة العمال.

اندهشت فعلاً عندما قرأت سيرة الرجل وعندما سألت إيهاب عن هذا التغيير قال:

شيء محير فعلاً، لقد كان شوكة في حصر النظام لفترة طويلة واستطاع أن يجمع حوله كتلة كبيرة من الشعب تثق فيه واعتبرته رمزاً شريفاً في ظل واقع فاسد، كان نموذج للمعارض الشريف دفع ثمناً غالياً طوال حياته النضالية تنكيلاً وسجناً وتعذيباً في أيدي سلطة إجرامية، ثم فجأة إنهار كل شيء وأرتمى في حضن سلطة أكثر شراسةً وعنفاً، لماذا هذا التغير الدراماتيكي؟ هل كان يسعي طوال حياته ليكون جزء من النظام، أم أن الدكتاتورية تخرب الداخل وتجعله يتحول لإنسان عدمي لا يأبه بقيمة، الغريب أنه ليس حالة واحدة بل معظم المثقفين لذلك أكاد أجن فعلاً، ما الذي حول المثقف من دافع ضريبة باهظة في سجون عبد الناصر حتى الاستشهاد إلى مزيف وعي عنّين ومريض مهووس بقتل المخالفين، وتماهى مع خطاب العوام والدهماء وأخذ يحرض "أفرم يا سيسي، أسحق ياسيسي"، بل أخذ يردد أكاذيب وترهات لا يصدقها طفل وتماهى مع خطاب السلطة وضاع تميزه لذلك لن تجد فرقا كبيرا بين خطاب توفيق عكاشة وبين كبار المثقفين والمبدعين المصريين، فالسيسي بطل قومي خلصنا من الجماعة الإرهابية وتصدى للمشروع الأمريكي في المنطقة ومنع الحرب الأهلية على رغم أن الواقع يقول إنه لم يقدم إنجازا واحداً سوى تل من الجثث يزيد يوما بعد يوم.

وانتهى المؤتمر إلى إدانة غياب الحريات والقمع الذي تمارسه الحكومة ضد العمال لصالح الطبقة الطفيلية التي أثرت عن طريق الأعمال غير المشروعة وعسف حقوق العمال وسياسة بيع المصانع وتشريد العمال، كانت عدسات التصوير كثيرة في ذلك اليوم فتركت الواجهة وآويت إلى ركن أرقب المؤتمر وأنا أركز مع كل كلمة تخرج من أفواه أتصورها ستصنع المجد مرة ثانية بالتحرر، وعندما ألتفت رأيت سيدة منتقبة تنظر إلي، كانت عيناها أشبه بعدسة كاميرات قوية ومقتحمة ثم أخرجت موبايل والتقطت لي عدة صور، انزعجت أشد الانزعاج تصورتها ضمن جماعة أصولية متشددة تطارد الأجانب لقتلهم نكاية في الحكومات الغربية التي ينتمون إليها بسبب دعمها للحكام الدكتاتوريين، أو ما تراه حربا ضد الإسلام والمسلمين في العالم خاصة في العراق وأفغانستان، تركت المكان واندفعت

وراءها أريد أن أعرف لماذا تقوم بتصويري وماذا تريد مني؟

عندما وجدتني أتجه إليها وأنفذ من بين الحضور حتى أصل إليها غادرت المكان بسرعة خرجت خلفها وجدتها قد نزلت بالأسانسير أخذت أجري على درجة السلم لكي ألحق بها، عندما وصلت لباب العمارة كانت قد اختفت أخذت أنظر هنا وهناك ولكن لم يكن أحد موجودا، بحثت عن البواب لم يكن موجودا ثم رأيت صديقتي هدى تتجه نحوي حكيت لها ما حدث ولكنها أخذت تهدئ من مخاوفي وأكدت لي أن البوليس المصري محترفا ويمارس عمله بمهنية وأنها ستتصل بصديق مسؤول عن المنطقة تعرفه بحكم عملها الصحفي ليعرف من تكون ولماذا تقوم بتصويرك؟.

ثم أخذت تحذرني من الإخوان والتعامل معهم أو إظهار أي نوع من التعاطف، لأن السلطة كالثور الهائج وأي أحد يشير بالقماشة الحمراء ينطحه بقوة، أخرجت جواز السفر وقلت إن البوليس يصبح كالحمل الوديع عندما يرى هذا، ضحكنا ولكنها أشارت لي أن الوقت غير كل الأوقات وأنه رغم كون كلامك صحيحاً ولكن عليك الحذر، عندما تعود إلى لندن قل ما تريد أكتب ملاحظاتك، في الوقت الحاضر وبعد ذلك لا تستطيع استخدامها، قلت نعم معك حق، وهذا ما أفعله فعلا رغم أنني بالفعل حزين لهزيمة الثورة بهذا الشكل، حزين وكأن الثورة ثورتي أنا وكأني من هزمت.

ولكن الكل تكالب عليها وطعنها في الصميم لم أسترسل لأنني أعرف أنها أيضا كان بيديها مطواة وتغرس بكل قوة ثم عدنا مرة ثانية، نتابع المؤتمر ثم أشارت لي على أحد العمال على المنصة وقالت: هل تعرف هذا؟

قلت: نعم، إنه الأكثر راديكالية ثورية ضد النظام.

قالت: إنه مخبر الحكومة، وما يقوله مجرد كلام لا أكثر وأن دوره يظهر عندما تقوم النقابة بعملٍ منظمٍ وفاعلٍ ساعتها يخلع أو يقف ضد العمل لذلك هذا الذي تراه يتكلم باسم العمال ثري جدا وقد استطاع أن يعين ابنه في جريدة الأهرام وتم إسناد صفحة الثقافة له في جريدة الأهرام العريقة وهو الأصغر سنا بين صحفي الجريدة. أصبت بإحباط،

ولكنني ما زلت أثق في قدرة العمال لو نظموا أنفسهم لقيادة التغيير القادم.

خرجنا من دار النقابة في اتجاه الكاف دور، سألتني عن مغامرتي الأخيرة مع الأوكرانية الفاتنة قلت لها: ليست مغامرة يا عزيزتي إنه الحب قالت: الموضوع جاد، قلت نعم جاد جدا، لقد اتفقنا في رحلة كان الحديث ما زال نفسه لم يتغير ولكن كان إيهاب في قمة الثورة وأخذ يحذر الحضور ووضع كارت بلانش في يد الجيش وأنه سيسحق الثورة وسيعود بنا للخلف ألف عام، فكانوا يردون عليه أن هذه التخيلات نتيجة ميولك الإخوانية وأن الكارثة في الخونة داخل المجتمع المدني وهي بفطرتها إخوانية وخلايا نائمة، ودائما ما تبدأ أو تنتهي بـ (أنا مش إخوان) وقال: شاعر، إن الإخوان قاموا بتعيين ١٢ ألف شيخ في الجوامع للسيطرة على وزارة الأوقاف قال إيهاب: إن هذا الكلام غير صحيح مطلقا ولكنها أكاذيب الإعلام، أين هذه الجوامع التي تم تعين ١٢ ألف فيهم، أذكر مسجداً واحداً ولكنه لم يذكر وقائع محددة، تحول الحوار بعد ذلك لمجادلات عقيمة لذلك تركت المكان وعدت للمنز وكانت لديّ رغبة في تناول الملوخية التي أتقنتها خلال المدة التي تواجدت فيها في القاهرة، ليست الملوخية فقط بل الكشري، لديه خيال في طهي الطعام لذلك كل من يأكل من يدي يؤكد أن مستقبلي ليس في الأبحاث والظواهر الاجتماعية، ولكن داخل المطبخ حيث أنواع الطهي الشهي لا يعرف أحد أن هذه الهواية ضمن خططي المستقبلية أن أخصص أياماً محددةً للطهي، خاصة أنني عملت في مطاعم صغيرة لزيادة دخلي فاكتسبت خبرة كبيرة، أعمل بيتزا ومكرونة "اللازانيا" و"الفيتوتشيني" و"الاسباجيتي" و"الكانالوني"، بالإضافة إلى عشرات الأنواع من الصلصات والسلطات العالمية مثل: سلطة "فواكه البحر" وصلصة "البيستو"

كما أنني أنافس أصدقائي الإنجليز والمصريين في طهي الأطعمة الشهيرة لديهم، المهم أن يكون لديك خيالاً وبعد ذلك كل الأشياء تصبح سهلة.

بعد أن تناولت الملوخية كلمت مارين وأخذنا نتحدث قليلا على الواتس ثم بدأت في القراءة حتى وقت متأخر، رأيت أشخاصا ملثمون ويرتدون ملابس سوداء وطاقية بيضاء

يدخلون عليّ المنزل عنوة ويجبروني على الخروج معهم تحت تهديد السلاح.

نزلت معهم السلم.

وجدت سيارة في انتظاري، وقيدوني ووضعوني في حقيبة السيارة بعد أن وضعوا لاصقا على فمي.

سارت السيارة فترة طويلة وعندما أخرجوني، وجدتني في صحراء وحولي جماعة أصولية بلحاهم الطويلة وجلابيبهم المميزة السوداء، وراية خضراء عليها سيف وغطاء الرأس، ويوجد أيضاً نسوة منتقبات كانوا متجهمين، وينظرون لي بعدائية ثم تقدم مني واحد منهم وقال لي: أنت جئت من بلاد الكفر لكي تغوي نساءنا وأنت من المفسدين في الأرض وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ **سورة المائدة رقم"٣٣"**

أخذت أهز رأسي رافضاً الاتهامات المجحفة، أنا لا أنظر للنساء لدي سيدة مرتبط بها وأنا مخلص لها أشدّ الإخلاص.

كنت أشعر بالرعب وتصورت مصيري الأسود حيث سيقومون بحرقي حياً داخل قفص حديدي مثلما فعلوا مع الطيار الأردني معاذ الكساسبة حيث وقع أسيراً في قبضة تنظيم الدولة الإسلامية في محافظة الرقة شمالي سوريا، حيث كان يقف داخل قفص حديدي مغلق ثم قاموا بإشعال النار فيه.

وجدت مجموعة من العمال تحمل صليباً كبيراً من الخشب ثم حضر نجار كان في الخمسين من عمره، نحيف جدا، يضع السيجارة في فمه وقلم رصاص خلف أذنه ثم قال له الشيخ ذو اللحية البدين:

– هل هذا المكان مناسب ليصلب فيه؟

– نعم إنه مكان مثالي، الشمس هنا درجة حرارتها تصل للخمسين، ثم إنني سأضع في

الاعتبار أن يكون وجهه في مواجهة للشمس حتى يحترق ببطئ.

– ونعم الرأي، أنا قلت كده برضو أن الأوسطى رضا فنان.

طلب من العمال الحفر في منطقة قريبة مني ثم نصب الصليب وأخذ العمال يدكون الأرض لتثبيت الصليب ثم اقترب مني العمال وحملوني ورفعوني على الصليب أخذت أصرخ وأقول لهم لم أفعل شيئاً كان صدى صوتي يتردد في البرية، قلت إن صوتي يتمدد بقوة في الصحراء وعلي أن أزيد من الصراخ، إنني بريء كبراءة الذئب من دم ابن يعقوب، فقام واحد منهم وأخرج من ملابسه شريطاً لاصقا وصعد السلم ثم لصق فمي وقام النجار بإخراج مسامير كبيرة وصعد السلم وطلب من مساعده الذي يمسك بيدي أن يفرد يدي ويضغط عليها بقوة وأخذ يدق المسمار الأول.

ألم رهيب يمور داخلي، كنت أريد منهم طلباً مجرد طلب بسيط أن ينزعوا عني اللاصق الذي يكممني، أريد أن أصرخ بعمق ولكنهم رفضوا وتمادوا في السخرية مني، عندما انتهى دق المسمار الثاني في يدي الأخرى ثم قدمي اليمني ثم قدمي اليسرى نزل من على السلم وأخذ ينظر إلي.

– إيه رأيك يا مولانا؟

– أحسنت.

كان بديناً جدا وجهه أبيضا منتفخا مشرب بحمرة، استغربت أن يكون هذا الشخص رجل دين ثم أخذ يضحك بسخافة فبدى أشبه بخنزير، ثم قال للنسوة الواقفات: هل يرضيكن ذلك قلن: مادام يرضي الله فنحن راضيات ابتسم وقال: نعم لتكن مشيئة الله هي النافذة ثم قال: سيتم حراسة هذا الكافر من أبا فهر وأبا عمر وقحطان وهو معلق على صليبهم حتى يتخطف الطير لحمه ويصبح عاريا على العظام فقط، وبعد ذلك تركوه تنهبه الريح ترك المكان وسار وراءه الحضور.

ما زال لدي قلب يدق ونهار هناك خلف الحجز يتبدد وراء القضبان وصوت يأتي من وراء الأسوار، يبدو أنه لحارس الحجز كان يتحدث لزميل له أنصت جيدا للحوار

ولكن عاد الصمت مرة ثانية دعوت الله أن يرسل لي صوت إنسان مادام هذا المكان اللعين اختفت فيه الطيور عاد زميلة وقال له: المياه يا سعيد قال: شكرا يا ماهر حاولت أن أتزحزح وأقترب من الحائط ولكن لم أستطع جسمي ثقيل ككيس رمل لذلك اكتفيت بالإنصات، لم يكن يهمني وضوح الكلمات ولكن يهمني صوت بشري يتسلل لي عبر الأثير ثم سمعت صوتاً ويبدو أنه كان غاضباً، ألم أقل لك قبل ذلك أن لا تحضر كتباً إلى الكتيبة قال: أنت عايرني أهرب أنا لا يمكن أن أعيش في هذا المكان دون كتاب رد عليه: ولكن يا أخي أنا أقضي فترة تجنيدي ولم أقرأ كتاب ورغم ذلك أعيش حياتي قال: أنا غيرك يا أخي، لو تعرف قد أيه القراءة جميلة تحررك وتجعلك إنساناً، إنساناً حقيقياً، أخذ الآخر يضحك وقال: يعني أنا إنسان مزيف، أخذ يتبادلان السباب والضحك ثم قال له طيب أسمع هذه القصيدة.

قال له: قول يا سيدي بس أخفض صوتك.

قال: لن أخفض واللي يسمع يسمع.

قال: والله أنت لا تودينا في داهية وأبقى أبصق على وجهي إن كملت فترة تجنيدك دون أن تسجن

- إسمع، إسمع

في الزنزانة، *ثقب صغير

من خلاله

كنت أرى العالم

لم أكن حقلا

لم أكن شجرة

ولم أكن في نظرهم

سوى بركة السنة

لم تعذّبني عصاه
لم تعذبني كلماته القاسية
-الذي-
كان يعذّبني حينها
هو حقده عليّ
ونظرته إليّ كحيوان

لطالما قلت له:
(أخ)
لكنه لم يسمعها
أجزم
أنّه لم يكن يفهمها
مرةً

أراد ان يقضي ليلته
أراد أن يتسلى
فصاح بي
تعال يا حيوان
استطالت أذناي
وأنا أصغي إليه
بكل ما أملك
من غضاريف
-لماذا خلق الله الشيطان؟
-لأنّ الحياة يا سيدي،

لا تستقيم
على طرفٍ
غضب من إجابتي
وتركني طوال الليل
أقف
على قدم واحدة

هذا الجلاد
-الذي-
رسم على جسدي
خريطة
بسهولةٍ
عبر الحدود
بسهولة فائقة
طلب حقّ اللجوء
في منطقة آمنة

-قصيدة للشاعر العراقي: ماجد مطرود-

(٣)

كنت على موعد مع الناشطة إلهام حسين، النقابية العُمالية عضو المكتب التنفيذي للإتحاد المصري للنقابات المستقلة، كما أنها منسق لجنة التضامن مع الإضرابات والاعتصامات وعضو الأمانة العامة لحزب التحالف الشعبي الاشتراكي، للحديث عن النقابة المستقلة للعاملين في الضرائب.

كانت الساعة الثالثة وقت أن نزلت، ركبت الميترو كي أصل سريعاً كنت قد تناولت الغذاء في مطعم أسماك شهير في وسط البلد، بعدها ذهبت إلى عمارة ستراند في باب اللوق لم تكن موجودة قلت: جيد حتى أرتب أفكاري وأرى الطريقة المثالية لإدارة الحوار معها، طلبت قهوة وكان السؤال الذي طرح نفسه هل العمال قادرون على قيادة التغيير في المرحلة القادمة خاصة في ظل أزمة اقتصادية خانقة، وما مدى قدرة رجال الأعمال على السيطرة على العمال؟ أخذت أشرب الشاي وأتأمل الوجوه ولدي قلق ما من فكرة أن لا تأتي لذلك اتصلت بها مرة ثانية أغلقت الخط ووجدتها أمامي.

إلهام حسين، باحثة في الشؤون العمالية.

– جوليو ريجيني طالب دراسات عليا في جامعة كامبريدج وموضوع الدراسة الباعة الجائلون

– لقد زرت إيطاليا أكثر من مرة هذه بلد جميلة وقريبة من أرواح المصريين، أين تقيم؟

– في منزل بالدقي.

– لا، أقصد في إيطاليا

– آه، في مدنية تريستي الساحلية الواقعة شمال شرق إيطاليا، وقد نشأت في بلدة فيوميتشيلو بمقاطعة أوديني الواقعة هي الأخرى في نفس المنطقة.

– مشكلتنا الأساسية برأيي في العالم العربي أننا لا نربي أولادنا على الاستقلالية، لذلك

لدينا رغبات استحواذيه رهيبة لا نريد أن نتخلى عنها نحن مجرد مخزناً كبيراً فيه الأولاد والذكريات والعائلة والقبيلة والنظام والأشياء الصغيرة والمهملات التي فقدت صلاحياتها لذلك سنظل يحكمنا سلطة قمعية لا حل إلا بفطم أولادنا ليتحرروا منا ومن كوابيسنا، لا يمكن أن تكون حرا وتريد الحرية وأنت تعتقل ابنك داخل المنزل مرة بالعاطفة ومرات بالقسوة لأنك أناني.

صحيح أنك لا تحب بلدك جوليو مدينتك، قريتك؟

– إطلاقا، المكان هناك جميل مثالي بالنسبة لمن يريد أن يستقر في المكان، ولكن الأعمال هناك لا تلبي طموحي لذلك أريد أن أقتنص الفرصة المناسبة وبالطبع لو ظللت هناك لن تسقط عَلَي الفرص من السماء لذلك السفر هو قدري، الكفاح رغبتي كما أنني طير لا مكان لي لدي رغبة بالانتقال الدائم، لذلك لم يكن العيش في فيوميتشلو يمثل خيارا مناسبا ولا حتى إيطاليا برمتها، لدي رغبة بالتعرف على ناس جدد جغرافيا أخرى عالم آخر، والداي باولا وكلاوديو ساهموا بقوة في تربيتي تربيةً تعلى من المغامرة وبابا لديه جملة ظريفة، الخطر تحت قدمك سواء جلست في غرفتك، أو سافرت إلى آخر الكرة الأرضية يجب أن تكون حرا ولن تكون حرا إلا بالتحرر من الخوف والقلق المؤذي والمخاوف المرضية والريبة من الأغيار، والانفتاح على العالم ضرورة واقتحام مجالات جديدة، لندن تعني الفرصة ولا يوجد أي مكان آخر مثلها، كما أنها أكثر تنوعًا من أوروبا فهي مركز عَالَمي بتجمعات ثقافية واجتماعية لا حصر لها وقد أُتيحت لي قبل مغادرة بلادي فرصة تجربتها كسائح ثم ما كاد يُعرض علي عقد لمدة ستة أشهر في منظمة مقرها لندن حتى كنت بالفعل أقف في صف التفتيش الأمني بالمطار.

– والداك يستحقان التحية فعلا، فهما يتحليان بالشجاعة.

نعم طوال عمريهما يبثان فيّ الاستقلالية، لم يطالبني أبي مرة بالاهتمام بالدراسة لم تساعدني أمي في التفكير في كتابة بحث جديد دائما أعرف طريقي لذلك هم مطمئنون ولن أكون مبالغا إن قلت إنهما فخوران بي وأختي مارين، فكلانا طموح ولدينا حلم،

حلم كبير وأنا أيضا فخور بهما دائما متفوق لدرجة أنني أعطيت الدرجة لنفسي في فصل دراسي، حيث قلت للدكتور أستحق درجة امتياز وقد حصلت عليها.

– هذا ما أريد الوصول إليه أنت نموذج جيد للشاب العصري ولن تكون مصر دولة عصريةً إلا بتنشئة شباب مثلك.

– الموضوع معقد فعلا، ويصعب حصره في سبب محدد.

– معك حق

– أريد أن أعرف... لقد نسيت، تحبي تشربي إيه؟

– قهوة.

– طلبت من النادل قهوة، وحكيت لها عن ما رأيته في دار النقابة، ضحكت وقالت: كلام في كلام، لقد انتهى الأمر.

– كيف لقد رأيت جرأة وقوةً وحماساً يثير الإعجاب!

– ليس هناك أي فاعلية، لأي شيء في الغرف المغلقة المحنطة، هذا روتين قائم تسمح به السلطة لأخذ لقطة لا أكثر ولكن العمل السياسي يتفتح ويزدهر في الشارع لقد استملكت المؤسسة العسكرية الدولة من خلال ترسيخ السلطة والاستبداد والتقنين القانوني لهذه السياسات والانتهاك الممنهج للحقوق والحريات وسياسات الهيمنة والعسكرة الكلية للإقتصاد وتعزيز مقولة إن مصر "**جيش له دولة وليست دولة لها جيش**" ومن أجل تثبيت سلطة النظام، تم تَشْكِيل تحالف بين الجيش وقوى الأمن وموظفي جهاز الدولة الإداري.

– ولكن ما زال هناك العمال كقوة اجتماعية، تعاني من إجحاف ولذلك استمرار تهميشها بهذا الشكل العنيف يجعلها تنفلت دفاعاً عن مصالحها

– النظام السياسي يجد في بنية الدولة الناصرية القديمة نموذجاً مثالياً للحكم بدون التورط في حروب خارجية، من خلال تقييد الحرية النقابية ومصادرة الحق في الإضراب وتكريس احتكار الإتحاد العام الحكومي لتمثيل العمال واستخدام البيروقراطية والقضاء والجيش

والداخلية في إحكام قبضته على الدولة، طبعا بتزييف الوعي من خلال إعلام قذر في نفسه تمضي قدماً بتحرير الإقتصاد على حساب العمال.

– أنا أتفهم كل ذلك تماما ومقدر ولكن لدي يقين أن النظام بتركيبته الحالية لن يستمر.

– يا ريت لدي نفس حماسك، ولكن لن أخدعك مصر نشأت على حكم الفرد وستستمر.

– أصبت بإحباط من رؤيتها المتشائمة ولذلك صمت وهي تناولت فنجان القهوة وأخذت تشربه ثم تذكرت سؤالا قلت أوجهه إليها، إذا كان مستحيل، لماذا تستمرين في النضال؟

استمر على أمل مساعدة طفل امرأة، رجلٍ ما من فخاخ القتلة كما أنه عمل أتكسب منه.

– يعني أفهم من ذلك أن النقابات المستقلة والعامة والعمال تم السيطرة عليهم.

– النقابات قبل ثورة يناير سيطر عليها النظام من خلال الهيئات النقابية التابعة للدولة، والتي احتكرت تمثيل المصالح بالنيابة عن العمّال وقطاع الأعمال مثل اتحاد نقابات عمّال مصر واتحاد الصناعات المصرية واتحاد الغرف التجارية.

بعد الثورة بدأ العمال يحصلون على عدة مكاسب فنشئت عدة نقابات مستقلة، وبدأ النظام يعترف بها ولكن مع أحداث ٣٠ يونيو تم التراجع عن كل المكاسب وتأجيل أي مطالب لأجل غير مسمى، بل أي مطالب في هذا الوقت التي تحارب الدولة فيه الإرهاب يعتبر خيانة لدرجة أن إتحاد العمال المستقل قدم ميثاق شرف، وتعهدوا فيه من خلال ٨ نقاط بعدم تسييس العمل النقابي ولا إضرابات وهذا عمل مخز سخيف، لأن هذه الكيانات كيانات مخابراتية نشأت من بطن الدولة ومن يطفو على السطح مجرد جثة لا أكثر.

عندما تركتها وعدت للبيت وقد جهزت طعاماً خفيفاً لي وجدت اتصالاً من السيدة إلهام قالت:

أشعر بالذنب لأني أحبطك برؤيتي المتشائمة للأمور هنا ولكنها هي هكذا طوال

عمرها تريد أن تقف على أرض صلبة بالوقوف على أرض الواقع وليس من خلال حبك أوهامٍ وخيالات، وأن النظام هنا يستثمر فوبيا الإسلام السياسي ويضرب بيد من حديد ويجد من يدعمه ويقف خلفه بقوة، شكرتها على نواياها الطيبة وأكدت لها أن الفترة التي قضيتها في لندن غيرتني جعلتني أكثر واقعية وفعالية وصلابة وعليها أن لا تقلق.

(٤)

أعرف من التجارب التي يمر بها الأجانب في مصر أن أقصى شيء يمكن أن يمارس ضدها هو الترحيل من مصر، ورغم ذلك بدأت تنتابني هواجس مرعبة خاصة أنني أحس فعلاً أنني مراقب لذلك كنت أحاول إنهاء أبحاثي بسرعة، لدي إحساس أنني سأتلقى طلقة طائشة من أي مكان وفي أي وقت من قناص يقف هناك فوق إحدى العمارات أو من نافذة أي هيئة أو مؤسسة أو دفعي أمام المترو، كل شيء يحدث في هذا الوقت في القاهرة فلا قانون ولا قضاء ولا إعلام من أي نوع.

كلمت صديقتي الأوكرانية عن مشاعري السلبية وكيف أتخلص منها قالت:

هذه الهواجس طبيعية نتيجة المناخ المحيط بي ونصحتني بتجاهل الأمر والبعد عن الأصدقاء والأماكن الملتهبة عقم نفسك، واحصر حياتك بالعمل البحثي والسينما والأغنية، عندما تخرج ضع نظارة وسماعات في أذنك ضع مسافة بينك وبين الناس واستمر في عملك بمشاعر محايدة أن تحافظ على حياتك شيء عظيم.

هذا ما حاولت خلال مدة طويلة فعله ولكن لم أستطع كيف أغير أشياء متجذرة داخلي منذ صغري وأحاول أن أتتبع طريقاً محددا ولم أجد عوائق في تنفيذه بمعني تخلصت من الضغائن وضعت هذه المبادئ أمامي: الإخلاص والحب والحرية والمحبة والتعاضد، ثم بعد ذلك العمل حتى لو أراد الناس أن يجرفوك بعاطفة قوية لا تستطيع أن تنفلت منها، لقد كانت حياتي في البداية والنهاية العمل ثم العمل الذي جعلني أنجز شيئا في الحياة، فرغم سنوات عمري القليلة تعلمت أربع لغات وعملت دراسات عليا للحصول على درجة الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة كامبريدج البريطانية، ولدي تطلع للعمل كمراسل لجريدة الجارديان في الأماكن الملتهبة من العالم ولكن عليّ في البداية أن أنهي رسالة

الدكتوراه عن النقابات العمالية يجب أن أحقق حلمي بلدي مجرد مكان مثله مثل أي مكان آخر جغرافيا العالم تخصني ملكي، أتجول فيه براحتي يهمني فقط الإنسان، والإنسان هو، هو في كل مكان، هناك أناس يضيفون مساحات سلبية في العالم وهناك من يقاوم هذه السلبية وأنا اخترت أن أكون ضمن البشر الذين يكافحون لإزاحة هؤلاء السوداويين.

لن أسمح أبدا لأحد أن يبث سمومه داخلي، أن يعطلني عن ممارسة الحياة، الحياة واسعة وهناك بشر استطاعت أن تتقدم وتترك أثراً، لذلك مجرد انتقالي لبلد آخر آلفه، المهم آخذ الأمور ببساطة ولا أفتعل شيئاً أو أمارس عملا لا أحبه، حاولت أكثر من مرة أن أكون محايدا كما تقولين ولكن رغم اهتمامي بمستقبلي ولكني مجرد شاب عاطفي أحمق أي كلمة تؤثر فيه يحب البشر ولا يستطيع أن يؤذي نملة أحب السير في الحدائق ليلاً، وقد يكون هذا الحب تسرب لي من قراءتي العميقة لفلسفة الزن، فقط التأمل في أوراق الشجر، الزهرة، حبة الرمل، الشوك، الألم، السعادة، النفس وتقلباتها في الخير والشر، لدي طموحات هائلة وأفكار أضعها حالياً في صندوق صغير مركون في فص صغير من الدماغ، متى أبدأ في الهجرة؟ عندما أكون مستعداً ولن أكون مستعدا إلا عندما أحقق ما أريد.

البداية الإنغماس في العالم ومحاولة معرفته لذلك تنقلت ما بين نيومكسيكو وبريطانيا ومصر، وهولندا، لم أترك أثرا سيئاً لم أكن سبباً لضيق أو كراهية لأحد لقد تعلمت من الحياة أن الكراهية عدم إنصات، لذلك كلما وجدت أحداً يضمر لي كراهية، اقتربت منه أكثر وأنصت له وقمت بجهد بتذكر المناسبات الخاصة به، أرسل له دعوة لمشاهدة فيلم أرسل له كتاباً هدية تدخل البهجة في نفسه وتزيل أي عوائق داخله الأنانية عدم تصور أي شيء بعيداً عن ذاتك، هناك آخر يحتاجك بقوة، قف جانبه سيتغير وستتغير إيجابيا من الداخل، هذه قناعتي التي أشعر بها فِعْلاً لذلك أنا متصالح مع ذاتي وهناك سلام داخلي يريحني، طبعا الحياة ليست بهذه البساطة ونحن لسنا ملائكة هناك في منطقة ما من الروح تتأثر سلبا وهذا طبيعي لذلك عندما أجد نفسي تغيرت، كراهية، حسدا، حقدا، أبقى أتكلم مع نفسي أفكك هذا الجزء داخلي وأظل أقول ما الذي أخذه منك؟

لا شيء العالم واسع ويعطي كل من لديه طاقة، ولكن لا تراها لأنك تنظر إلى مميزات غيرك تريد أن تجمع مميزات كل البشر وتضاعف بها نفسك، في النهاية أنت لست سوبر مان ولن تحقق معجزة إلاهية أنت مجرد كائن بشريٍ يحب أشياء وقادر عليها، والصدفة السعيدة أنني حققت أشياء جيدة في الحياة عندما تركت إيطاليا لبريطانيا لدراسة الدكتوراه في كلية جيرتون بجامعة كامبريدج ألفت المكان وأحسست أنه يخصني لا أضيع الوقت بالشعور بالغربة أريد أن أنجز شيئاً في هذه الحياة أتعلم اقتحام مجالات جديدة ولن تفسح لي الفرصة إلا لو أصبحت ***perfect*** عندما أتوجه لتعلم لغة مثلا أعطيها كل دقيقة، لذلك قطعت شوطاً واسعاً أقمت علاقات قرأت بشكل جدي عن أماكن قد تفتح لي آفاقا كبيرة فلدي طموح بلا آخر لأنجز شيئاً.

أميل للعمل في واحدة من بلدان العالم الثالث، ويدور في ذهني ظواهر اجتماعية، تعتبر عناوين أطمح لدراستي العليا مثل الزواج المبكر وأثره على المرأة عموما والمجتمعات، أو المخدرات في نطاق دوائر العمال أو النقابات العمالية ودورها في مواجهة السلطة، ودائما تخايلني دول مثل مصر والمغرب والجزائر، دول أفريقيا مثل نيجيريا ومالي وكينيا لها إغراءها أيضا، ولكن مصر والمغرب يحيطهم هالة أسطورية تشبعت بها من خلال ألف ليلة وليلة ونجيب محفوظ وبول بولز وجان جينية الكتب هي من ساهمت في تكوين حياتي أكثر من الواقع.

عندما قامت الثورة التونسية تضامنًا مع الشاب محمد البوعزيزي الذي قام بإضرام النار في جسده، تعبيرًا عن غضبه على بطالته ومصادرة العربة التي يبيع عليها من قبل الشرطة مما أدى إلى اندلا ع شرارة المظاهرات وخروج آلاف التونسيين الرافضين لما اعتبروه أوضاع البطالة وعدم وجود العدالة الاجتماعية وتفاقم الفساد داخل النظام الحاكم وتغول وزارة الداخلية على الحياة السياسية وقهر المواطن مما أجبر بن علي الحاكم الدكتاتور وزوجته للهروب إلى السعودية، وبدأت جموع الشعب تنزل للشارع ثائرة غاضبة تريد حقوقها التي نهبت تريد الإنعتاق من الظلم والطغيان والفقر، كنت في غاية الحماس والسعادة من خروج

الشعب بحثاً عن مصالحه.

لذلك بدأت أتابع الأحداث، يشبه ما حدث في الستينيات حيث حركات التحرر في العالم والنضال ضد الاستبداد والتوق للحلم والحرية، ثم كانت الثورة الثانية في مصر ٢٠١١، مصر دولة كبيرة وذات حضارة عظيمة لذلك كنت متأكداً لو أن الثورة نجحت ستكون هي القاطرة التي تقود الثورات في العالم العربي ويتحررون ليس من الحاكم المحلي ولكن أيضا من نير الغرب الرأسمالي الذي يمتص خيرات هذه البلاد ويمد الدكتاتور بالتكنولوجيا الحديثة للسيطرة على الشعوب بالسلاح المتقدم الذي يواجه به الثورات السلمية، لذلك استقر رأيي على مصر فجمعت كتبا في التاريخ القديم والحديث واكتشفت كم هي عظيمة واستغربت كيف لبلد بهذا التاريخ أن يتحول إلى مستنقع نفايات لبشر عفن.

في نفس الوقت كنت أقابل أساتذة مصريين ومن أوربا في جامعة أكسفورد وباحثين مستقلين وصحفيين، جزء من رسالتهم العلمية مرتبط بمصر، كانت هالة القوصي هي الأكثر تأثيرا عليّ ولولا تفهمها وإعطائي مساحة من وقتها لم أكن لأتقدم في عملي لذلك كان علي أن أفكر في هذا الإتجاه، بحثت عن برامج الأمم المتحدة التي تقدمها للتدريب لفهم معمق لثقافات العالم الثالث خصوصا وقد تقدمت من خلال التدريب في مصر بمنحة تقدمها الهيئة لمن لدية برنامج طموحا ولأن ال *cv* الخاص بي مناسب فقد قبلت وقد قبلت كمتدرب وكان هذا إنجازا عظيما لي في سلسلة خطوات لإنجاز ما أريد.

(٥)

عندما سافرت من إيطاليا إلى لندن شعرت بمشاعر عديدة في نفس الوقت شعرت أنني حرا، نعم حر ولم أعرف أنني كنت محملا بأعباء ومقيداً داخل ذاتي رغم أننا أسرة متفتحة وهناك ثقة كبيرة، ولكن هنا شعرت أني خفيف كطائر ومبتهج بشكل لم يحدث كما كنت، عندما أنزل الشارع للذهاب للمؤسسة التي أعمل بها أشعر بالضياع والإنبهار من هذا التدفق الهائل من الناس، الكل مندفع ويعرف طريقه حتى شبكة القطارات تحت الأرض وعلى الأرض مذهلة، بل كما أن حركة الطائرات كثيفة في السماء حيث لا تمر ثانية واحدة دون عبور طائرة لذلك لا يمكنك سوى أن تلحق بوتيرة الركب الذي رغم إثارته للتوتر يبعث على التحفيز أيضًا.

الجو ما زال باردا هنا والأمطار أحيانا تستمر بالهطول لمدة ثلاثة أيام مناخ سيئ جدا، ولكن قيادة الدراجة تجعلني أشعر دائما بالدفء فهي من الرياضات المفضلة ولا أكتفي بالمشاوير اليومية، ولكن أقضي وقت فراغي في التجول بالدراجة يشعرني ذلك بتحسن وتساعدني على تنظيم أفكاري بخصوص أي موضوع يشغلني، ولا أترك الدراجة إلا وأكون قد توصلت لخيار ما من خياراتي العديدة من الرياضات الأخرى لعبة البنج بونج، وممارستي لها غير منتظمة. في وقت النهار يعتبر سوق برودواي وريجينت كانال هما المكانين المثاليين بالنسبة لي للتمشية أو احتساء القهوة مع صديق، لكن لا تُضاهي دالستون وشورديتش من حيث المتعة بعد الساعة ١٠ مساء.

تركت بريطانيا وعدت إلى إيطاليا لأقضي بضعة أيام مع والديّ قبل السفر لمصر ثم حجزت للسفر لمصر وفي الليلة الأخيرة أقمت حفلة بسيطة دعوت فيها أصدقائي وأقربائي وجيراني وقضينا وقتاً نتسامر ونحكي ثم نمت ثلاث ساعات، قمت وحملت حقيبتي

وخرجت من البيت دون أن يراني أحد، الجو بارد والصقيع يلهب وجهي انتظرت التاكسي على الطريق العام وبعد فترة وجدته يقف أمامي ركبت السيارة وانطلق بنا حتى وصلنا لمطار صغير في مدينة ترستي ركبنا طائرة صغيرة ومنها إلى مطار ليوناردو دافينشي حيث وصلت قبل الميعاد لرحلتي المتجهة للقاهرة، أنهيت الإجراءات وصعدنا الطائرة ثم نزلت المطار للمرة الأولى الساعة الواحدة ظهرا، كان الجو خانقاً فدرجة حرارة يونيو مريعة في القاهرة لذلك خلعت البلوفر الثبيتي الذي أرتديه وشبكته من الأكمام في رقبتي وظللت بقميص أبيض مخطط بخطوط زرقاء تحولت في السوق التجاري المفتوح في المطار واشتريت زجاجة عطر وكثيراً من علب البيرة واشتريت بعض أقلام الرسم لصديقي الفنان إيهاب مصطفى والذي تعرفت عليه في بريطانيا، التعامل مع موظفي المطار جيد والمصريون يمتازون بالدفء والحميمية، خرجت من المطار وجدت هدى صبري زميلتي في جامعة كامبريدج في استقبالي لا أعرف ماذا كنت سأعمل في مدينة أنزلها للمرة الأولى، بالتأكيد كنت سأضيّع كثيرا من الوقت، ولكنها وفرت عليّ الوقت والجهد، رسمت خارطة طريق لي جعلتني أندمج بالقاهرة خلال فترة بسيطة صديقة ودودة صبورة لديها إصرارا ومثابرة دائما لديها استعدادا للمساعدة كأنها مفطورة على ذلك لديها كرم عربي لا يمكن تصوره، أحيانا كنت أتصل بها وأسألها عن شريحة اجتماعية موجودة في مصر، عن مرتادي موالد الرجال المقدسين، فتقدم في اليوم التالي بحثا مستفيضا عن الموضوع الذي أريده، لذلك عندما قررت السفر لمصر كان طبيعي أن أتصل بها لأطلب منها أن تساعدني على الأقل في بداية وجودي لكي توفر عليّ وقتاً، لقد قامت بكل ما طلبته منها أنا مفعم بالحماس بسبب الحالة الثورية التي تمر بها القاهرة، صحيح يضايقني جدا أن يقود المسار السياسي تيار الإسلام السياسي وكل ما أخشاه أن تتحول مصر مثلما تحولت إيران إلى حكم الملالي، ويقومون بإقامة نظام راديكالي أُصولي يغلق المجال العام ويحد من الحرية الفردية ويراقب الصحف ويدمر السينما أو يحولها لأداة في خدمة أيديولوجيا النظام، طبعا هناك فروق كبيرة أعرفها بين النظامين ولكن التيار الديني في كلتا الحالتين يستمد حكمه من

الله، صحيح أن الإخوان المسلمين يبدون متحضرين مسالمين ويبدو أنهم مؤمنون بالعمل المدني والممارسة الديمقراطية، وبالتالي فلا طريق أمامهم سوى الحكم المدني ولكن هل هناك ضمانات لذلك؟ هل يوجد ضمان حقيقي الذي أعرفه من خلال الصحف، خاصة أنني منذ أنهيت دراستي الجامعية في اللغة العربية والعلوم السياسية في جامعة ليدز وأنا لدي هوس بما يحدث في مصر خاصة مع إندلاع ثورة ٢٥ يناير، لا يحدث كثيرا في التاريخ أن تعيش في وسط مجتمع ثائر للتخلص من نير الظلم والطغيان لذلك عندما جاءت لي فرصة للعمل كمتدرب في الأمم المتحدة في مصر قلت: فرصتي، أنا على المسار وهناك عناية من نوع ما تظللني صحيح أنا مثابر وأقرأ بجد وتعلمت أربع لغات ولكن كم من الخريجين يمتلكون مؤهلات مثلي ولم يوضعوا في المكان الذي يحبونه، أنا أتوق للقاهرة، التاريخ العريق والحضارة، الهرم، أبو الهول، النيل، المعابد التي أثرت في البشرية والحاضر الثوري كنت أتابع صفحة خالد سعيد الذي يديرها وائل غنيم مهندس الحاسوب الصفحة التي تصنع التاريخ والنشطاء اليساريين الصحافة بها حرية كافية لقيادة التغيير ودور السوشيال ميديا كمنصة للدعوة للنزول للشارع لكسر جبروت الطاغية ثأرا لخالد سعيد، وكل خالد سعيد الذي مات ضحية تعذيب النظام الأمني المتوحش.

قبل سفري طلبت مقابلة مع د هالة القوصي أستاذة علم الاجتماع بكامبريدج والتي التقيتها عدة مرات بتدبير أستاذة آن براون التي تتلمذت على يديها في ليدز والتي أكمل دراستي العليا تحت إشرافها عن "النقابات العمالية كوسيلة للإصلاح والتنمية في مصر" ولكنها كان لها رأي أن أقرأ الواقع المصري عامة، بانوراما عامة وبعد ذلك أحدد المجال الذي أختاره أو نتفق عليه معاً بحيث أقدم جديداً لذلك اعتبرت عملي في الأمم المتحدة يضرب كما يقول المثل عدة عصافير بحجر واحد، أنا أنمي لغتي العربية خاصة أنني أعشقها وأريد الكلام بها طوال الوقت ثانيا أتعرف على المجتمع المصري الثائر ثالثا سياحي أنعم بدفء الشمس وأرى الأماكن الطبيعية الفاتنة والآثار وأبو الهول العظيم والأهرامات الشامخة، كنت أتناقش معها قبل أن أسافر وشرحت لها مخاوفي من تراجع ثوري خاصة

قالت: لا حل آخر أمام المصريين إلا بتفكيك الحالة العصابية السياسية وتدمير الطبقة السياسية التي اختطفت الحكم في مصر بداية من ٥٢ إلى الآن.

قلت: الحرب ضد الجميع بدون قيادة قوية صعب.

معك حق ثورة يوليو خلقت مجتمع معوق جاهل متخلف، يقتات على الخرافات والجهل والتعصب التكتل الذي يحكم مصر يدافع عن مصالحه عن الثورة والسلطة، النظام المصري بداية من ثورة يوليو وهو يأخذ المصريين رهائن بصناعة أسطورة كراهية في الخارج وتمثل في إسرائيل وحلفاءها وفي الداخل جماعة الإخوان.

قلت: ليس هنا كخلاف في دكتاتورية وإجرام النخبة السياسية التي تحكم البلد ولكن مشكلتي الأساسية في تيار الإسلام السياسي فتكوينها فاشي يستطيعون التحلل من كل وعودهم وتعرفين جيدا دكتورة أن الغرب وإسرائيل لن تقف صامتة وسيفرضون طوقاً قاسياً من خلال حلفائهم العرب لتتحول مصر لدولة فاشلة تعيش في مجاعة ثم إن لديكِ جيشاً قوياً وصارم ويعيش على المنح والسمسرة، هل تتصورين أن هذا الجيش سيقف صامتاً.

قالت: أعرف جوليو الكل يخاف من جماعة الإخوان، كل من زاوية تخصه الخليج يخاف حكامه على عروشهم لذلك أصيبوا بهستيرية وجنون عندما رأوا نفوذ جماعة الإخوان يتزايد بشكل مخيف أما إسرائيل فسيطرة حماس على غزة وهم يمثلون جزاء من جماعة الإخوان المسلمين وسيعتبرون وجودهم في الحكم شوكة وإسرائيل لن تصمت منذ توقيع معاهدة السلام مع مصر إنها بدأت تعمل من خلال رجالها وتعبث بالداخل وظهر ذلك من خلال خلق انقسام مجتمعي حول الإعلان الدستوري الذي صيغ أثناء حكم المجلس العسكري، البعض يرى أن كتابة الدستور أولا، والآخر يرى أن إقامة انتخابات وصياغة دستور من خلال مجلس الشعب المنتخب هو الحل الأمثل، وكأن الدستور في حد ذاته سيحل الموضوع ويخلق مناخاً سياسياً طبيعياً، ليس لدينا دستور هنا في المملكة المتحدة، الإرادة السياسية والقوة الشعبية الحامية هي الضامن الأساس برأيي للديمقراطية وحقوق

الإنسان والعدالة وحكم القانون ولكن هذا وضع للعصا في العجلة كما يقول المثل.

قلت: الوضع إذا في غاية التعقيد!

قالت: لا تنس أنه تم تخليق مجتمع رجال الأعمال ليس من خلال مناخ مالي طبيعي، بل من خلال الفساد وتزاوج السلطة والمال لذلك تم تخليق كائنٍ مشوهٍ من اللصوص والجواسيس والممولين، نعم هناك مال يجري باتجاه القاهرة سواء من الإمارات أو من السعودية تعرف أن السعودية قدمت للجماعات السلفية ١٩١ مليون دولار في ٢٠١١ وقد كشفت عنه صحيفة أخبار اليوم، وطبيعي أن وراء هذه المال أجندة ما من الذي يضعها ومن الذي ينفذ هناك كلام كثير في الموضوع من الصعب حسمه، وهم يستطيعون عمل أي شيء لكي يستمر الوضع على ما هو عليه دون تغيير، لذلك كانت المقاومة عنيفة وستظل الثورة المضادة تلعب بقوة هل تنجح عموما الجماعات الثورية التي تقوم بمظاهرات لتنظيم انتخابات؟ يعني أنت ذاهب للقاهرة وهي على صفيح ساخن ولديك فرصة لتتعلم.

قلت: من حق هذه الدول اللعب يا سيدتي لا تنسي أن العلاقة بين الدول صراع إرادات من يملك أوراقاً يحصد السياسة كما تعلمين ليست عملاً خيريا.

قالت: لست ضد ولكن برأيي أن إسرائيل والغرب عموما تخطئ خطأ فادحاً، فرغبتها الدائمة في تقزيم مصر وحصارها ودعمها للأوغاد وجعلها في القاع لن يكون في صالح حتى مصالحها على المدى البعيد، ولكن إنخراط مصر في العملية الديمقراطية ويحكمها نظام راشد على المدى البعيد سيكون في صالحها اقتصاديا وسياسياً، فمصر بلد كبير وإفشالها قد يضر الجميع.

(٦)

اتصلت بها وأنا أخرج من المطار، بيدي الحقائب أخذت أتلفت حتى وجدتها تلوح لي بيديها أحسست بالفرح وكأني طفل صغير تائه وجد أمه بعد غيبة طويلة فقد كانت بيننا ذكريات جميلة وسهر وأبحاث ومحاضرات فهي شغوفة بالأدب الإنجليزي ولا تطيق أبدا الأدب الفرنسي، وأنا كنت أتعجب وأصرخ فيها، فرنسا بودلير ورامبو، جان جاك روسو، فيكتور هوجو، جان بول سارتر، أندريه شديد، إميل زولا ألكسندر دوماس سيمون وسارتر وجيفارا، السرياليون العظام لويس أراغون وأندريه بيرتون وبول إيلوار وفيليب سوبولت، جان ماري غوستاف لوكليزو، إميل زولا، أناتول فرانس، كانت رؤيتها جدية في الفن والأدب، وما لا تحبه لا تبذل مجهودا ولو قليلا لمحاولة استيعابه، لو استطاع الكاتب جذبها تستمر في القراءة لو لم تستطع، رمت الكتاب وراء ظهرها وقد قلت لها عشرات المرات إن الصفحات الأولى غير كافية وعليها أن تستمر في القراءة، أما في مجال تخصصها فهي لا تعطي للعواطف أي أهمية لديها برنامج صارم لا تحيد عنه، لأنها طموحة ولديها رغبة في تولي منصب قيادي بالقاهرة، إعتمادا على قدراتها وهي فِعْلاً لديها وجهة نظر ومثابرة، فهي بالنسبة لي نموذج للمرأة الذي أقدرها، المشكلة التي ستقابلها هو أن النظام الدكتاتوري لم يتفكك بعد فهو يسيطر على كل الأمور ولا يؤمن بالكفاءات، بل الأقرباء والمتسلقون والأغبياء ويزيح كل صاحب فكر أو وجهة نظر، ولا يطيق الاستقلالية، فكيف لباحثة جادة تربت على الاستقلال.

جريت إليها واحتضنتها بعمق، وبجهد استطاعت أن تفلت مني، نحن في القاهرة يا مجنون، تلفت حولي سائق التاكسي نظر إلينا وابتسم وشد نفساً عميقاً من السيجارة ورماها ثم حمل الحقائب ووضعها في الشنطة، وركب وأدار محرك السيارة ولم أنتبه لأنني

كنت مشغولاً معها أحكي لها تفاصيل ذكرياتنا، حتى أطلق السائق(كلاكس) قوياً فانتبهنا وجرينا نحو السيارة، ركبنا، وفي الطريق أخرجت هديتها التي كنت حريصاً على أن أهديها إياها في أول مقابلة معها في القاهرة وهو عطر *Habanita Molinard*، وهي مهووسة بهذا العطر ولا تمل من الحديث عن فتنته.

وجهت السائق لحي الدقي قلت لها لماذا؟ أنا أريد أن أسكن في وسط البلد قالت لي: إن الأمور خطيرة وأن الإعلام الآن يروج لمؤامرة كبرى لتحطيم مصر يقودها عملاء من الخارج، وأن الأجانب ينظر لهم بريبة، لذلك استأجرت لك غرفة في شقة برفقة اثنين مرافقين لي وهما جوليان وهي معلمة في مركز للتعليم الألماني، وهناك محامي مصري محمد إبراهيم، ٨ شارع ينبع المتفرع من شارع الأنصارى، وهو عقار مكون من ٤ طوابق فوق الأرضي، أقطن بالطابق الثاني وتحديدًا بالشقة «٤»، العمارة قديمة ولكنها لطيفة السكان معظمهم أجانب ما عدا المحامي المصري ومحمد منصور وكيل نيابة الذي يقيم بذات العقار بشقة يمتلكها أحد أقربائه وفد إليها بحكم عمله الحالي في القاهرة كما عرفت من هدى الحي هادئ والشارع أكثر هدوء، لقد أحببته منذ أن وصلت وسرت فيه ثم تذكرت إنني نسيت البلوفر داخل التاكسي نظرت لهدى وقلت لها، البلوفر أريد أن أستعيد البلوفر، فضحكت وقالت: أظن أن سائق التاكسي يرتديه الأن إنسى جوليو، سرنا قليلاً رأيت محلا لبيع السلع الغذائية مررت عليه واشتريت علبة سجائر آل أم أزرق، وكيس شيبسي ولبن وعلبة جبنة بريزيدول وخبز لقد كنت جائعاً جدا.

البائع رجلٌ عجوز يبدو عليه الطيبة ودود ومنفتح يبتسم طوال الوقت، دخلنا الشقة مع البواب الذي حمل معي الحقيبة، تناولت الغذاء وأخذت أتكلم مع هدى بصفتي متدربا في وكالة تابعة للأمم المتحدة الذي يتيح لي الاقتراب من الحالة الثورية التي تعيشها القاهرة، ثم مددت رجلي على الكرسي واستغرقت في النوم بسبب متاعب السفر عندما قمت من النوم لم أجد أحداً في الشقة فقد غادرت هدى والبواب، فتحت نور الشقة وفتحت علبة بيرة وخرجت للبلكونة أخذت أنظر للمنازل القديمة، والشوارع والناس التي تسير منهمكة

تحمل أعباء وهموماً هذه تجربة فريدة بالنسبة لي تقاوم مشاعر الغربة، عاودت الذهاب للثلاجة وإحضار علب البيرة.

دخلت الحمام أخذت دش فشعرت بالانتعاش والرغبة في النزول لمشاهدة ميدان التحرير وعندما اتصلت بهدي قالت: عليك أن ترتاح الأول، وغدا صباحاً ستمر عليّ.

كنت أتحرق شوقا لمشاهدة ميدان التحرير، هذا المكان العظيم الذي شهد اعتصام المصريين ضد الرئيس الكهل الفاسد المجرم الذي ظل في الحكم ما يقارب الثلاثين عام.

في الصباح كنت أنتظرها في أول الشارع بعد أن اشتريت علبة آل أم وجدتها تعطي كلاكس ثم نادتني، نظرت فوجدتها في سيارة كيا ركبت في الكرسي الخلفي عرفتني على صديقها سعد غنام أستاذ في الاقتصاد السياسي بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، وأخذنا نحكي عن الحالة الثورية النشطة التي تحدث في مصر، الحياة والمجتمع والإقتصاد حتى وصلنا ميدان التحرير، هو ذهب بالسيارة لركنها بجراج الجامعة ونحن توجهنا للميدان كانت هناك خيام وتجمعات ومجموعات تهتف وأخرى تغني وأخرى تناقش كان الوضع حيوياً جدا وأنا كنت سعيداً بشكل لا أحد يتصور مداه، الحرية هي الحياة غير ذلك تفاصيل وهذا الشعب الحضاري العظيم يستحق أن يكون حرا، أخذت هدى تلتقط لي صورا في أماكن مختلفة من الميدان وأقوم بإرسالها بعد ذلك لوالدي وأختي مارين عبر الواتس أب، ولكن ماما لديها فضول لتعرف كل ما يحدث في القاهرة خاصة أنها بعد التقاعد أصبح لديها فائض وقت فكنت قبل أن أنام أفتح الواتس وأحكي لها عن مسار الأحداث الساخنة فهي مهتمة بالعمل السياسي وقد شاركت في المجال المحلي.

كان أول ما تكلمت معها عن ما جرى من الجيش حيث ثارت قضية فظيعة فعلا وهي كشوف العذرية حيث تحلت فتاة وتكلمت عن ذلك في الإعلام ومنظمة العفو الدولية وهذا يعد عملا شجاعا لأن المجتمع هنا محافظ جدا. والحديث عن ما يخص الجنس هنا يعتبر ذنب وتفقد الفتاة التعاطف وتجد نفسها منبوذة من المجتمع، لذلك أنا سعيد جدا بهذه الفتاة الجسورة وما حدث يا ماما هو أنه تم القبض على الفتيات الثوريات

اللاتي تهتفن ضد القمع وحجزهن في معسكرات مثلما كان يحدث في ألمانيا أثناء الحكم النازي، وقد قاموا بتعذيبهن دعيني أترجم لكِ شهادة فتاة سجلتها في الإعلام لتعرفي كيف هو الحكم الفاشي العسكري.

تم اعتقالي أنا وثلاث فتيات وقاموا بوضعنا بسيارة الشرطة ووضع القيد الحديدي في أيدينا، وكان هناك شرطيان يحرسان السيارة وكانوا من مناطق ريفية ويبدو أنهما لم ينالا أي قسط من التعليم ففوجئت بواحد منهما يضع يده على مؤخرتي، انزعجت وصرخت فيه وهددته بعمل قضية له فقال: أنا قربت منك يا مرة، قلت له أنا مش متزوجة أنا بنت، فضحك ضحكة ساخرة وجلس على حافة الباب وأخذ يهمس مع زميل له وهو ينظر إلى الجزء الظاهرة لنهدي بشراهة خفت وقمت وقد طلبت من زميلة أن تجلس مكاني لأنها كانت محجبة لأنها تنتمي للتيار الإسلامي وعندما شعرت بخطورة الوضع أخرجت مصحفاً صغيراً من حقيبتها وأخذت تقرأ فيه بصوتٍ عالٍ ويبدو أن قراءة المصحف جعلتهم يشعرون بالخزي، فتقدم مني الشاب واعتذر لي فلم أرد عليه، وعندما نزلنا عرفنا أننا في سجن عسكري في الهايكستب، ثم طلبوا منا الدخول لصالة ألعاب كبيرة، والألعاب مكومة بجوار الحائط، ورغم أن الجو خارج الغرفة كان يبدو دافئا ومحتملاً ولكن هنا المكان بارد جدا لدرجة أنني كنت أرتعش، طلبت من العسكري أن يغلق الباب ولكنه رفض وسب لنا الدين وقال الوسخين اللي مثلكم عايزين الحرق، لأنهم شوية شراميط ملهمش أهل يربوهم، فلو لديهم أب يشكمهم ما كانوا تسكعوا في الشوارع يريدون هدم البلد، ثم دخلت حارسة وطلبت منا أن نخلع ملابسنا ولكننا رفضنا، فقامت الحارسة وشدت أقرب بنت منها من شعرها وأخذت تصفعها على وجهها ورمتها على الأرض وأخذت تمرمط فيها وصرخت فيها أخلعي ملابسك. فقامت بخلعها ثم قالت: أي واحدة ترفض مصيرها سيكون مثلها، لم نجد مفر سوى الإنصياع، ولكننا توسلنا لها أن تقوم بغلق الباب، ليس لأن الدنيا برد داخل الغرفة ولكن لأن هناك أكثر من عسكري خارج الغرفة وفي أيديهم موبايلات ولكنها رفضت وعرفنا أن هذه جزء من العقوبة، وعندما أجبرنا

على خلع ملابسنا كان هناك بالفعل عسكري يقوم بتصويرنا ولا أعتقد أنه العسكري لديه الجرأة على فعل ذلك دون دعم وتشجيع من قائد الكتيبة، فمعروف عن الجيش المصري الصرامة والجندي لا يستطيع فعل شيء مخالفا وإلا تعرض لعقوبات قاسية، ثم دخل طبيب يرتدي الملابس الميري، ثم دخل طبيب آخر قصير نوعا ما، وجهه أبيض بيضاوي، أنيق، يثبّت شعره الخفيف بكريم شعر، قامت السجانة بإحضار تربيزة رياضية، كانت كل فتاة وراء الأخرى تنام على الترابيزة، ويقوم الطبيب بالكشف القسري علينا، وكلما اعترضت واحدة تقوم السجانة بصفعها أو شدها من شعرها، وعندما انتهينا خرجنا في ساحة المعسكر، وقد سمعت لواءً يقول لآخر، أو هو حاول أن يرسل لنا رسالة واضحة لا لبس فيها وهو يشير إليها وزميلاتها من المتظاهرات المعتقلات البنات دي إحنا عارفينها، دول بتوع مظاهرات، إحنا نروحهم ونخليهم مينزلوش التحرير تاني، أحنا جايبنهم من بيت دعارة في تهديد واضح بتلفيق تهم ممارسة البغاء إليهن، تم حجزنا في سجن خاص بنا يطل على سجن المجندين، فكنا نسمع منهم ألفاظ بذيئة وصراخ وتأوهات من النافذة الصغيرة المواجه لنا، لذلك أغلقنا حتى هذه النافذة بورق كارتون، ثم توالت الإنتهاكات والعنف ضدنا: كانوا بيكهربونا، يسكبون علينا ميه ويشتمونا بألفاظ مقززة وكان فيه ناس بتضربنا بالجزمة، بيندمونا على نزلنا يوم ٢٥ وعملنا ثورة ولكننا لم ولن نندم على مشاركتنا في هذه الثورة العظيمة.

انشغلت في العمل الجديد حتى اتصل بى يوم الأحد سعد صديقي الجديد الذي عرفتني به هدى وهو غاضب وحزين، وفهمت منه أن المجلس العسكري يسحق الأقباط في أحداث ماسبيرو حيث كان هناك تجمع كبير للأقباط بجوار مبني الإذاعة والتليفزيون الحكومي، وكانوا حانقين جدا بسبب ما يتصوره غبن يحيق بهم، خاصة ما يخص أماكن العبادة، لم أعرف إن كانت هذه الثورة معتادة أم أن الثورة شجعت كل أطياف المجتمع لنيل حقوق بالضغط والإحتجاج للحصول على حقوق أو إمتيازات عموما في النهاية هذا حقهم وهكذا هي السياسية، وكان الموضوع الذي أجج الثورة لديهم ليس فقط هدم

كنيسة تحت الإنشاء بأسوان، بل التصريحات المسيئة من المحافظ، وهو لواء سابق وهذا تقليد من تقاليد النظام الدكتاتوري أن يتم مكافأة بعض رجال الأمن أو الجيش السابقين بتعينهم رؤساء أحياء أو وزراء أو محافظين، وقد تم استعداء أهالي بولاق أبوالعلا وهذا الحي الشعبي الذي يعمل معظم أبناءه بالتجارة ويملك فيه بعض رجال الأعمال شركات وأعضاء مجلس الشعب لديهم نفوذ كبير، والبعض منهم يعمل في أعمال ممنوعة مثل تجارة المخدرات والسلاح، وطبعا مرتبطين بقيادات أمنية، وهناك أيضا كثافة سكانية لذلك البعض يعيش متعطلا فيقوم بالعمل بلطجياً لصالح كبار رجال الأعمال المرتبطون بالسلطة ويبدو أنهم حصلوا على الضوء الأخضر منهم، وقد قام الإعلام الحكومي بتهييج العوام، فتدفق الكثير من الأماكن المحيطة بمثلث ماسبيرو وأحاطوا بالأقباط المعتصمين فقاموا بالتعدي عليهم وضربهم بالعصي والزجاجات الحارقة، والقوة العسكرية من جانب ميدان التحرير، بدأت في الهجوم هي أيضا عليهم تحركت ثلاث مركبات مدرعة، الواحدة تلوى الأخرى، بشكل متلاحق وسريع في شارع كورنيش النيل في اتجاه كوبري أكتوبر، ثم تبع ذلك تحرك مركبتين مدرعتين في نفس الإتجاه لكوبري أكتوبر، وكانت حركة المدرعتين الأولى والثانية بين المتظاهرين بالغة السرعة ودائرية، فغيرت خط سيرها من الإتجاه صوب كوبري أكتوبر إلى الإتجاه المعاكس صوب ماسبيرو، ونتيجة للسرعة الشديدة التي كانت تسير بها المدرعتان الأولى والثانية، قامتا بدهس عدد من المتظاهرين ليسقط اثنا عشرة من القتلى بالإضافة إلى حوالي خمسة من الجرحى بإصابات بالغة.

لم أستطع أن أفهم كل الكلام الذي قاله صديقي لأنه كان يتكلم بسرعة كبيرة ولكن فهمت أن الأمن المصري قام بمجزرة أخرى ضد الأقباط، دخلت على الإنترنت من الجهاز وأخذت أتابع أخبار ما يحدث وأحط بما يجري وقد أصبت بإحباط وخوف أيضا، فهذه الأجهزة لا تأبه بأرواح البشر ويبدو أنها متغول على المجال العام ولا يمكن كسرها بسهولة كما يعتقد البعض لذلك قررت بيني وبين نفسي أن أكون حذرا وأنا أبتعد بمسافة كبيرة لكي أكون بأمان رغم أن الأجانب هنا يعاملون بشكل خاص فهم محميون بمجرد إخراج

جواز السفر لهم يتم التعامل بطريقة لائقة أكثر من اللازم، ولكن الآن من السهل دفع واحد بلطجي ليقوم بقتل أي إنسان، فلقد عرفت أن البلطجية أصبحوا يتحكمون في مناطق كثيرة في المدن، وهناك بحث يؤكد أن نظام مبارك يستعين بهم في الإنتخابات، وغيرها من الأمور الذي يصعب على الشرطة القيام بها، حتى لا يثيروا الرأي العام والذي يقدر عددهم ما بين ٣٠٠ ألف إلى نصف مليون وينتشرون في المحافظات، لذلك أفكر في الذهاب للإسكندرية لقضاء يومين وبعد ذلك أعود للبحث عن صديقي الفنان إيهاب مصطفى، في اليوم التالي عرضت على هدى أن تذهب معي ولكنها كان لديها بعض الأمور التي تشغلها في العمل لذلك لم أضغط عليها، ولكنها حجزت لي في فندق كانت تنزل فيه عندما تذهب لتقضي فترة من الراحة بعيدا عن سعار القاهرة قلت لها: أريد الذهاب بالميكروباص بدل السوبر جيت قالت: ولما؟ هناك خطورة، قد يتصور أحد البلطجية أن لديك مالاً كثيراً، فيفتعل معك مشاجرة ويسرقك، قلت لها: لا شيء يدل على أني أجنبي، لقد تركت لحيتي تنمو ولا أخرم أذني بقرط ولا أطيل شعري أو أضع أساور في يدي، لن أختلف عن أي مصري يسير في الشارع، مجرد مواطن يرتدي بنطلون جينز وتي شيرت أخضر غامق، قالت خلاص خذ تاكسي وانزل رمسيس أسأل على ميكروباص الإسكندرية، فعلت ما أشارت به وأخذت تاكسي كانت الساعة تشير إلى الرابعة مساءً والزحام والأصوات العالية أفقدوني القدرة على التركيز، لذلك وقفت فترة حتى أستعيد توازني ثم سألت أحد الباعة الجائلين والذي كان يضع على كتفة ساعات رخيصة ونظارات وولاعات وسلاسل ومشابك. فيه حافلة ذاهبه للإسكندرية هناك؟ أشار لي بيده إلى أسفل كوبرى أكتوبر وهو يقول: الميكروباصات اللي قدامك دي كلها بتحمل إسكندرية، تركته وسرت خطوات قليلة فوجدت أحد الأشخاص يسأل إسكندرية يا أستاذ؟ وآخر يُردد نفرين إسكندرية وثالث يقول موقف ٢١ إسكندرية، ركبت الحافلة التي عليها الدور لم يكن العدد مكتمل فأخرجت السماعة ووضعتها فى أذني وأنصت لأغاني لويس أرمسترونج، بعد فترة انطلقت السيارة كالريح وسط السيارات بعد فترة

ضقت بالموسيقى فخلعت السماعات بعد أن خرجنا من المدينة بقيت أركز على الطبيعة، ثم بدأت أنصت للركاب وكل واحد يدلي بدلوه في ما يجري في البلد، البعض ينحاز لتيار الإخوان والبعض ينحاز لأبي إسماعيل ويراه الوحيد القادر على فرض النظام بالقوة، وهناك من ينحاز للمؤسسة العسكرية ويراها الأجدر بحكم مصر باعتبارها عمود الخيمة والقوة الضاربة، حاولت أن أشارك ولكن لم ينصت إلي أحد ثم فجأة قال: آخر نكتة أمنية واحد مصري يا ريت مبارك كان ضربنا إحنا الضربة الجوية وراح حكم إسرائيل ٣٠ سنة، كان زمانهم شحتوا دلوقتي مبارك بعد ما مات قابل السادات وعبد الناصر، سألوه: هاه سم ولا منصة؟ رد عليهم بحرقة وقال: فيس بوك! واحد رد عليه وقال: قديمة رد صاحب النكتة دي تبقى أمك، انفعل الرجل وكاد يشتبك مع الرجل فقال له: الإفية حكمت، وأخذوا يضحكون مرة ثانية، ثم عادوا مرة ثانية للكلام عن السيناريوهات القادمة وكل واحد متمسك برأيه ويتهم الآخرين بالجهل والغباء، ثم عادت الإشتباكات الكلامية أكثر عنفاً، حتى كادا أن يتشاجرا بالأيدي، ولكن السائق توقف في الطريق وقال: أنا مش هدور السيارة إلا لو كل واحد التزم الصمت، وفعلا الكل التزم الصمت وأكمل الطريق، وصلنا ميدان سيدي جابر الساعة التاسعة مساءً.

ركبت تاكسي وقلت له اسم الفندق، وبمجرد وصولي شعرت بالإنهاك فدخلت غرفتي وارتميت على السرير، ثم فكرت وقلت لنفسي، أنني قضيت فترة طويلة من حياتي منهك في الأبحاث والتعليم ولقاءات مع خبراء، ولم أنعم بيوم إجازة، لماذا لا أقضي وقتاً أفرغ فيه ذهني من الحياة العملية وأجرب العيش بحرية دون هدف، أقابل بشر وأتكلم معهم وأستجم على البحر وأشاهد أفلاما سينمائية وأسمع موسيقى وأتسامر مع المصريين، لن أظل طوال العمر عبدا للحياة العلمية، هناك وقت يجب فيه أن أقول توقف هنا، ثم في النهاية يجب أن أوضح لنفسي جيدا أنني هنا كمتدرب لا أكثر ولا أقل وعلاقتي بالسياسة يجب أن تظل نظرية مجرد أجنبي يعمل في بلد، لا يجب أن أنجرف للواقع السياسي المباشر لقد تعلمت جيدا أن أعرف على أي أرض أعيش وما هو المسموح به والغير مسموح في

مهمتي، فقط أن أكوّن صداقات تفيدني كباحث. بقيت في الإسكندرية مطلق الحرية، أتحدث مع الناس في كل مكان عن الثورة والهجرة إلى إيطاليا، الكل يريد المهاجرة من هذا البلد الذي يعاني الفقر وغياب أي أمل حتى مع الثورة في عيشة آمنة، وقد سمعت من رجل عجوز سخر من الثورة وقال: مصر نشأت على اللي فوق فوق واللي تحت تحت، ولن تتغير أبدا، تحدثنا عن النساء والغناء والبحر وكلما مر يوم أحس بالاندماج هنا، مسحور بلغة المصريين العامية وكنت أريد أن أكتب رواية بالعامية المصرية وأنشرها في مصر، لقد كانت الأيام تتوالى وتزداد رغبتي في الاستقرار بهذه البلد وفي يوم كنت أسير بشارع النبي دانيال فوجدت فتاة تقف في مواجهتي وقالت: لي أنت إيطالي؟ ارتبكت وقلت نعم، لم أكن أعرف أن ملامحي مميزة مع أن كثيرين يتصورونني مصرياً حتى أتكلم، قالت أنا إيطالية أعيش في نابولي، وأنت؟ قلت: من تريتسي قالت: واو مدينة جميلة، وعزمتني على الغذاء ولكنني صممت على أن أعزمها، أخذنا نتكلم عن القاهرة والعالم العربي فقالت أن أصولها عراقية ولكنها بعد الخمسينات ونمو التيار القومي وقيام إسرائيل سافرت عائلتي إلى إسرائيل وتزوج جدي هناك، ولكن لم يكن يشعر بارتياح وبعد إنجاب أبي قرر السفر والاستقرار في إيطاليا، ولقد ولدت في إيطاليا ولم أزر إسرائيل حتى لم أجد أي إغراء ولكن كنت دائما أشتاق لبغداد، لشوارعها ونهر دجلة والفرات والمقاهي والبارات، ولقد تعرفت على الأغاني العراقية خاصة القديمة مثل عفيفة اسكندر وسليمة مراد، وزهور حسين، ناظم الغزالي ولميعة توفيق ووحيدة خليل، كانت فتاة جميلة ولامعة وفي غاية الذكاء، هناك وكانت حميمة ودودة لذلك اعتبرتها هبه من السماء واقترحت عليّ السفر إلى مرسى مطروح لقضاء أسبوع هناك، لم أستطع أن أرفض فقد أغرمت بها وبجمالها الفاتن، تركنا الإسكندرية وذهبت لمرسي مطروح المكان ساحر، أخذت شقة في شارع الإسكندرية كمان ههه، الإسكندرية تتبعني المكان هادئ ورمل البحر أبيض صافي ويتميز بمياه صافية مذهلة وتتراوح ألوانها المائية بين الأزرق الداكن والفيروزي والأزرق الفاتح وهي تتمتع بمناظر طبيعية خلابة وجوها معتدل وناسها بسطاء مسالمون.

(٧)

بقينا أسبوعاً في مرسي مطروح، تعرفت هناك على مجدي وهو خريج كلية الهندسة وكان من المفترض أن يتم تعيينه كمدرس في الجامعة بسبب تقديراته الممتازة، ولكن بسبب نشاطه السياسي وميوله اليسارية تم رفض تعيينه ثم قُبض عليه وتم توجيه تهمة الانتماء لجماعة سياسية تريد تغيير الحكم بالقوة، وقد حكم عليه بعشرة سنوات، ومع قيام الثورة واقتحام مقرات أمن الدولة خرج ضمن من خرجوا وقد رفع قضية لأحقيته بالتعيين ضمن هيئة التدريس، وحاليا هو يزاول عمل بيع الفاكهة في الشارع، الغريب أنه بدأ يضيق بالحرية ويراها مجرد انفلات غير مجدي مع شعب ظل تحت نير الطغاة طوال تاريخه ويرى أن محمد مرسي شخصاً ضعيفاً سخيفا، عليه أن يقوم بالضرب من حديد على هؤلاء البلطجية الذي يجب قطع أيديهم، كي تستقيم الأمور وأخذ يذكر نماذج من التاريخ وكيف أن نجاح أي ثورة مرهون باستخدام العنف الثوري ضد الثورة المضادة، عبد الناصر لكي ينجح ضرب الإقطاع بالطيران لم أعرف إن كان عبد الناصر ضرب الإقطاع بالنار أم لا ولذلك كنت أنصت فقط لما يقول، السادات بعده مبارك قد حكم بالحديد والنار غير ذلك كان الشعب أكله وأعتقد أن الشعب سيأكل محمد مرسي، ثم بدأ يحكي عن التعذيب في السجون وعن دور السلفيين هنا وقوتهم وبعض من تعرض للتعذيب في أمن الدولة الذي يمثل لكل المصريين الجحيم مجسداً، فهو كما وصفه أحدهم، اللي يروح ما يعود وإن عاد يعود بعاهة مستدامة، كنت أثق أن دولة مثل مصر لو استطاعت التخلص من هذا الإرث الجهنمي ستتحول لدولة متقدمة جدا فأهلها يتميزون بالطموح والرغبة في الارتقاء حد التضحية بالروح في سبيل الانعتاق والتحرر بالهجرة إلى بلاد الغرب الحر والذي يلعن طوال الوقت من المصريين، ولكن يحلمون بالهجرة إليها ولكن هكذا الحكام

الدكتاتور يفشون الريبة والخوف من الآخر، ومن الأشياء التي تنشأ داخل رحم الدكتاتورية والقمع والإذلال والفقر، قلت لمجدي ألاحظ أن هناك تناقضات داخل الشخصية المصرية من خلال التعامل اليومي معها، هل تتفق في ظنك أنا اريد أن أفهمها فعلا، أريد أن أكون قريباً منهم، لأن هناك كثيراً جدا من المواقف التي لا أفهمها أو أتفهمها.

– هناك إرث تاريخي مظلم للشخصية المصرية، فهو يحكم بالحديد والنار ولذلك تولد لديه كم من التناقضات المريعة

ففي الشارع والمقهى، الباص والمترو، العمل، ترى ما يُكتب على جدران المدارس والعمارات على أبواب الحمامات العمومية، ستجد نظرة الناس مزدوجة لأنفسهم ولشعب مصر عموما، وليس فقط من شخص لآخر بل للشخص نفسه، هناك مراوحة رجراجة، ففي لحظة تجده عنصريا يفتخر ببلده افتخارا مبالغا فيه، وفي موقف تالٍ تجده يحقِّر شعب مصر، وفي موقف ينعت الشعب بأفظع النعوت، وفي اللحظة التالية تجده يمدح شعبها: شعب طيب عظيم متحضر، وليست هناك فروق كبيرة بين النخبة والعوام، بين المتعلم والجاهل، الرؤية المشوهة التي يمكن تقسيمها إلى: تحقير الذات وجلدها، والتقليل من شأنها، والإحساس الدوني تجاه الدول والشعوب الأخرى، وتتبدى مظاهر ذلك في عبارات وجمل تستعمل في الشارع، فعندما يخطئ أحد ولا يعتذر صلفاً أو غرورا، تجد الآخر الذي أسيء إليه لا يوجه كلامه تجاه الشخص المسيء، بل يوجهه إلى عموم شعب مصر، هكذا الشعب المصري شعب غبي ومتخلف ولن يتقدم أبدا، وإذا تخلف صانع عن موعد، أو أهمل موظف في وظيفته، يردد المضار: هكذا هم المصريون، شعب مهمل ولن يتقدم أو يتغير أبدا، وإذا استخدمت المعارضة السياسية شكلا من الإحتجاج جديدا ومختلفا ضد السلطة، مثل تعطيل المرور أو الإضراب عن العمل، تتناثر عبارات ممتعضة: نحن أساسا شعب لا نستحق الديمقراطية، نريد دكتاتورا، نريد الضرب بالأحذية، شعب لا يريد حرية، نستمتع بحكم الديكتاتور، شعب لا يمشي إلا بالكرباج نريد الديكتاتور العادل، وفي حلقة من برنامج "القاهرة اليوم"، قال عمرو أديب: "**نريد رئيساً يخلي**

المصريين بني آدميين، نحن شعب نريد الكرباج رأيتم دبي، سويسرا، إسرائيل" وفي القسم الثاني وهو العنصرية والتمركز حول الذات تتبدى مظاهره في الأغاني "**الوطنية**"، خاصة في عهد مبارك والذي تم رصد أكثر من ١٠٠ أغنية "**وطنية**".

يستحيل على أية دولة في العالم أن تكتب لها أغانٍ كما يُكتَبُ لمصر، وهناك نماذج مثل "**المصريين أهم**" ياسمين الخيام، إيهاب توفيق "**هما دولا المصريين**"، "**يبقى أنت أكيد المصري**" لطيفة من فيلم ليوسف شاهين، محمد رحيم "**خير الأجناد**"، رامي صبري "**دايما يارب أحميها**"، شيرين "**مشربتش من نيلها**"، نانسي عجرم "**أنت مصري**"، حسين الجسمي "**اسألوا كل الناس**"، شريف ناصر "**هتفضل حرة**"، محمد حماقي "**أم الدنيا**"، مشاري راشد "**شكرا يا مصر**"، غير الأغاني الكلاسيكية، مثل: أم الدنيا- مصريتنا- يا بوي يا مصر- بلادي وحشتيني يا مصر- قولوا لمصر-وحياتك عندي يا بلدي- ثورتنا المصرية -مصر أول نور في الدنيا- بالأحضان- الله أكبر بسم الله- عظيمة يا مصر- عاشت بلادنا- يا أغلى اسم في الوجود - حلوة بلادي السمرا- الوطن الأكبر- فرحة مصر- ادخلوها سالمين- مصر باقية- رايحين شايلين- صباح الخير على بلادي - سلمولي على مصر- أحلف بسماها وبترابها - أدعوا لمصر - أنا م البلد دي- مصر هي أمي- صوت بلادي - مصر في عيوني.

وقليل من هذه الأغاني تخاطب روح الإنسان، عقله، لكن بكلمات إنشائية سقيمة لا تمت إلى الواقع بصلة، تخاطف عواطف دونية وظيفية، ويتم بث جُمل في حوارات الأفلام مثل: إحنا أعظم شعب في الدنيا . إحنا بناة حضارة ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وتسأل: أنتم من؟ "**مصر عايزك، دي مصر، أنت عارف يعني إيه مصر، اللي يشرب من مياه النيل لازم يرجع لها تاني، مصر مستهدفة، العالم كله يتآمر على مصر**". هناك عنصرية من المصري للمصري، ومن المصري للآخر، هذا أسود عبد بواب إن كان مسلماً، هذا قبطي ٣ ريشة، للمسيحيّ "**ما ينفعش حد ياكل عند مسيحيين أو يشتري**

أكل منهم". عنصريّ ضد العرب "**بدو رحّل، برميل بترول**"، أما السخرية من السودانيين والنوبيين فمثل الخبز اليومي وأمر شبه عادي تغلغل في شوارع قاهرة المعز، وقد شاع في بعض وسائل الإعلام عن الفنان عمرو وأكد أنه فلسطيني الجنسية فنفي وعلق بأن الجهل والعنصرية وقود التطرف، وفي بداية تجربة طوني خليفة في فضائية قال: أنا مرعوب من هذه التجربة وطوال عمري أعشق العنصرية المصرية وأخاف منها في الوقت نفسه.

إن كان جامعيا فهو دبلوم تجارة، سائق شاحنة: هذا قصير وأحول هذه مسلوعة هذه بدينة هذا ليس له عائلة هذا أمه تبيع خضار هذا جاهل هذا فلاح أنت ما تعرفش أنا ابن مين؟ هذا منوفي هذا فيومي، هذا صعيدي قحف تحقير للآخر وحط من شأنه لصالح تمركز ذاتي ليس له قيمة كله يوحل كله، كله يحقر ويحذف الآخر لصالح ذات مريضة، تحقير الفرد للمجتمع هو نوع من استثناء الذات وترفعها وإعفائها من الأمراض الاجتماعية، من تخلف وفساد وجهل وعدم تحضر... إلخ.

– التحضر يصنعه القانون العادل على الكل وليس انتقائي.

السلطة والإعلام والنخبة العاهرة تلقي تبعات ما وصلنا إليه على للمجتمع، وعدم تحميل الدولة المسؤولية خوفا من عسف السلطة، مع أنها الأساس لأن الدولة صانعة الحضارة والتقدم وما دامت لم تستطع أن ترتقي بالوطن والمواطن فهي فاشلة وتتحمل الجزء الأكبر في القضية، ويمكن إجمال الأسباب في الآتي: المستوى التعليمي المتخلف والذي يهتم بالتلقين ويغيب الفهم والبحث والمناقشة والحرية، التفاوت في الدخول بين المصريين وخلق طبقات ذات دخول مرتفعة تحصل عليها من الرشوة والفساد واستغلال النفوذ والواسطة وطبقات تعيش على الحافة، عدم الثقة بالنفس وغياب الثقافة نتيجة عدم اهتمام الدولة بالجانب الثقافي والذي جعل الفرد غير قادر على التعبير عن ذاته أو التعامل الصحي مع المشاكل التي تقابله في الشارع، أو الإرتقاء بأفكاره وروحه عن العنصرية والتمييز، غياب القانون وتوحش البلطجة والعنف وإحساس المواطن بعدم الأمان وسائل

الإعلام المرئية والمسموعة التي تروج مقولات فاسدة وغير صحيحة عن شعب مصر المختار، العظيم... إلخ.

وستظل برأيي هذه الحالة مزيجا من السادية و"**المازوشية**" الأخلاقية، والتشوه والعنف اللفظي والبدني تجاه الغرباء والآخر، والعناصر الضعيفة في المجتمع ما دام هناك غياب للعدالة وسيادة القانون والحرية السياسية والمجتمعية، وإعادة تنظيم الإعلام ووضع ميثاق شرف يكفل للمواطن الحصول على معلومة صحيحة وبرامج هادفة ترقى بذوق المواطن.

(٨)

عدت للقاهرة بعد فترة طويلة، من الغياب في رحلة تجولت فيها في الإسكندرية، ومرسى مطروح وواحة سيوه، لذلك لم أكن أتحدث كثيرا مع ماما، مجرد كلمات بسيطة وفيديوهات مصورة للمناطق السياحية التي زرتها، اليوم سأكلمها عن ما حدث في الأيام الأخيرة بالقاهرة التي كانت في أشد الأيام عنفاً وقتلاً فلقد حدثت مجزرة محمد محمود من داخلية النظام العسكري الحاكم، وهي الموجة الثانية لثورة ٢٥ يناير، حدثت فيها حرب شوارع واشتباكات دموية ما بين المتظاهرين والقوات الحكومية المختلفة قامت فيها قوات الشرطة وقوات فض الشغب بتصفية الثوار، فكانت الطلقات تصوب على العين مباشرة وقد قامت وزارة الداخلية باستخدام القوة المفرطة ضد المتظاهرين وتصويب الأسلحة على الوجه مباشرة قاصدة إحداث عاهات مستدامة، واستهداف المستشفيات الميدانية وكانت الشعارات القوية موجهه ضد العسكر باعتبارهم القتلة.

لقد ارتكبوا جرائم حرب في الشوارع المحيطة بميدان التحرير وخاصة في شارع محمد محمود، لقد كنت قريبا من الأحداث أتابعها عن قرب وقد قامت فيها الشرطة باستخدام الهراوات وصواعق كهربائية ورصاص مطاطي وخرطوش ورصاص حي وقنابل مسيلة للدموع أقوى من الغاز القديم وقذائف مولوتوف وبعض الأسلحة الكيماوية الشبيهة بغاز الأعصاب وقنابل الكلور المكثف وغاز الخردل والفسفور الأبيض والغازات السامة– وذلك مقابل استخدام المتظاهرين الحجارة والألعاب النارية مثل الشمروخ وأحيانا المولوتوف، وقد قسمت هذه الأحداث بين بعض الثوار وجماعة الإخوان المسلمين، رغم أن الكثير من تيار الإخوان شارك في هذه الأحداث ولكن الإخوان كجماعة سياسية لم تشارك، وأنا أعتقد أن الإخوان لم تشارك لرغبتها باعتبارها تملك الأغلبية من انتزاع السلطة من

العسكر، لذلك كانت تلعب مع العسكر، ولكن النظام السابق بدأ يلعب لتفريق الثوار عن الإخوان، وخرجت لا فتات مثل الإخوان خانونا في محمد محمود، والهتاف من كثير من الفصائل ضدها وأعتقد أن بداية من هذه الأحداث بدأت كثير من الحركات والجماعات تلعب مع أطراف لا علاقة بالثورة نكاية في جماعة الإخوان.

كان نجاح محمد مرسي بالنسبة لي خبر غاية في السوء، كنت في غاية الضيق لاستحواذ التيارات الإسلامية على المشهد والضيق من النخب العلمانية وشباب الثوار واليسار والأحزاب العلمانية الذين اكتفوا بكونهم مجرد حناجر، حناجر في الميدان، الميديا، التوك شو، وسائل النقل العام لا وجود لتكتل حقيقي من خلال حزب ينزل الشارع ويبني جسماً قوياً ضد هذه التيارات الظلامية التي ستعيد مصر ألف عام.

كنت أتصور أن هذا التيار عفي وقادر خاصة بعد دعوة المهندس ممدوح حمزة إلى مؤتمر كبير حضره الكثير من النشطاء السياسيين والفقهاء القانونيين، وتأسس على أثره ما يعرف بالمجلس الوطني، وضم كل ألوان الطيف وكنت أتصور أنه سيكون نواة ينصهر فيها كل من يدعم الحكم المدني الحر، ولكن كل هذا ذهب أدراج الرياح، فالكل متمركز حول ذاته ويتصور أنه الأحق بتصدر الكتلة الوحدة، لا أحد فيهم تربي على اللعب داخل فريق حتى د البرادعي لا يريد أن يشتبك مع الواقع يريد أن يتم تنظيم كل شيء ويدعوه للعب في مناخ مستقر، مع أن الأرض ملتهبة، ولا يمكن لأحد الفوز بهذا الشكل، ولكن الشيء الجيد في الموضوع أن الانقسام أصبح واضحاً، فهناك تكتل تيار الإسلام السياسي وكل داعميه، وهناك الطرف الآخر، الإعلام وشفيق، والكتلة التي كانت تحكم في زمن مبارك حركة التنقلات استقرت فالإعلام أصبح كتلة واحدة متماسكة، وكأنهم يتحركون ضمن فريق، أو أجندة، أو مايسترو يصنع هارموني بين القنوات الخاصة والعامة طبعا في المقابل هناك قنوات أخرى منحازة للتيار الإسلامي وعلى رأسهم الإخوان، هناك صراع مكتوم بين الإخوان والسلفيين وظهر ذلك واضحاً من خلال جلسات البرلمان وكأنهم يضعون العصا في العجلة بمطالبتهم الدائمة باتخاذ خطوات باتجاه أسلمة المجتمع، وجرهم

لمعارك دينكشوتية يستفيد منها النظام المناوئ لهم من الكتلة الأخرى، طبعا أنا غير راض تماما عن سلسلة الأكاذيب التي يتم ترويجها ضد الإخوان، ولكن هل يقتنع المصريون فعلا بهذه الترهات التي يبثها الإعلام الرخيص الذي يتقدمه توفيق عكاشة ومصطفي بكري وخالد صلاح؟

ليس هناك معلومة صحيحة بالمطلق، ثم تدرج مئات بل آلاف المقالات على هذه المعلومة الزائفة، وهناك آخرين يكونون رأيهم تحت وطأة هذا السيل المريع من الأخبار والمقالات الزائفة في مجتمع شبه أمي وظل فترة طويلة تحت الحكم الدكتاتوري، الكارثة أن من يشارك في كل هذا التزييف أصدقاء لنا كنت واهماً أنهم مهنين ولديهم قدر من النزاهة، والمهنية، حتى لو انتصر هذا التيار لا يمكن أبدا أن يستعيد زخم الثورة، لأن الإسلاميين لهم حضور شعبي كبير ولو أزيحوا بالانقلاب لا يمكن أن يستسلموا وإذا انتصروا سيعودون للحكم أقوياء ويستحوذون على السلطة كاملة، ولو استخدم ضدهم العنف ستظل المشكلة كما هي وهذا سيشوه المجتمع كما كان ظهير شعبي لا يحكم محذوف، وهناك أقلية تحكم بلا ظهير شعبي وتحكم بالحديد والنار وكل موبقات الحكم العسكري القمعي، بالصدفة قابلت فناناً مصريا تشكيليا هو الفنان إيهاب مصطفي الذي تعرفت عليه في إيطاليا حينما كان يقيم معرضاً يضم لوحاته الفنية الذي انتقاها، وكان الأول والذي جمع فيه ٣٢ لوحة انتقاها وتمثل ذروة النضج الفني حيث عنفوان الشباب وقوته، له بصمته الخاصة لست ناقدا فنياً ولكن المشاهدات التي التقطتها من حارات القاهرة كانت آسرة، وخطوطه جديدة ومختلفة تظهر انحيازه الحقيقي للطبقات المهمشة، المعرض أقيم في قاعة صغيرة في جنوب إيطاليا في قرية مجاورة لقريتي، ودائما أتابع المعرض الذي تقام فيه، لدي تعطش أبدي للفنون عامة أريد أن أمتصها داخلي وقد تعودت وأنا صغير على زيارة المعارض الفنية بصحبة أبي، إن صحبته مفيدة يحب العزلة، دائما أراه وحيداً وعندما يذهب للبار يشرب وحده، كنت أشفق عليه جدا ومتعاطفاً معه، وكنت دائما ألح عليه أن يندمج مع العالم، فكان يهز رأسه ويقول: عندما تكون في عمري ستكون مثلي لا

تحب صحبة البشر، فالبشر بطبيعتهم كائنات كريهة مملة تكرر دائما نفس الكلام ونفس الأفكار ونفس النكات عندما أقابل صديقاً يظل يذكرني بالماضي، وما حدث؟ نعم لقد عشناه سويا ونعرفه كلانا، ما الداعي لاستعادته وإذا استعدناه مرة هل من الطبيعي أن نستعيده مرة أخرى؟ هذا شيء فظيع جدا هؤلاء الناس فارغون جدا ولديهم طاقة عنف يخشون استخدامها، فيستخدمونكم ككيس يظل يضرب فيك حتى تنهار أمامه ثم يقول لك بعد أن فرغ المحتوى، علينا أن نلتقي يا كلاوديو، نعم لقد التقينا ماذا حدث؟ لا شيء بالفعل، لقاء الناس عذاب بالنسبة لي، لذلك الصمت والوحدة يمثل علاجاً نعم علاج من السنوات الطويلة التي قضيتها في العمل ومفروض عليّ أن ألتقي بعدد مهول من البشر وأتكلم معهم وأسأل عن حياتهم وعن أسرهم، نجتمع سويا ونتكلم عن ما حدث أمس وما قاله المدير وما فعله رئيس مجلس الإدارة، لم يسألني موظف عن اهتماماتي فقط ثرثرة وراء ثرثرة، هل تتصور أن لا أحد يعرف أنني عاشق للعبة الشطرنج وأنني ألعبها طوال ٢٠ عاماً وحدي، المنتصر هو أنا والمهزوم هو أنا أيضا، حتى مارست اللعبة على النت مع أصدقاء من كل أنحاء العالم، لدي أصدقاء جوليو ولكن في الواقع الإفتراضي الذي هو أصبح بالنسبة لي الواقع الحقيقي، حيث هناك لا أحد يفرض عليك، أنت حر في اختيار صديق، أو رفض صداقته، قوة صداقة الفيس تعتمد على الحرية في المقام الأول، في هذا اليوم قلت أن أبي يبرر عزلته جيدا، ولكن مستحيل أن أكون شبيهه، لن أتخلى عن أصدقائي، لن أعيش في العزلة ممرور، سأغامر وأتخطى، أنظر إلى اللوحات، فتقدم مني رجل، متوسط الطول بدين، شعره أكرت قصير يرتدي تي شرت أسود، ثم مد يديه بفنجان قهوة رائحة القهوة أطارت دماغي لم أستطع أن أرفض مددت يدي وقلت: جوليو، رد إيهاب أخذ يهز رأسه هزات بسيطة ثم قال: الزائر الأول والوحيد اليوم قلت: أنتظر قليلاً اليوم الأحد وأهل البلدة يذهبون للكنيسة، هل يوجد كنيسة هنا؟ نعم كنيسة بورجو سانت أنطونيو، هي كنيسة قديمة تحتاج للهدم وإعادة البناء أو الترميم بعد ذلك يقومون بنزهة قصيرة في متنزه المدينة، الحقيقة أنه تقليد بسيط وجميل ولكني لا أحب الرتابة

في الحياة لدي رغبة دائما في الإنحراف، سأل ولكن ما رأيك؟ وأشار للوحات، أبديت إعجابي المطلق باللوحات، وظللت أتكلم ثم فجأة التقط مني الحوار وأخذ يتكلم عن حزنة العميق لاستجابته لضغوط زوجته وموافقته بعمل معرض داخل غرف مغلقة، ليحول العمل لجثة مجرد جثث لا أكثر وأن حلمه الكبير أن يعود لمصر، ويرسم الناس ويبيعها لهم بمبلغ رمزي، قلت: فنان الشارع، قال: نعم، نعم كما هو موجود في أوربا، لا أكثر مجرد خطوط تلقائية دون تفكير كبير، إستجابة فورية مباشرة، لقوة الحياة وفتنتها ثم تركني بسرعة واختطف ورقة من دفتر ونظر إلي وخلال دقائق كان قد رسم لي بورترية وناولني إياه، عندما رأيت ما رسمه لي أستغرب أنه لمس روحي، شغفت بالصورة وقررت الإحتفاظ بها إلى الأبد وفي كل انتقال تكون برفقتي وأضعها على الكمودينو بجوار الأباجورة، طلبت منه أن يزورني لأعرفه بماما وبابا وحصلت على رقمة، وقبل أن أخرج وجدت السيدة زوجته تدخل وفي يديها صندوق ورقي به أنواع مختلفة من البسكوت، عرفني بها ترتدي بنطلونا من الجينز وبلوزة زرقاء وشعرها قصير ورغم شكلها الذكوري لجمال حسي وشهوية بشكل ما، كانت نظراتها بها إغواء قلت لها: زوجك لدية لغة رفيعة وكأنه مولود في حارات نابولى يا عزيزي جوليو، لقد قضي عشر سنوات في حارات نابولى لا يعود من الشارع ولا يهتم بشيء سوى الناس، لقد رسم مئات اللوحات المذهلة ورماها لأي عابر، المشكلة أن لا أحد يثمن جيدا أي شيء مجانا لا يهتمون بها يرمونها في القمامة لقد التقطت عشرات البورتريهات من صناديق القمامة حتى أنني أصبحت أرتبط بصداقة مع صناديق القمامة وأخذت تضحك بصوت عالي، كانت ضحكتها فجة ولكن أصابتني بالبهجة فضحكت فزادت من ضحكتها فضحكت حتى دمعت عيني وعندما توقفت بعد جهد قالت: أنا حاليا موظفة لدى السيد إيهاب باقتفاء أثر لوحاته في صناديق القمامة، فتدخل إيهاب وقال: جوليو، ليس هناك صدفة لقد ألهمتها صناديق القمامة أعمالا فنية مدهشة، رفعت يديها لفوق وأنزلتها بقوة على فخذها وهذه الحركة تقوم بها الفتيات في الحارات الشعبية، فقامت برفع أصبعها الأوسط في حركة غاية في البذاءة فأخذنا نضحك مرة

ثانية، إنها مبهجه إيهاب قال: وهل تتصور أنني ممكن أن أعيش هنا دون واحدة مجنونة مثلها، أنا فوضوي وأريد أن أعيش في الشوارع، أضيع إلى الأبد، أكره الغرف المغلقة، وهي المغناطيس الذي يدفعني للعودة، ثم أشار إليها وقال: وماذا عن مشروعك، قالت: كنت أنتظر إيهاب لأنه تأخر وأنا قلقة بطبيعتي فاشتريت بخاخة ورسمت جرافيت على صندوق القمامة وكانت لإيهاب، ثم كررت التجربة ورسمت طفلة صغيرة وعندما جاء انبهر بالرسومات وشجعني لتكرار التجربة، ومن يومها وأنا أرسم الجرافيت وأصبحت معروفة جدا في إيطاليا، إلتقط الحديث إيهاب وقال: إنها نشطه بشكل لا تتصوره جوليو، لقد أخذ دبلوم في الجرافيك، دكتوراه في التصوير من أكاديمية الفنون الجميلة جامعة ميلانو إيطاليا وهي نصف إيطالية، نصف مصرية والدها غادر إيطاليا بحثا عن الرزق بسبب البطالة وضيق الحال، وفي ظل الحرب العالمية الأولى سافر إلى مصر واستقر في الإسكندرية وهناك تعرف على فتاة مسيحية فكان يتقابلان بجوار الكنيسة يتبادلان النظرات والهيام الرومانسي، وعندما عرف والدها ثار عليها وضربها ومنعها من الخروج من البيت ولكنها كانت مصممة على عدم الارتباط إلا به ولكنه لم يكن يملك المال ليتقدم للزواج فانتظرته عامين كانا خلالها يعمل بائعا متجولا في حواري الإسكندرية وعلى الميناء والشواطئ ثم ذهب معه راعي الكنيسة اليونانية بالإسكندرية وتوسط له فقبل الأب الزواج خاصة أنه تعلم العربية وبعد الزواج استقر وأسس استديو تصوير وقد زوده بأحدث آلات التصوير المستوردة من إيطاليا وعندما حدث العدوان الثلاثي على مصر عام ٥٦ سافر لبورسعيد ولأنه أحب مصر واعتبرها بلده، قام بتوثيق جرائم الحرب مستغلاً ملامحه الأجنبية التي مكنته من التصوير داخل المعسكرات الإنجليزية والفرنسية، دون قلق من جانب القوات الأجنبية وقد تم استخدام هذه الصور بعد ذلك من خلال ملف تم إعداده وقدم للأمم المتحدة لكشف وفضح آلة الحرب المتوحشة والجرائم التي ارتكبها الثلاثي الاستعماري ضد المصريين العزل، وتم تكريمه بعد ذلك من الجيش المصري وتم منحه الجنسية المصرية والذي لم يكن قد حصل عليها بعد، وفي أثناء سفره للقاهرة اصطدمت السيارة التي كان

يقودها بشجرة مات على إثرها، الغريب أنه لم يعرف أن زوجته كانت حامل وهي نفسها لم تكن تعرف ولكن عندما اندهشت من التغييرات التي طرأت على جسمها ذهبت للطبيب الذي أكد لها الحمل وأنجبت ابنة وهذه الابنة ظلت في مصر ١٠ سنوات وبعد ذلك دعاها عمها لتعيش هي وأمها معه في إيطاليا، فذهبت وهناك بدأت تهتم بالفن وفي عام ١٩٩٥ حصلت صوفي على شهادة دراسات عليا من معهد الإعلام الجديد بألمانيا، ثم أخذت تتردد على القاهرة باعتبارها تحمل الجنسية المصرية، ورغبتها في جمع الصور التي قام بتصويرها أبوها وتوثيقها وإصدارها في كتاب مع سرد سيرة حياتها والتي جمعتها من خلال أقاربها، خاصة أن أمها قد ماتت بالتهاب رؤي بعد وصولها لإيطاليا بعام، كما أنها أرادت إحياء علاقتها مع أهل أمها في الإسكندرية، وبعد ترددها عدة مرات عشقت مصر، كانت شغوفة بالتصوير والجرافيك وفي إحدى زياراتها تعرفت على إيهاب حيث كان يقام لها معرض تصوير بالتاون هاوس بوسط البلد، وتزوجا وسافرا لإيطاليا حيث درس التصوير من أكاديمية الفنون الجميلة جامعة ميلانو، بجانب عمله الحر كمهندس للديكور المسرحي وقد فاز بالجائزة الأولى للمسابقة الفنية السنوية لمحافظة ميلانو ١٩٩٥.

تركتهم وعدت وجدت والداي في انتظاري، على أبواب المنتزه، ركبنا السيارة وعدت مرة ثانية وتكررت مواعيدنا بعد ذلك، وفي يوم كنت أنا وصوفي في السينما وجدتها تضع يديها على فخذي، تحرجت في البداية من أن أنبهها ولكنها وضعت يديها على عضوي وحاولت تقبيلي، انتزعت نفسي منها وأنا أكرر، لا، لا، لا ثم تركت الفيلم وخرجت وجدتها تجري ورائي واعتذرت لي وأن الفيلم أدخلها في مود رومانسي وأنها بسبب طفولتها البائسة وأخذت تحكي لي حكاية طويلة جدا عن طفولتها وكيف أن عمها كان يجبرها على النوم في أحضانه وهي صغيرة وأنه عندما كبرت أخذ يتحرش بها وعندما ترفض كان يعنفها ويقسو عليها ثم فوجئت بدموعها تنزل من عينيها احتضنتها وأخذت أطبطب عليها وأمرر يدي على ظهرها، حتى عادت لطبيعتها، دخلنا بار وطلبنا بيرة وغسلت وجهها وخرجنا، وفي الطريق أخذت تؤكد لي أنها تحب إيهاب وأن الموضوع هو سحر

السينما ورغبتها في التغير، مجرد ملل من التكرار الأبدي للعلاقة الحميمة، لم يكن لدي كلام أقوله لها غير لا تفكري في الأمر، الموضوع بسيط، كان يبدو عليها الضعف والعجز، ثم توقفت في منتصف الطريق وقالت: لن أستطيع مقابلته الآن، سأذهب لزيارة صديقي في الجنوب الإيطالي وسأعود بعد عدة أيام، سأتصل به تركتني وعادت جريا، لا أعرف لماذا تطور الموضوع داخلها بهذا الشكل؟ تضايقت واتصلت به أيضا وقلت: آسف لدي موعد مهم جدا ولم أتذكره إلا الآن مع الفنان *ivan bidovli* إيفان بيدوفلي، لقد تكلمنا عن رسوماته ولكن لم يلتقيا وكلاهما موهوب وهناك قرابة روحية تجمعهم، حتى الآن ورغم أنني كنت أرغب بتدبير لقاء يجمعهم ولكن هناك دائما ما يعطل هذا اللقاء، وأنا مصمم لجمعهم قبل سفري لبريطانيا، وإيفان يمثل لي أهمية كبيرة فهو الأب الروحي ولدي رغبة كبيرة في إنجاز كتابٍ عنه، ولكن فقط أستقر وأحصل على درجة الدكتوراه ساعتها سأتفرغ للكتاب والترجمة لعدة لغات للتعريف بهذا الفنان العظيم والذي بلغ الثمانين وماذا يعمل وينجز أعمالا في غاية الدهشة، متعدد المواهب مصمم داخلي مهندس معماري رسام ولد عام ١٩٣٣ في فيوميتشلو تدرب فنياً في المدرسة الفنية الثانوية في البندقية يمارس مهنة الرسام المصمم.

شارك في المسابقات والمراجعات في جميع أنحاء إيطاليا وحصل على إشادة واسعة وجوائز وتوصيات، في عام ١٩٦٢ ظهر لأول مرة في معرضه الشخصي الأول في جرادو، لم يغادر فيوميتشلو أبدا، يلتقط العادي والبسيط والحديث ويمزج بينهم وبين الماضي البعيد هنا سحر مع في أعماله أظل أتأمل في هذه الوجوه البسيطة المرحة، العلاقة الشائقة بين الرجل والمرأة ورغم الصخب والضحكات الكبيرة هناك مسحة حزن تظهر على وجوه الشخصيات.

عندما اتصلت به لكي أحدد موعدا لمقابلته وتقديم الفنان المصري له قال: إنه منشغل جدا في الانتهاء من بعض اللوحات التي سيقيم بها معرض الشهر القادم في مدينة تريسي وهي أبعد مدينة سافر إليها، قلت: تمام فليكن لقاءنا في المعرض، فقال: نعم عندما يقام

المعرض تكون مهمتي انتهت ويكون بدأ عمل زوجتي التي تقوم بكل شيء يخص المعرض من أول البانفيل إلى النقاد وأماكن اللوحات في المعرض إلخ إلخ، قلت له لقد وعدتني أكثر من مرة بعمل بورتريه لي، وأنا سأظل أذكرك به حتى تقوم بإنجازه، قال: مؤكد يا صديقي الصغير، هناك وقت سيأتي وسأقوم بإنجاز العمل.

عدت للبيت وجدت أختي إيرين تقوم بتجهيزات داخل المنزل بمناسبة عيد ميلادي، لقد قامت بتزين البيت بطريقة مبتكرة أعرف أن غدا سيكون هنا مهرجان كبير وموسيقى صاخبة ورقص وغناء ستكون ليلة مجنونة ورغم أنني لا أحب الضجيج ولكن أحب أن تكون أسرتي سعيدة، بمجرد أن أرى البهجة والسرور مرسومة على وجوه العائلة أكون في غاية السعادة، صحيح أن هذا الوقت أصدقاءها مجانين صغيرة تقوم بمقالب وتطلق ألعابا نارية، أصدقائي محدودون ما بين ثلاثة إلى خمسة منهم إيفان وزوجته وإيهاب وزوجته وثلاثة أصدقاء مقربين من أيام الدراسة الثانوية أنا أحب تكوين صداقات ولكنها تتشيع الوقت بطريقة لا تسمح لك بمتابعة البرنامج الذي وضعته لنفسك، فرغم أنك حريص جدا على الإلتزام ولكن تخلق إغراءات لا تستطيع رفضها.

بابا يقرأ في صحيفة كوريير ديلا سيرا، علاقتنا جيدة ولكن لا نتحدث كثيرا، هو لا يجيد الحديث، أو لا يرغب لقد بدأ حياته ممثلا وكان له طموح كبير ليكون نجماً وقد بدأ من خلال الراديو حيث كان يقدم برنامج كوميدي في الإذاعة، كان يقلد فيه السياسيين والفنانين والإعلاميين ولاعبي الكرة وشارك في مسلسل تليفزيوني وقد قام بدور ثانوي، ثم قرر فجأة أن يسافر لهوليود للعمل بالسينما، وهذه الفترة تظل بقعة سوداء لا يتكلم عنها أبدا وعندما يحاول أحد منا أن يجره للكلام عنها، يهز رأسه ثم يقوم دون كلام ويدخل غرفته، حاولت أن أعرف من ماما ولكن هي أيضا لم تكن تعرف شيئاً، ظل هناك ثلاث سنوات لم يصور سوى مشهد في فيلم وقد ظهر في المشهد وهو يمسك خرطوم ويرش سيارة النجم الذي يمسك الخرطوم ويظل يرش عليه الماء، أنا لا أتذكر حاليا الفيلم ولم أره ولكن ماما تؤكد أنها رأت المشهد وأن وجوده في الكادر يظهره كنجم فقد كان له حضور

مميز فقد كان وسيماً ولكن كانت تستغرب فشله وعودته لإيطاليا ثم مثل أدوار قليلة في التليفزيون الإيطالي ثم يأس من الحصول على الشهرة فبحث عن وظيفة واشتغل عدة وظائف إلى أن استقر في وظيفة مندوب مبيعات وقد تعرف على أمي في حفلة لأحد الأصدقاء وتم الزواج واستقرا في المنزل الذي نقيم فيه ماما في المطبخ لتعد العشاء.

في اليوم التالي استقبلنا الأصدقاء وكانت ماما سعيدة بوجود إيهاب وصوفي أخذت تحكي له عن مصر وزيارة الأهرامات، وأبو الهول، والأماكن الشهيرة التي كانت تمثل بالنسبة لها ذكريات جيدة، ثم دخل الفنان إيفان بيدوفلي الذي رحب بالفنان فماما توقفت عن الكلام وتركت إيفان يتحدث مع إيهاب عن الفن في مصر وهل هناك حركة فنية قوية، تكلم إيهاب عن الحركة الفنية منذ الأربعينيات وحتى الوقت الحالي باختصار وكان يرى أن فترة الأربعينيات ازدهر الفن التشكيلي وظهرت مواهب كونية رائعة قدمت إنجازا فنياً رائعا، ومع قيام الثورة ورغم وجود فنانين في تلك المرحلة لهم أهمية كبيرة، ولكن الفترة الناصرية خنقت الفن بشكلٍ مرعب، فمجرد إشاعة الخوف في المجتمع، وتأميم الفنون بذريعة تبني الدولة للفن، ولكن كانت رغبتها الأكيدة خنقه والسيطرة عليه، فدخل الفنانون حظيرة الدولة من باب التفرغ والجوائز، حتى وصلنا إلى السيد متوسطي الموهبة المشهد والأكثر تزلفا ونفاقا للسلطة، والأكثر طواعية، لذلك يجب إعادة تقييم هذه المرحلة جيدا لأن هناك الكثير من الفنانين تم تهميشهم وفضلوا العزلة على الإنخراط في القطيع، وكرسوا حياتهم لمشاريعهم الفنية .

(٩)

عندما قامت ثورة ٢٥ يناير في مصر، كان إيهاب في غاية السعادة والحماس لذلك قرر أن ينزل القاهرة ويشارك انتصارهم على الطاغية والطبقة السياسة الحاكمة التي استحوذت على السلطة والمال وأصبحت الحياة في البلد الجحيم بعينة، لذلك كان الشباب يهرب إلى البلاد الأوربية من خلال الهجرة غير الشرعية والخطرة والذي يموت الكثير منهم غرقاً أو ضربا بالرصاص من حراس الحدود، كان لديه آمال كبيرة ولكن بعد سقوط الطاغية ومن خلال متابعته للأمور أحس باليأس وأن الأمور لن تسير بخير ولكن كان يكذب على نفسه ويمني نفسه بأن الأمور ستكون بخير.

عندما قابلته أول مرة، في بار ستيلا وسألته عن أين اليسار الكتلة المنظمة التي تستطيع أن تنافس، ضحك بمرارة وقال: لقد استطاعت مخابرات النظام أن تسحق اليسار الحقيقي بالاستبعاد من المجال العام، وأصبح محاصرا في غرف مغلقة تتكلم فقط، لم يعودوا مرئيين للناس وأصبح اليسار الحزبي الذي تم حصاره في حزب التجمع مجرد مجموعة من المخبرين للأمن، والكل يعرف أنهم مجرد أدوات يلعب بهم النظام في مواجهة التيارات الإسلامية ولكن تحت راية التنوير وكأن الراية كافية لغسيل سلوكياتهم القذرة، يخدعون الذات بكلمات كبيرة ويدارون تشوهاتهم النفسية بالسكر في البارات وإعادة بناء سيرة ذاتية متخيلة عن نضال وتضحيات وأفكار ولكن لا شيء.

لقد تخلوا عن الناس واشتغلوا باليومية في الفضائيات تاركين الشارع للجماعات السلفية والإخوان المسلمين، لذلك طبيعي أن يكون الإخوان هم من يسيطرون على الشارع وهم من يحكمون الفترة القادمة، كانت هدى وسعد ومختار قد دخلوا وانضموا إلينا، حكيت الحديث الذي دار بيننا فتكلمت هدى عن المشهد الحالي وقالت: إن لا حل الآن سوى

إزاحة الإخوان الخونة من الحكم بأي طريقة وبأي ثمن قلت: ولكن هم فازوا من خلال انتخابات نزيهة لم تحدث من قبل في مصر يا عزيزتي فقالت: بالزيت والسكر هذا شعب جاهل ومتخلف واستطاع الإخوان شراءهم، من خلال الأعمال الخيرية كنوع من الرشاوي الإنتخابية والثاني عبر الخطاب الديني في الجوامع والمؤتمرات التي يقيمونها في الشارع وتوزيع أموال الزكاة من خلال شنط رمضان فقال سعد: إنهم عبدة الصناديق وعلى الإخوان أن تفهم أن الديموقراطية ليست مجرد صناديق، الصندوقراطية نتائج الإنتخابات لا تعبر عن الثورة والثوار وتضحياتهم أقلية كبيرة وأغلبية صغيرة.

قال إيهاب: هذا تلاعب لفظي سخيف عزيزي، إننا لن نخترع العجلة، نحن بالذات علينا أن نتشبث بقوة بالصندوق لأنه الذي سيخرجنا من القمقم الذي وضعنا فيه النظام الطبقي الحقير الذي يحكمنا منذ قيام ثورة يوليو وتمكن عبد الناصر من الحكم هذا ليس نظاماً سياسياً هؤلاء عصابة اختطفت الحكم بالقوة المسلحة قال مختار بسخرية: وهل تريد أن تنزعها من قوة مسلحة لتسقطها في يد الإخوان المسلحين هكذا كثير، ثم في النهاية هذا جيش البلد والتعرض له خيانة.

قال إيهاب: الإخوان فصيل سياسي ويجب إزاحته من خلال السياسة، وليس طريق آخر، وإن كان الثوار لهم قدرة على إزاحة الإخوان والجيش من السلطة أهلا وسهلا فليتقدموا ويحتلوا المؤسسات ويديرون البلد أنا معهم لكن فكرة أنك تشجع على انقلاب عسكري بحجة أن الإخوان إرهابيون أو ترديد صياغات رخيصة مثل الإخوان مش مصريين أو المتأسلمين الذي يرددها المخبر رفعت السعيد ليل نهار في الإعلام هذا حمق وعواقبه خطيرة، قال سعد: أنا أستغرب أن فنان مثلك وقضي سنوات طويلة في الخارج ويكون إخواني، رد إيهاب ومن قال إني إخواني، قال: كلامك يدل على أنك إخواني صرف، رد إيهاب: أنا آخر واحد ممكن يكون يميني سواء ديني أو اقتصادي أنا يساري حتى النخاع، ولكن أعرف أنه لو تم انقلاب سندخل في مرحلة سوداء، ردت هدى: وليه التشاؤم.. الميدان موجود؟، ميدان أيه بس؟ ومين يقدر يقف في مواجهة القوة المسلحة؟ قالت

هدى: زي الثوار ما خلعوا مبارك وأزاحته من الحكم، يزيح مرسي، مثلما الجيش وقف مع ثورة ٢٥ يناير سيقف مع ثورتنا ونزيح حكم الخرفان، قلت ولكن دائما تنسى يا فنان أن هذه ثورة والثورة موجات وما تراه الآن موجة ثورية أخرى تتقدم بقوة، قال: لن يحدث انقلاب؟ وزير الدفاع لا يبدو أنه يفضل الانقلابات ثم أنه قالها صراحة: لقد ولى زمن الإنقلابات.

كنت أريد أن أتكلم مع هدى على انفراد وكنت قد قلت لها ذلك بمجرد أن قمت، قامت ورائي، حاسبت على البيرة التي تخصني، وخرجت مع هدى سرنا إلى الكورنيش وقلت لها: ماذا يحدث في الإعلام يا هدى أنا أتابع ما يجري وقد دونت بعض الملاحظات الخطيرة التي تدمر أي مصداقية للإعلام المصري، ردت وقالت: نعم يا عزيزي تستخدم الشائعة بشكل واسع، ولكننا نخوض حرب ونحن أقلية في مواجهة ملايين جهلة لا تعرف شيء لذلك برأيي مرحلة ولكن لن تستمر وسيستعيد الإعلام مصداقيته بمجرد تبديل الوجوه، للإعلام دور خطير ولو تتبعنا المهنية والنزاهة سنسلم البلد للإخوان وهذا مستحيل، حاولت أن أبين لها مقدار التزييف ولكن دون جدوى كان لديها عقيدة أن لا الشارع قادر ولا الشعب الخامل ولكنها وحدها القوات المسلحة هي القادرة على الحل، ولكن عزيزتي بتوفيق عكاشة ومصطفى بكري وعمرو أديب، أنتم تنحازون لنظام مبارك، ثم أخرجت النوت الذي أكتب فيه ملاحظاتي السياسية وبدأت أقرأ.

التخلي عن منطقة حلايب وشلاتين للسودان، بيع منطقة "**ماسبيرو**" بالقاهرة إلى قطر فكرة إنشاء السد الإثيوبي والإنتهاء من تشييده هو أمر متفق عليه بين الإخوان وإثيوبيا بالتنسيق مع الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، مقابل تأييد الولايات المتحدة لمرسي في انتخابات الرئاسة توصيل مياه النيل لإسرائيل بيع قناة السويس حصول مرسي وخيرت الشاطر نائب المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين على مبلغ ٨ مليار دولار من أوباما مقابل التنازل عن جزء من سيناء، تأجير الآثار المصرية لدولة قطر "مضاجعة الوداع"

قالت لي أن لا حل آخر لإزاحة الخونة سوى استخدام كل الوسائل إنها السياسة يا عزيزي، قلت نعم إنها السياسة القذرة قضينا طوال الليل في خيمة بالتحرير، وفي الصباح عدت للشقة اندمجت في تدوين الملاحظات فقط من بعيد عن الأحداث وممارسة العمل الوظيفي الذي أتابعه بدقة والقراءة ومحاولة الإندماج مع المجتمع المصري وبعد مرور ثلاثة شهور رأيت لقاء لوزير الدفاع يقول فيه: إن الجيش لن ينزل إلى الشارع ليقوم بانقلاب على الرئيس محمد مرسي، كما تدعو بعض الأطراف السياسية، داعيا إياها إلى التفاهم ومحذرها من اللعب مع القوات المسلحة فهذا الجيش نار لا تلعبوا به ولا تلعبوا معه وأضاف أن البديل في منتهى الخطورة ومع كل التقدير لكل من يقول للجيش ينزل الشارع لو حدث ذلك لن نتكلم عن مصر لمدة ٣٠ أو ٤٠ سنة للأمام.

عندما سمعت هذا الكلام قلت إن الجيش حسم خياره وأنه مع مرسي ولكن بعد فترة بسيطة كان الانقلاب وعرفت بعد ذلك أن الأزرق يتحدث مع وزير الدفاع الأمريكي دون علم الرئيس المنتخب وصلت ل ٧٢ ساعة، وقد تيقنت أنني ساذج ولا أفهم الأوضاع السياسية في مصر مع أنني في النهاية متفهم أنه رغم تدخل الجيش لا زال الثوار يمسكون في يدهم أوراقاً قوية، ولم أكن قلقاً من ذلك ولا من حشود الإخوان في الشارع الذي كان يخيفني بالفعل هو هذا العداء الجنوني للأجانب في الإعلام وفي الشارع وشيطانتهم، خاصة الأمريكان ولا فرق بين فرنسي، إيطالي بريطاني فالكل أجنبي ومثير للريبة لذلك أخشى من اعتداء متوحش من العامة، أو من البلطجية.

في اليوم التالي وجدت خبر في الجريدة يشير لموت مواطن فرنسي إريك لانغ (٤٩ عاما) يدرس الفرنسية في مصر بعدما ضرب بعنف في ١٣ أيلول/سبتمبر ٢٠١٣ فيما كان معتقلا منذ أسبوع في مركز للشرطة في القاهرة بعد توقيفه في حي الزمالك الراقي لخرقه حظر التجول الليلي وكان في حالة سكر فنقل إلى قسم شرطة قصر النيل في قلب العاصمة وهذا الخبر زاد من مخاوفي، ففي النهاية لسنا هنا في دولة قانون وعدالة وحياة الإنسان غاية في الرخص بل لا تساوي شيء، ثم عرفت أنه تم إتهام ستة أفراد بقتله، رغم

أن تشريح الجثة أثبت أن لانغ تعرض للضرب حتى الموت بقضيب حديد وكابل كهربائي وأن هذه العملية لا يمكن إلا أن تكون من فعل عناصر الشرطة أو أنها على الأقل نفذت بتواطؤ منهم وبموافقتهم، ولكن لماذا يتم قتل رجل عجوز ليس منه ضرر؟ لذلك قررت الخروج من مصر والعودة لإيطاليا، لأرى أسرتي وأظل فترة ثم العودة لبريطانيا مرة ثانية للبحث عن عمل في أي مركز بحثي.

في هذه الليلة رأيت نفسي وكأنني في مستشفى، مستلق على طاولة العمليات حولي أطباء يرتدون بلاطي بيضاء وجوههم ممسوحة مجرد نقط تشير لملامح الوجه مثل شخصيات كرتونية، ووجهي محاطا بالظلمة وإضاءة قوية مسلطة على سرتي وهي منتفخة كالدمل، استغربت فلم أشكو من مرض بالسرة أو البطن حاولت أن أقوم ولكن كان جسدي ثقيلاً جدا قلت إنهم خدروني ولا أمل لي في النجاة، عليّ الآن أن أنتظر لأرى ماذا يفعلون بي، ولكنني حذر جدا ولم أمارس أي فعلٍ يعرضني للمساءلة هذا جنون أضيع في هذه البلد بين مجموعة من الجهلاء الأوغاد، ثم تذكرت السفارة وقلت ماذا فعلوا ليحمونا في هذه البلد؟

كان الكلام بينهم هامساً سرعان ما احتدم وتطور الأمر لدرجة أن الوجوه بدت تتجعد قلت اختلافهم قد يكون نجاة لي ولكن واحدا منهم أخرج من جيبه آلة مثل مسمار طويل ورفيعة جدا ورأسها مدورة واقترب مني وغرس المسمار في قلب السرة، فأخذت أصرخ محاولاً الحركة ولكن مثل جثة كنت ثم بدأ يخرج منها دود أسود وقيح ودم بصديد ثم نظر إلي واحد مهم وقال: لماذا تصرخ، لماذا تثير جلبة أيها الأحمق؟ هل تشعر بأي ألم؟ لم أستطع الرد ولكن لم أشعر فعلاً بأي ألم ولكن ماذا يجري لي هنا، وهل أنا مريض؟

قال إنه مجرد إجراء شكلي لا أكثر وما تراه مجرد توهمات ثم أخذوا يضحكون ضحكات سخيفة، قلت عليكم اللعنة يا كلاب.

فتحت عيني كانت الساعة السابعة صباحا، شعرت باليأس والخوف تواصلت مع ماما وحكيت لها ما رأيته في الحلم فقالت لي: إن الخوف بدأ يتسلل لقلبي مما أراه من جرائم وأحداث بشعة في الشارع من النظام والبلطجية، قلت: نعم فالمناخ هنا قاتم وهناك ناس بسطاء تم سحقهم قالت لي: عليك أن لا تقلق وأن تتحلى بالشجاعة، انتهيت من الكلام معها ودخلت الحمام أخذت دش وخرجت طلبت من مطعم نعمة أومليت، فول بزيت عباد الشمس، جبنة بالطماطم، الخبز، طعمية سادة وانتظرت أتابع الأخبار ثم تذكرت أنني لم أرد على رسائل مارين عبر الواتس وماسنجر شعرت بالذنب ولكن لم يكن لدي طاقة لذلك، أخرجت كتاباً من الكتب القليلة التي لدي وكان قاموس الأساطير الأفريقية، استغرقت بالقراءة ثم وجدت تليفون من هدى تزف إلي خبر توليها رئاسة تحرير مجلة الديمقراطية والتي تصدر من خلال جريدة الأهرام، كنت مندهشاً من إيجاد موطئ قدم لها في وسط غليان علاقتهم قوية بالأجهزة الأمنية، كان صعودها السريع في وسط كائن عملاق أخطبوطي مثل الأهرام إنجازا عظيماً ويدل على ذكاء خارق، وفي نهاية حديثها قامت بدعوتي لحفلة تقيمها بهذه المناسبة فاعتذرت لها وقلت أنني أقوم بكتابة مقال لمجلة ايطالية أتناول بسرعة الزخم الثوري والأسباب التي أدت للإزاحة الرئيس محمد مرسي وكلمتها عن الخطوط العامة للمقال والذي أجملتها على السريع في الإخوان والسلف وبعض الانتهازيين من النظام السابق والدور الفاسد الذي لعبته الأحزاب بتقاعسها المريع، أثنت على رؤيتي ثم أخذت تذكرني بوقائع ودور الإخوان من أول لقاءهم مع عمر سليمان إلى تحالفها مع المجلس العسكري برئاسة طنطاوي إلخ، الحقيقة أنا قلت لها أريد أن أكتب مقال فقط لأهرب من الحفلة، ولكن كلامي معها جعلني أفكر فعلا في كتابة مقال عن المشهد الحالي، أخرجت الجهاز وكتبت عنوان المقال وبدأت أنظم أفكاري داخل ذهني ثم بدأت الكتابة التي لم تستغرق الأمر أكثر من نصف ساعة فالوضع واضح بطبيعته، ثم أرسلت المقال للجريدة وعدت للقراءة وعندما نمت بالليل وجدتني أسير على حافة بحر لا أعرف اسمه، كان الوقت بالليل ولم يكن أحد سواي والأمواج تضرب بقوة في الشاطئ

ولم أكن أعرف لماذا أسير دون وجود مبرر، عندما قمت من النوم حجزت تذكرة للسفر إلى إيطاليا ثم سافرت في اليوم التالي دون أن أودع أحد، وكان لدي يقين أنني لن أخرج من مصر سوى جثة هامدة، لذلك عندما وصلت كنت أشعر كما يقول المصريين أنى كتب لي عمرا جديدا.

(١٠)

عدت لإيطاليا في المساء واستقبلني في المطار صديقي رومانو بسيارته وعندما وصلت وجدت هناك حفلة كبيرة بمناسبة عودتي ورغم التعب البدني والعصبي الذي عشته في الفترة الأخيرة ولكن كنت متحمسا كنت أريد أن أنفض عني التوتر الأخير في القاهرة ورقصت طوال الليل وشربت حتى سكرت تمام وهذا على غير عادتي وعند تباشير الصباح نمت كجثة ولم أقم من النوم إلى قرب المساء، وحكيت لهم عن ما جرى في القاهرة وكيف وصل بي وأنا المواطن الإيطالي أن أصاب بالرعب من المناخ القاتم، والإجرام التي تمارسه الشرطة وحكيت لهم تفاصيل مروعة يعاني منها المواطن المصري في عهد الحكم العسكري وكيف أنني أحس بالذنب لكوني كنت متحمساً للانقلاب العسكري واعتبرتها موجة ثورية، رغم أني كنت معتدلا ودائما ما كنت أربط بين فشل محمد مرسي في احتواء الشعب وعدم إقصاء الإخوان من المشهد ولكن الذي حدث غير ذلك تماماً لقد حذفهم من المشهد واستخدم العنف المرعب، استراتيجية الصدمة والرعب الذي استخدمها الأمريكان ضد الجيش العراقي في حرب الخليج الثانية ولكن الذي يهندس المشهد سحب هذه الإستراتيجية من الحرب النظامية واستخدمها ضد المدنيين، مثلاً اختياره لصلاة الفجر لفتح النار على المصلين أمام الحرس الجمهوري وحرق الجثث وحرق مسجد رابعة وحرق البشر أحياء وسحلهم تحت عيون الكاميرات بقي شيء واحد أن لا شيء سيردعهم وأنهم سائرون للنهاية في طريق الدم، وقد مات في هذه الأحداث أكثر من ألف مواطن في مجزرة رابعة ثم كتبت مقالاً شراكة بيني وبين باحث آخر وأرسلته أرصد المشهد وما حدث في الفترة الأخيرة وقلت إن الأمور لم تعد خافية على أحد وأن الثورة قد هزمت، وأن الدكتاتورية العسكرية نجحت في خنق البلاد، نشر في نفس الأسبوع ثم قمت بزيارة

عمي لأنه مريض منذ فترة طويلة وتم دعوتنا إلى حفل عشاء كبير وهو يعيش في منطقة لاكويلا تبعد عن روما حوالي ساعة ومحاطة بأسوار قروسطية على منحدر جبل يسار نهر أتيرنو ورغم أن هذه المدينة مناخها بارد طوال العام إلا شهر، إلا أني أعشق السفر إليها فهي محاطة بأربع قمم جبال وقريبة من صخرة الغران ساسو أعلى قمم الأبينيني، ورغم إنها منطقة زلازل حيث تعرضت في ٢٠٠٩ و٢٠١٤ لزلزال، إلا أنها مدينة تاريخية عظيمة.

قضيت شهراً ما بين المنزل والتنزه وزيارة الأصدقاء والاستئناس بحوارات لطيفة حول الفن مع صديقي الفنان إيفان بيدولي وهو شخصية ساخرة جدا مرح متصالح مع الحياة في غاية اللطف والظرف وبدأت أتفق معه على سيناريو لعمل كتاب عنه وفيلم وثائقي يوثق رحلته في الحياة والفن وفي الليل كنت أبحث عن وظيفة تناسبني بجانب التحضير لرسالة الدكتوراه حتى وجدت رسالة من شركة أوكسفورد أناليتيكا التي تقدم استشارات للحكومات والمؤسسات وقد تأسست على يد ديفيد يانج الذي كان عضوا في فريق الأمن القومي الخاص بالرئيس الأمريكي السابق ريتشارد نيكسون، ومن ضمن العاملين فيها السفير الأمريكي السابق لدى الأمم المتحدة جون نيجروبونتي ويوجد مقر الشركة في مبنى أنيق في شارع ضيق في مدينة أوكسفورد الإنجليزية والمهمة الموكلة لي كانت كما فهمت في إعداد نشرة بالمخاطر السياسية لبعض الدول في الشرق الأوسط بمشاركة مجموعة من الباحثين وعندما بحثت عن السيرة الذاتية لهم وجدتها رائعة ومثيرة للحماس للعمل معهم وعندما وصلت لبريطانيا واشتغلت في الشركة تم إسناد الإشراف على الباحثين المستقلين، لقد استفدت كثيرا من المجموعة وكان هناك هارموني بيننا وجهة نظرنا متقاربة، أنا طبعا أعرف أكثر منهم عن مصر لذلك عندما يكون هناك طلب أو مشورة بخصوص القاهرة فكنت أنا الذي أكتب الورقة وبعد ذلك أقرأ لهم ما كتبت ويتم مناقشة ما جاء بها، وأكتب الملاحظات التي يبديها الأعضاء وأصيغ ما تم الاتفاق عليه وأقدمها للإدارة، توثقت علاقتي بالسيدة سابين وهي محامية حقوقية من أوكرانيا صديقة جد رائعة سمراء وجهها بيضاوي شعرها مفلفل ولكن في العموم له سحر، فكنت أقضي معظم وقتي معها

نذهب لكنيسة المسيح والمسجد الكبير الموجود هنا ونشتري الآيس كريم ونجوب المروج الأنيقة في أوكسفورد، المناخ هنا مقارنة ببقية المدن الإنجليزية، معتدل فيكون أكثر دفئاً في شهر يوليو فتصل درجة الحرارة إلى ٣٦ درجة أما شتاءً فيكون بارداً وتنخفض الحرارة حيث تصل إلى –٧ درجة مئوية أما فصل الربيع فيأتي بمزيج من الطقس الممطر والمشمس والغائم أحياناً.

أناقش معها تفاصيل حياتي أحلامي نتكلم عن السياسة في العالم كانت تملأ حياتي بالدفء والعاطفة كان لنا موعد ثابت لحضور عرض لفيلم سينمائي، ووصل ذروة تعلقنا ببعض في واحدة من ليالي الصيف ودرجة الحرارة معتدلة، وأثناء خروجنا من دار السينما هبت نسمة رقيقة جعلتني أميل عليها وأقبلها وأحتضنها بحنان، ظلت في حضني لفترة طويلة وأنا لا أريد أن أتركها وأحاول أن أنصت لقلبها ولأول مرة أشعر أن حياتي كانت صحراء، كنت أحتاج هذا الحضن ليرويني، رغم أنني لم أشعر بذلك أبدا، لم تكن المرأة تمثل أهمية، كان طموحي فريدا، طموح بالصعود لذلك لم أتوقف عن العمل والبحث ولا أتذكر يوما أنني أرقت لأنني أظل أعمل حتى أسقط من الإعياء وأقوم لأستمر، وإلا كيف كنت سأحصد كل هذه النتائج أشعر أنني ملاحق طوال الوقت وأنني يجب أن أصل إلى ما أريد قبل أن .... طموح مجنون يملأ حياتي، واتضح لي أن كل هذا محض وهم وأن لمسة يد كفيلة بتعرية روحي الخربة، التصحر والجفاف العاطفي الذي فجأة اكتشفت أنني أعيشه، ألححت عليها كي تعود معي لغرفتي ولكن ظلت مترددة ولكن استطعت أن أقنعها وأنا أقبل أذنها الفاتنة.

وصلنا الغرفة وأخذت أقبلها فأزاحتني وقالت لي سأقوم بعرض استربتيز مجاني لك، اندهشت وقلت لها هل عملت كعارضة تعري فابتسمت وقالت: نعم لقد قمت بالعمل كعارضة في نادي للتعري في أوكرانيا وأنا طالبة بكلية الحقوق في بيت اللذة لكي تساعدني في تحمل مصاريف الدراسة كما أنني أحب الرفاهية أحب ارتداء ملابس شيك وسيارة موديل حديث وأتناول أطعمة فاخرة أن أحضر حفلات وأشترك في نوادي وأستمتع

بحياتي، قلت لها عليكِ أن تكتبي تجربتك في كتاب مؤكد تستطيعين كتابة مختلفة حول الموضوع، خاصة الموضوع شائق وله جمهور كبير، تركتنا وشغلت الموسيقي وأخذت تسقط ملابسها قطعة وراء الأخرى، حتى لم تعد ترتدي سوى الستيان والكلوت، نظرت إلى بطنها المهضومة وسرتها المغروس داخلها لؤلؤة كان هناك حول السرة ارتفاع طفيف جعلها ساحرة، خلعت اللؤلؤة فظهرت سرتها عارية فتذكرت الحلم وبدأ الدود الأسود يخرج منهم بكثافة أخذت أهز في رأسي وأنا على السرير، أهز رأسي لكي تبعد عني أشباح الكوابيس الذي عانيت من مهاجمتهم لي في القاهرة، لدرجة مخيفة، أغلقت عيني وسقطت على السرير وتصنعت النوم وفي الصباح وجدتها تنام جواري عاريه فأخذت أقبل فيها بدء من أصابع أقدامها إلى الساق وفخذها وقد جلبت قطعة قماش لأغطي السرة ثم فتحت عينيها وأخذنا نقبل بعضنا قبلات محمومة ثم ارتديت الواقع الذكرى ومارست معها الجنس ثم عاودنا مرة أخرى أكثر متعة ثم استحممنا معاً وطلبنا إفطار ديلفري من مطعم قريب، ثم استغرقنا في النوم وقلنا ليذهب المركز للجحيم.

أسبوع من الحلم والحب والشهوة والجمال قضيناه، وبعد ذلك عدنا للمركز وكنت بدأت أتردد على د مها في مكتبها في كامبريدج أناقش معها رسالة الدكتوراه وقد وافقت على موضوع البحث وهو عن تأسيس النقابات العمالية المستقلة في مصر بعد سقوط الرئيس السابق حسني مبارك والتنمية المؤسسية الديمقراطية وكان التركيز على نقابة الباعة الجائلين.

وقد بدأت في جمع المراجع المتوفرة في المكتبات وشراء الكتب المتاحة على الإنترنت، ثم عملت لسنه بالكتب المتاحة وعملت توقيت محدد لاستعارتها من المكتبة الموجودة في الجامعة، ثم حددت ساعات معينة لكتابة خريطة للبحث، بطبيعتي منظم، وأعرف أنني سأنتهي من جمع أكثر من ٦٠% من خلال الأبحاث النظرية، ثم بعد ذلك أنزل للقاهرة لأكمل البحث الذي لن يستغرق مني سوى شهور قليلة لأعود لمناقشة الرسالة.

كنت أتواصل مع أصدقائي في القاهرة وأعرف آخر التطورات، وكنا نظل نناقش ما

يجري لفترة طويلة، بعض أصدقائي كانوا في قمة اليأس ويري أن الأمور وصلت لطريق مسدود ولن يكون هناك حل ولا مائة عام، أما إيهاب مصطفي صديقي الفنان فكان له رؤية راديكالية للأمور، فلا حل له إلا بتدمير الطبقة السياسية التي تكونت في المائة عام الأخيرة، فهنا نظام يرفع السلاح في مواجهة المصريين، ماذا يفعل الناس؟ لسنا شعباً انتحارياً نحن شعب رغم البؤس فيها ولكن نحب الحياة ويبدو أن الإدارة بالقاهرة شاطرة في استمالة عقول الغربيين لينسوا سجل حقوق الإنسان وهذا الموقف يجعلني فعلاً، أرى أن مبادئ التنوير خرجت وفي باطنها جانب مظلم وقبيح، من البداية ففي الوقت الذي تبنت فيه النظم الغربية، الحرية والمساواة والعدالة والعقلانية كانت تقوم بنفس الوقت بحروبها الاستعمارية الفظيعة في العالم، لامتصاص خيرات هذه الدولة وسحق أي معنى للعدالة، وقتل كل اتجاه مقاوم وفاعل، وإسناد الأمور تدار من خلال نخبة عميلة محلية، تبنت القيم الغربية ليس لأنها تؤمن بالتنوير ولكن نفاقا وكذبا لكي تستمر في الحكم، وتقوم ببناء مستعمرات خاصة بهم، وقد يكون هذا تطرفاً مني، ولكن لا حل إلا بالخروج على هذه النخب بالسلاح غير ذلك وهم.

أنا أتفهم حالة إيهاب، فهو بطبيعته فنان عصابي مثالي حدي، نقي، لذلك أعلن رأيه بوضوح ضد الإنقلاب العسكري، فتم حرمانه من منحة التفرغ الذي كان يحصل عليها بالإضافة لرسومات البورترية التي كانت تغطي تكاليف الإقامة في مصر، ثم نشبت مشاكل كثيرة بينه وبين زوجته فقررت العودة مرة أخرى لإيطاليا لم يعترضها وصمم على العيش في القاهرة، لم يعد ينزل من شقته إلا فترات قليلة يجلس في الشارع يخرج الأوراق والألوان ويرسم في الشارع مقابل مبالغ ضئيلة لم يكن يشعر بالأسى بل بالتحرر لأول مرة منذ فترة طويلة، تحرر من الزوجة، من الأصدقاء، من الأشياء الجميلة التي كان يعتبرها عوامل بهجة، مثل جلوسه في البار وتناول شراب مسكر والتحدث مع الأصدقاء، والسير في وسط البلد ودخول المكتبات وتفحص العناوين الجديدة حتى الإنترنت الذي كان يمثل أهمية كبرى انقطع عنه ولم يعد يفتح صفحته على الفيس رغم أنها كانت فرصة جيدة

لعرض رسوماته ولكن كان قد فقد الثقة في الواقع الثقافي ويراه يقوم بدور رخيص شرير وأنه حتى يصل لقطاع واسع عليه أن يجامل هذا وينافق ذاك، ويصمت صمت الخرفان في مواجهة تزييف الوعي العميق والذي يضرب المجتمع بسرطان يزيده تشوه وسوء، انقطع عن النت حتى يحتفظ بروحه سليمة ولا يورط نفسه في مشاكل لا آخر لها فالعنف هو اللغة السائدة، والاغتيال المعنوي جوهر أساسي، أحيانا يدخل ينظر على كتابات الرفاق الثوريين يتقيأ قرفا ويغلق الصفحة ويظل محبطا.

يتناول أي طعام متاح وعندما لا يتوفر معه مال، يبحث في القمامة عن بقايا طعام لم يكن يأبه لأنه في ذلك الوقت يكون جائعاً جدا، لا يطلب مالاً من أحد ولكن عندما يفتش في القمامة ولا يجد شيئا، يدخل أي مطعم ويطلب ساندويتشا، فيقوم البائع بشق رغيف خبز ويحشوه بفول أو فلافل ثم يضع عليها بعض السلطة، ويناولها إياه لا يطلب آخر، بل يخرج إلى الشارع ليلتهمه بنهم شره أحيانا يرق لحالة من مرتادي المطعم فيقوم واحد منهم بشراء بعض السندويتشات ويناوله إياها يخرج صامتا دون أن يوجه كلمة شكر له، يسير حياته حسب الصدفة ينام وقتما يجد لديه رغبة في النوم يسير في الشارع وقتما يرغب، أحيانا يكون قريباً من الشقة التي يسكن فيها ولا يجد رغبة في الذهاب فينام في الشارع، عندما يقذفه الأولاد بالطوب لا يلتفت يظل يسير مهما تعرض لعنف لم يعد يغير ملابسة أو يستحم منذ سفر زوجته التي كانت تجبره على الإستحمام، تراكم الوسخ على جسمه وأصبحت رائحته بشعة، وعندما نزلت القاهرة للمرة الثانية ذهبت إليه وجلست جواره على الرصيف وهو يرسم، وقد رسم لي بورتريه آخر فطلبت منه أن يرسم لأختي مارين بورتريه، ففعل وصورتها وأرسلتها لها عبر الواتس ألحت عليه ليأتي معي لنذهب لمحل بيع الملابس القريب من المكان حتى وافق وسار معي.

أصبح بديناً بشكل رهيب، يسير معي، الجزمة ممزقة معظم قدمه تسير على الأرض، فبدت كخف جمل، دخلنا المحل البائعة كانت تنظر لنا وهي مندهشة ومتأففة طلبت منها أن ترينا قسم الملابس الكبيرة، تقدمتنا ثم أشارت إلينا وتركتنا نبحث بين الملابس عن

مقاسات مناسبة له، ظللنا نقلب فوجدت له بنطلون وبعض تي شريتات وملابس داخلية واشتريت له حذاء من محل آخر، وكوفيه وجاكت جلد، ذهبت معه للبيت وجدت الشقة بشعة، هذه ليست شقة إنها بيت للعنكبوت والحشرات وتلال من القمامة جعلت الشقة غير محتملة خرجت للشارع من شدة الروائح الكريهة تكلمت مع البواب عن أحد ينظف الشقة فذهب ليبحث عن عامل نظافة، وبعد فترة انتظار وجدته يأتي مع العامل وعلى كتفة قفه اتفقت معه على المبلغ الذي سيحصل عليه مقابل تنظيف الشقة وصعدنا لنجلس فوق سطح العمارة نتكلم عن الفن والحياة وعندما تكلمت معه عن الواقع السياسي لم أجد لدية أي رغبة للكلام في ما يدور في المشهد، لذلك التزمت الصمت لفترة فقال الطعام والرسم والنوم هذا هو المهم أما باقي الأمور مجرد تفاصيل تافهة قلت معك حق إذا لنذهب لنتناول الطعام، دخلت مطعم يقدم الكبدة بطريقة مميزة جلسنا وقدم لنا طحينة وكبدة وسجق فبدأ يأكل بشراهة أفقدتني رغبتي في الأكل، فأخذت ألتقط قطع صغيرة من الخبز وأضعها في الطحينة أو أتناول بعض السلطة أو البصل المقلي حتى انتهى من الطعام، خرجنا وجلسنا على المقهي، أشرب شيشه وهو يدخن ويشرب الشاي، قلت له يجب أن تستعيد قدرتك على العودة لرسم لوحات، ثم أخرجت من الحقيبة علبة ألوان متكاملة ووضعتها بين يديه شعر بالسعادة فتيقنت أنه سيعود مرة ثانية كما عرفته لذلك شعرت بالحماس وتركته وذهبت لشراء صابون وشامبو ولوف يستخدم في تنظيف الجسم وذهبنا للشقة، كان العامل قد انتهي من التنظيف وقد هدّه التعب وبدى في غاية الضيق، فزدت على أجره عشرين جنيها فتبسم، فقال: أهي العشرين جنيه دي بمشيها على جسمي يرتاح فاخرج إيهاب سيجارة وناولها للعامل فوضعها خلف أذنه وتركنا ونزل درج السلم مبتهجا، دخلنا فصممت أن يستحم فورا ودخلت معه الحمام فتحت الدش فبدى كدب عظيم يحمل تلال من اللحم، أخذ يشهق ويحاول الهرب من الماء وأنا ألاحقه بالماء فكان يرتعش وصببت على رأسه سائل الشامبو وأخذت أدعك في رأسه ثم تناولت ألوفه وأخذت أدعك في جسمه، حتى أزلت الأوساخ تماما فظهر كخنزير

بجسم أحمر ملتهب، خرجت وناولته الفوطة، ثم الملابس الداخلية، وباقي الملابس وعندما خرج كان يبدو كبرنس حقيقي، قلت له لماذا لا ننزل البستان حيث الأصدقاء هناك فعرفت منه أنه امتنع عن ارتياد مقهى البستان حيث قام عمال المقهى بالتنمر والضغط عليه والسخرية منه أمام أصدقاءه، قلت هكذا هم عمال المقاهي في مصر، مجرد أن لا تهبهم مالاً يتم التعامل معك بطريقة غاية في السوء، كنت منهكاً فاعتذرت وقد قررت العودة مرة ثانية للشقة.

بعد ذلك عرفت أنه قد طرد من محل سكنه بعد تعثره في دفع الإيجار الشهري بحثت عنه في المكان الذي يجلس فيه فلم أعثر عليه، سألت الوجودين في المكان ولكن لم يدلني أحد عدت لمقهى زهرة البستان وسعدت أن لا أحد من أصدقائي موجود، لقد تعبت من الجدل السخيف وكل واحد يتصور أن لدية اليقين الكامل رؤية جدية ولا يقبل أحد بأي رؤية نقيض، أخرجت اللاب توب وبدأت العمل، وأنا مستغرق في العمل وجدت مواطن يستأذن مني لكي يجلس على كرسي بجواري، دُهِشَ وقلت له المكان فارغ وأشرت لعدة طاولات قال: نعم معك حق، ولكن يروق لي دائما الجلوس في هذا المكان، كان يتكلم معي بلغة إنجليزية، كان يبدو مهذباً فسمحت له بالجلوس وأغلقت اللاب وعرفت منه أنه يدعي أسامة المخزنجي طبيب جراح، أخذنا نتحدث وعرفت أنه من محافظة المنوفية، وأنه حضر للقاهرة للبحث عن دار نشر لنشر كتابه تفسير القرآن قلت له ولكنك دكتور جراح لماذا تنشغل بكتاب يخص الدين وهناك عدد كبير جدا خريجي الأزهر، ومتفرغون لهذا العمل، قال: لأنني كنت أحب والدي جدا وقد رحل عن الدنيا، وقررت أن أقوم بعمل وأهبه له، قلت له: ولكن كيف تهبه، قال: سيصله في العالم الآخر، ولماذا تفسير القرآن؟ لماذا تفسير القرآن هو الذي يصل لأبيك؟ لماذا لم تساعد الفقراء بالكشف مجاني مثلاً، أو إجراء جراحة بتكاليف محدودة، قال: إنه هاتف هتف لي وأنا بقالي اثنا عشر عاماً، أشتغل على تفسير القرآن وعملت ١٢ جزء، قلت له: أنت تهزل، هذا لا يمكن أبدا أن يكون، قال: الكتاب هذا فيه آيات قرآنية وحق هذه الآيات ما أقوله لا

هزل فيه وجاد جدا، المشكلة ليست في تعبي فهذا مقدر ومكتوب ولكن الذي يقطع في أنني لا أجد أحد ينشر الكتاب وعندما يوافق ناشر يطلب رقما فلكيا، أقل واحد طلب نصف مليون جنية لأن الكتاب حجمة ضخم جدا ولا قدرة لي ولا أعرف ماذا أفعل، قلت لو أن هذا الرجل استغرق هذا الوقت في أبحاث علمية، أو في خدمة أهل قريته، لكان بالطبع وصل لوالده كمية دعاء هائلة، كان يتألم فعلا ويبدو نقيا ولكن ماذا يفعل النقاء في هذه الحروب الدينكشوتية، ما الذي كسبت العالم من الجهاد كل هذا الوقت، لا أعرف ماذا يلقنون هؤلاء في المراحل التعليمية هناك مشكلة كبري تخص الثقافة والوعي ولا أعتقد أن المناهج التعليمية تهتم بهم، الغريب أن هذا يندد بالنظام التعليمي ويتهم الوهابية بتدمير التعليم وأن الإخوان تقوم بدور سلبي في التعليم وأنها السبب في كل هذا الهراء الذي يحدث في مصر من تخلف وزيادة سكانية، وأنهم يستميلون الطبقات الفقيرة بدور إجتماعية، قلت له ولماذا لا تقومون بهذا الدور وتستميلون هذه الطبقات بدل أن تتركوا المساحة خالية للإخوان والسلفيين، فقال: أن هذا يحتاج لتفرغ وأننا كشعب غير جيدين في مسألة العمل الجماعي، بسبب الأنانية وأن كل تجمع لو فيه ١٠٠ عضو، كل الأعضاء يريدون أن يكونوا كلهم رؤساء، يبدو أننا كشعب غير ناضج ونحتاج لوقت طويل كي نتحضر، لذلك ليس أمامنا سوى الحاكم الدكتاتور الذي يحمي الشعب من التيارات المتطرفة، والتي زادت بشكل مهول في الفترة الأخيرة أثناء حكم الإخوان.

هههههه هذه شخصيات روائية مثيرة، ولكنها في الواقع معوقة معطلة.

(١١)

في اليوم التالي ذهبت لمقابلة جينارو جيرفازيو وهو إيطالي يعيش ويعمل في مصر أستاذا للعلوم السياسية بالجامعة الأمريكية من أربعين عاماً وقد أرخ للحركات اليسارية الراديكالية من خلال كتابة العظيم الحركة الماركسية في مصر من ١٩٦٧إلى ١٩٨١، وعندما قابلته أول مرة وكنت مندهشاً من غياب اليسار في ظل وجود هذا العدد الهائل بداية من حركة التصنيع الكبرى التي بدأت مع الثورة عام ٥٢ وهذا حال الثورة النشطة، أخذ يضحك ويقول:

إسمع جوليو: لقد جئت للقاهرة في السبعينات كان اليساريون يقضون وقتهم في البارات يسكرون ويغرقون في مناقشات عقيمة تاركين الشارع لجماعة الإخوان المسلمين الذين يقومون بإنشاء المستشفيات الأهلية والجمعيات الخيرية، وتفتتح مراكز تعليمية، وفي النهاية الإخوان لهم حضور وقوة لا يستهان بها، واليسار أخفى نفسه، وضع في ثلاجة، وظل أمثال رفعت السعيد يستحوذن على مجال اليسار في الإعلام، أما الشرفاء فيتم سحقهم هناك مشكلة التنظير جيد لكن الذي يصنع قوة حقيقية فاعلة هو النزول للشارع.

قلت له: ولكن لا تنسى أن الإخوان لديهم مقرات جاهزة وخطاب يلقى صدى طيب لدى المصريين.

وهو لديه أيضا منافذ، لدية جموع العمال في المصانع، لدية الجامعات، المنتديات الأدبية إذا كان هناك مشكلة نعم حلها هذا دورك ولكن هم لم يحتملوا قسوة سجون عبد الناصر، فتخندقوا معه واعتبروا "الخيانة الوطنية" في صلب اهتمامهم وضحوا بالقضايا الإجتماعية التي تعتبر جوهر النظرية الماركسية" لم يقل أحد أن تتجاهل قضية الإستقلال الوطني ولا تقلل من أهمية القضية الفلسطينية في الوجدان والضمير، لكن عليك أن توازن

الأمور، وتعطي للقضايا الإجتماعية دوراً جوهرياً وليس مجرد سطور في بياناتهم، هم انسحقوا في مواجهة السلطة وسحب عدائهم للنظام الذي يستحوذ على السلطة والثروة وجعلوا عدوهم الأقل تكلفة وهو جماعة الإخوان المسلمين، لذلك كما يحدث في كل النظم السياسية فما دمت أخرجت نفسك من لعبة الصراع ستكون محبوبا ومرضي عنك من السلطة، لذلك فقدوا كل شعبية وأصبح دورهم محصوراً في هذا الإطار، أن يلزموا بكونهم مخلب قط للسلطة في محاربة القوة الفاعلة لا أكثر، لذلك أصبح الفاعلين في اليسار اليوم جزء أساسي في السلطة، شراكة بحسب حجمك ودورك في النهاية.

قلت: هذا يمثل انتحار!

قال: لن يكون هناك يسار حقيقي إلا بتفكيك النظام الذي يحكم وإعادة بناء نظام جديد يعيد الإعتبار للعمل السياسي أما الآن فقد تم مصادرة العمل السياسي لصالح حلقة ضيقة ومكاسب فئوية رخيصة دمرت مشروع اليسار وأصبح مشبوه وسيئ السمعة داخل مصر وخارجها.

ولكن هناك نقابة العمال، هل هي ليست قادرة على قيادة العمال للدفاع عن مصالحهم؟ قال: إن نقابة العمال مثلها مثل اليسار سلمت نفسها للسلطة، فتم شراء قيادتها لذلك أيضا أصبحت جزء من السلطة، الحقيقة أن السلطة نجحت نجاحاً باهرا في تفسيخ العمل العام والسيطرة المطلقة على كل نافذة، أعتقد أنهم لو بذلوا هذه الجهود الباهرة في التعليم والصحة لكان لهم قوة حقيقية ضاربة من الصعب كسرها.

تكررت زياراتي لدكتور جينارو وفي كل مرة يزداد إعجابي من قدراته الذهنية ومهاراته وبصيرته النافذة، ثم أنه من عرفني على الوسط النخبوي في القاهرة وأصبح لي علاقات جيدة من أكاديميين وسياسيين ونقابيين، وكتاب وفنانين لدية مهارة في عمل علاقات جيدة دون أن يغير من قناعاته.

في هذا اليوم كنت أريد أن أسمع منه، أريد أن أعرف أكثر عما يحدث داخل النقابات، هل مصر سقطت فعلاً داخل بركة آسنة ولن تخرج منها على المدى البعيد؟ أم أن هناك

قوة حية في المجتمع لديها القدرة على المقاومة؟ وصلت الساعة الثانية وجدت لديه صحفي مصري شهير ودكتور حسانين وآخر لم أتعرف عليه، كان الصحافي يحكي عن مقابلته للأزرق، وظل يشيد به وبدوره الذي يشبه دور محمد علي، عندما قال: فرد ذلك الآخر الذي لم أتعرف عليه

رغم أني مهووس بالقاهرة ولكن لا أستطيع الحياة هناك، فالمناخ القاتم يسيطر على الحياة، ولكن هنا أتمتع بحرية ومناخ يساعد على العمل دون عوائق، لكن النهاية الوظيفة هي من ستحدد أين سأكون بعد ذلك، في ذلك الوقت كنت أذهب للدكتورة للحديث معها عن الأوضاع في مصر ودور النقابات في التغيير الإقتصادي والنخب ودور الريف في لعب دور على المدى البعيد نتيجة سياسة الأفقار، وانهيار منظومة الصحة والتعليم ناهيك عن منظومة العدالة التي سقطت في يد حفنة من القتلة الذين يفتقدون أي وازع من ضمير، أشعر بالضيق من كون مصر متعلقة بي وبذهني، أريد أن أتوقف عن النظر للأمور بعاطفتي، في النهاية ليس بيدي شيء لتغييره، ولكن تظل مصر تستحوذ على مخيلتي المكان يمثل لي شغف حقيقي، بمجرد ما تتاح الفرصة للحديث عن مصر لا أتوقف وأظل أحكي خاصة أيام العطل الأسبوعية، والذي نخرج فيه على البحر أو التنزه في الحدائق فتظل مصر الحاضر بقوة، كان أصدقائي يسخرون من هذا الهوس بمصر فأقول لدي إحساس أن لي جذور ممتدة في مصر، فقد يكون واحد من أجدادي عاش في مصر لذلك نفسي تهوى إليها، أحب ناسها شوارعها، المقاهي، الحضارة الفرعونية العريقة.

مر علي عام هنا في الشركة والوظيفة تدر لي مبلغاً كبيرا، ولكن يتسرب جزء كبير منه في الأشياء الضرورية، إضافة لشراء المراجع باهظة الثمن ولكن عام آخر هنا وسأكون قد انتهيت من الجزء النظري تماما وادخرت مبلغا معقول يكفي لتغطية نفقاتي في تكملة الجزء العملي من دراساتي العليا في مصر.

ليس لدي متطلبات كثيرة، فلست مستهلكاً شره لقد تعودت أن أضبط استهلاكي في مواجهة أسعار السوق وتسونامي الإعلانات التجارية، التي تجرف الإنسان ليصبح مجرد

أداة سلبية، تلهث وراء كل جديد، لذلك قررت عدم تناول شراب المياه الغازية، وتناول قدراً محدوداً جدا من السكريات، لذلك صحتي جيدة.

عندما عدت لمصر طلب مني أصدقائي أن أكون حذرا في علاقاتي، وأن لا أقيم علاقة مع إخواني فهم خط أحمر، كان يجب علي الالتزام تماماً فلست لاعبا سياسياً، ولكي يكون البحث موضوعيا علي أخذ آراء ممثلي السلطة من خلال القوى العاملة حتى يحدث توازنا ولا نقع في الرؤية الأحادية التي قللت من البحث العلمي، الكل خائف هنا قلقون يهربون من الكلام في السياسية، إلى الكلام في الجنس وكرة القدم والسينما، أصدقائي يتابعون الأفلام التي تصدر من كل العالم، قليلاً ما أشاهد فيلما، فالسينما تستهلك الوقت بدرجة مخيفة ووقتي محدود ولكن أتابع الموسيقي سواء كانت الكلاسيكية أو الحديثة وكلما خرجت أضع سماعة في أذني وأنصت، خاصة أثناء وسائل المواصلات في المترو وهو الوسيلة المحببة لتنقلاتي.

نعم استطاع النظام أن يلجم القوى الثورية ويعود بالمصريين لمناخ الستينات الدموي، ويستقطب كل القوى التي تدعم تثبيت القمع فهو قد تعلم من تجربة مبارك مجرد، أن يعطي الضوء لمناخ محدود مهما كان صغيرا، لن يستطيع السيطرة بعد على الوضع لذلك النخب في مصر التي كانت هائجة وتقف بالمرصاد لكل همسة، تصدر من النظام في أواخر عهد مبارك أو المجلس العسكري أو مرسي، وجدت هياجها الهستيري الفاشستي للإخوان وظهرت رغبة دموية من النخبة.

بعثت لأمي رسالة لم ترد علي فكتبت لها عما أراه وقد استخدمه في مقال عن المشهد الحالي، عندما انتهى من الدراسة وأعود.

باولا.

كيف حالك؟ أريد التكلم معكِ عن المشهد الحالي لأني لم أعد أجد صديقا هنا أستطيع أن أناقش معه الوضع، الكل يريد الإنتقام من الإخوان لذلك لم يكن صوت الصحافي عبد الحليم قنديل نشازاً عندما هتف بصوته الأجش الممتلئ بالغضب والغل

والحنق.

أن الرئيس السيسي لن ينجح إلا بمذبحة مثل التي قام بها الباشا محمد علي ضد المماليك، فالكل يبشر به باعتباره حاكماً عظيماً مثله مثل محمد علي لذلك كان سياق المذبحة طبيعياً لكي يعيد بناء مصر الحديثة، النخبة هنا كأنهم في مباراة لكرة القدم، لذلك تجد الهتافات من عينة، _أفرم يا سيسي _ أعدم يا سيسي _ أدينا سلاح وإحنا نقتل الإخوان الإرهابيين _ وكان القتل فقط هو من سيثبت حكمه مثلما ثبت حكم الباشا، الكارثة أن محمد علي لم يرتكب المذبحة ضد المماليك فقط بل قام بعشرات المذابح ضد كل القوى المعارضة لحكمه المديد سواء بالنفي تارة ومصادرة الأراضي والسجن والسحل والقتل والسخرية تارة اخرى، ثم أن المشروع لم ينجح بالفعل ليعتبر قدوة ودرس وعقيدة يجب أن يتم تكريسها، مشروع محمد علي مشروع فاشي فاشل، ورآه بنفسه يسقط أمامه من خلال تحطيم الأسطول المصري في معركة نوارين البحرية وسحق إرادته السياسة وإجباره على توقيع إتفاقية لندن التي دمرت كل آماله في تكوين إمبراطورية لذلك ظل طوال أعوامه الأخيرة فاقد الرؤية مشتتاً ضائعاً باحثا عن ممالك شيدت ثم تبخرت، وعلينا أن نتخيل أن هذا العسكري كون مجلس شورى وترك مساحة المجال العام مفتوحاً أمام القوى المدنية لتكون نواة لبناء مجتمع مدني، هل كان هذا المجتمع سيسمح له بخوض مغامرات خارجية مهلكة لم يستفد منها الشعب المصري شيء؟ أم أنه كان سيشكل عامل ضغط وتقويم للباشا، الحقيقية أن هذا التخيل في غير موضعه فالروح العسكرية بطبيعتها تميل للاستبداد بالرأي وترى في نفسها أنها تملك الحقيقية مثلهم مثل رجال الدين فهم وجهان لعملة رديئة لا تهتم إلا بنفسها ولا تبالي بقيمة الفرد أو الروح الإنسانية، لذلك كان فشل الحكام أو رجال الدين شبه يقين راسخ متجذر في التاريخ، هل استفادت النخب المصرية من هذه المرحلة وفكرت بالخروج من كتالوج الألباني الأمي الذي استطاع أن يجد له موطأ قدم في مصر بـ ٣٠٠ مقاتل في ظل ظروف داخلية شديدة التعقيد من فتن وقلاقل وحروب ودسائس وقوة يحسب له حساب سواء داخلياً تحميه قوة داخلية وقوة خارجية سواء كانوا

الأتراك أو الدول الأوروبية التي تسعى حثيثا لحكم مصر الحكم بالوكالة من خلال الوكالة، وكان على رأس هذه القوة عسكريان محترفان وهما إبراهيم بك الكبير المنحاز للباب العالي أو محمد بك الألفي المنحاز لإنجلترا وفي ظل هذا التطاحن ثبت ليتوج حاكما لمصر، إنه الدهاء والخبث والوعي السياسي العميق والخبرة التي تمتع بها ابن تاجر التبغ الذي مات أبوه فتولى رعايته عمه طوسون، الذي مات أيضًا، فكفله حاكم قولة وصديق والده الشوربجي إسماعيل الذي أدرجه في سلك الجندية، فأبدى شجاعة وحسن لذلك تودد إلى العلماء والزعامات الوطنية واستطاع أن يحصل منهم على تفويض بحكم مصر بعد أن بايعه أعيان الشعب في دار المحكمة ليكون واليًا على مصر في ١٧ مايو سنة ١٨٠٥م واستطاع محمد علي أن يثبت حكمه ويبسط سلطانة بالعنف والمجازر ضد المعارضين سواء المماليك أو أهل البلد أو النخبة المتعلمة فلا فرق لدية فكل مصدر للخطر يجب أن يتم إخصاؤه تماما والكل يجب أن يكون خادما في معية الباشا لا صوت يعلو ولا قرار يصدر علي والختم مطبوع عليه الباشا فكل السلطات كانت تحت يديه ولا وكالة إلا لابنه إبراهيم في الحروب الخارجية، للأسف نجاح محمد علي المذهل بتكوين دولة حديثة كما تراه النخبة والحلم بإمبراطورية مصرية مهيمنة على الوطن العربي ظل يراود النخب المصرية لذلك أصبح مشروع محمد علي هو الرافد الأساس في مسار السياسة المصرية سواء من خلال ورثته الفعليين أبناء محمد علي البيولوجيين سعيد- إسماعيل- توفيق- إلى فاروق، أو ابناءه بالتبني، الدولة العسكري القومية ممثلة في نظام ثورة يوليو حتى الآن والذي من المفروض أن يكون هذا المشروع نقيضا لحكم أسرة محمد علي باشا وجاء على أنقاضه ولكن الحقيقة أن ناصر استلم كتالوج محمد علي واستعاده من خلال برنامجه السياسي حيث ارتكاب المجازر ضد الخصوم وتصفية الجيوب القوية المعارضة وتشويه الخصوم والإعتقال التعسفي ومصادرة الأراضي ونظام السخرة من خلال التجنيد الإجباري والمغامرات الخارجية، وتحطيم أي قوة معارضة والانفراد بالرأي واستخدام الكنيسة والجامع في تعضيد حكمه، ثم بعد ذلك قام السادات ومبارك والسيسي بنفس السياسة القتل خارج القانون، المجازر،

السجن، السحل، مصادرة الأموال، إنتهاك حقوق المواطنة، استخدام النخبة في تشويه الخصوم، الإيمان الراسخ بالمشروع الغربي الرأسمالي في التحديث دون وعي بشروط اللحظة التاريخية أو استخدام المنجز التقني في التكريس للدولة البوليسية الإنتهازية التي يتم تخصيصها لصالح نخبة مجرمة تمتص خيرات البلاد فقط دون إصلاح جوهري أو تنوير، أو أي نوع من تأسيس أي مقوم من مقومات الدولة الوطنية.

لم هذا الإيمان الراسخ بدور الألباني الذي فشل في بناء دولة قوية؟ لماذا لم تر النخبة كارثة مشروع محمد علي وهو الدكتاتورية والإنفراد بالرأي ورأت فقط انتصاراته الدموية الذي لم يستفاد منها الشعب المصري شيئاً؟ لماذا لم تر النخبة تدمير المعارضة المدنية التي نشأت ما بين الاحتلال الفرنسي لمصر وتولي محمد علي حكم مصر؟ لماذا لم تر النخب مصادرة محمد علي للمجال العام؟ لماذا يحتفي المصريون عموما بالقوة ضد الشعب الأعزل وتصحير العمل السياسي؟ مع أن هذه الأسباب هي التي أفشلت مشروع محمد علي وخلفاءه وأدت لهزيمة ٦٧ وجعلت السادات يذهب منفردا لعقد صلح كارثي مع إسرائيل وجعلت مبارك الأحمق يحول البلد لمزرعة يرتع فيها اللصوص والمرتزقة والخدم ولتتم أكبر عملية سرقة في التاريخ.

(١٢)

كل بلدان العالم الثالث واقعة فريسة للفقر والتهميش والعنف المنظم والتسلق والفساد والطبقية وغياب أي سياق طبيعي لذلك كنت أستغرب أن وسط كل هذا العفن يوجد أفراد في غاية النقاء والنزاهة، أفراد تجدهم في محلات البقالة في سيارات الأجرة، في الإدارات الحكومية، بين عمال النظافة شعراء، قصاصون، فنانون، بين الباعة الجائلون ومن هؤلاء من تعاملت معهم مباشرة مثل أحمد بائع متجول حكى لي حكايته وسجلتها: قبل ٥ سنوات لم تكن حياة أحمد بحاجة لمن يسندها، لكن كانت المأساة تُولد وتقترب سيقانه التي كان يعدو بها في المسابقات الرياضية لم تعد تقوى على حمله، أصابت ركبتيه خشونة عنيدة تطورت إلى رباط صليبي ولم يكن هناك بديل عن مفصل صناعي لكل ركبة وإن اكتفى بواحد حين وجد أنه لا يعمل بكفاءة، أحمد لا يمكنه أن يطوي رجله لا يقدر على المشي ولا الوقوف طويلاً، وهو أب أي لا بد أن يعود آخر النهار بخبز إلى البيت، إن أكثر ما يؤلمه هو أن تحتاج أمه المسنة إلى شيء لا يمكنه تدبيره كم كانت فرحته عارمة عندما استطاعت جنيهاته الزهيدة أن تشترى لها مؤخرًا حلوى المولد وبقي معه ما يكفي قوت عياله.

وقفته المائلة الرخوة على العكاز بالتوفيقية، وكيس الألعاب في يده إمتحان يومي لسنواته الخمسين، غير أن ابتسامته لا تشعرك أبدأ أنك بصدد رجل يتآكل من تلقاء نفسه مع ذلك قال لي بيقين: "أنا متأكد إنها هتفرج.. أمي داعية لي وربنا يرسل لي رسائل"، لكن الغصة التي يتنقل بها أحمد أن بطاقته محتجزة حتى يسدد ألفي جنيه اقترضها في تجهيز ابنته وعجز عن الوفاء بها، كأن ما ينقصه هو همّ الدّيْن، رغم بساطته.

أحمد، الحاصل على الإعدادية لا يحزن لأنه فقد وظيفته، كـ "مونتير" في إحدى المطابع،

بل لأن الناس يظنون أنه متسول وحين يهمون بوضع صدقة في يده، سرعان ما يقبضها ويشهر لعب الأطفال بضاعته، كعلامة انتصار على ذل السؤال.

كم حاولت أن أتفادى نظراته التي تحوم حولي وهو يخبرني كيف كان يحلق ذقن والده بينما الأخير يشفق عليه من الوقوف وهو بدوره يتمنى أن يشفى الأب من الشلل.. أن يحذف جلطة المخ التي تركت آثارها عليه قبل وفاته، كان أحمد يحكى بعينين لامعتين تحجّر فيهما الخوف من أن يظل هكذا.. بجسد يتمادى في العصيان.

اتصلت بي هدى وقالت إن إيهاب مات في شارع عبد الخالق ثروت من الصقيع، كان قد تم حمله وإدخاله البار، ذهبت إلى البار وجدت كثير من الكتاب والفنانين هناك وظللنا حوله بعد الغسل ووضعوه فوق الخشبة وسرنا حتى وصلنا للمقابر وقد تم دفنه في مقابر الصدقة، ثم عدنا مرة ثانية للبار وشربنا في صحة الراحل، أثناء ذلك كان يتصل بي نقيب الباعة المتجولين، لم أرد عليه، وظللنا طوال الليل نغني ونرقص ونشرب حتى خرجت من البار سكراناً جدا وهذا لم يحدث لي من قبل في القاهرة، ولكن يبدو أنني أريد التخفيف من الضغوط النفسية والعصبية التي أمر بها، عدت للبيت لا أعرف كيف ولكن عندما قمت من النوم لم أكن أتذكر شيئاً، فتحت الموبايل وجدت ٣٠ مكالمة من النقيب، اتصلت به فذكرني بالميعاد الذي كان بيننا قلت له للأسف لن أستطيع ذلك فلدي موعد مع د رباب المهدي لكي أراجع معها الدراسة، وغدا لن يكون لدي وقت فائض، لأنني سأشتري بعض الهدايا لأني سأعود لإيطاليا يوم ٢٠ ديسمبر لقضاء إجازة الكريسماس في أوروبا، وأعود مع العام الجديد، أخذ يلح علي لكي أقابله ولكن أغلقت عليه كل الطرق ثم أغلقت الموبايل ذهبت لمقابلة د. رباب واطلعت على خطوات البحث وكان لها بعض الملاحظات الدقيقة كتبتها في النوت لكي أعود إليها مرة ثانية، ثم ذهبت لمكتبة الأنجلو اشتريت بعض الكتب وعدت للمنزل، أخذت أجهز حقيبتي بحيث أتفرغ غدا لشراء الهدايا، وظللت أقرأ طوال اليوم وبالليل نزلت جلست على مقهى قريبة من المنزل ثم عدت مرة ثانية وفي اليوم التالي اشتريت الهدايا للأسرة من خان الخليلي، وعدت

لإيطاليا في نفس اليوم.

قبل ليلة رأس السنة رن جرس التليفون وأنا نائم، نظرت فوجدت الطرف الآخر نقيب الباعة استغربت ما الموضوع الخطير الذي يريدني فيه وجدته يقول لي إنه مشتاق لي وأنه يريد الاطمئنان علي وسألني على اليوم الذي سأعود فيه تنبهت أنه يسأل عني من أجل المشروع الذي كلمته عنه فأكدت له إنني سأعود بعد رأس السنة مباشر، أغلقت التليفون وعدت للنوم مرة ثانية.

قضيت ليلة الكريسماس مع الأسرة وقمت بزيارة لبعض الأصدقاء، طلبت زيارة بيدوفلي ولكنه كان مريضاً وزوجته لم تسمح لي وقالت: إنه ضعيف جدا ويرفض تناول الطعام ويتعرض لنوبات اكتئاب حادة، ويبكي ثم بدأ ينسى ويخلط بين الأسماء بشكل يدعو للحرج.

عدت للقاهرة ٢ يناير، وفي اليوم التالي اتصل بي النقيب ولم أعرف كيف عرف أنني وصلت للقاهرة رحبت به وحددنا موعدا في المساء بمقهى شعبي برمسيس، عندما رآني أخذ يهلل وفتح ذراعه لكي يحتضنني ويقبلني ولكني وضعت يدي بينه وبيني وقلت: لا تقبيل لا تقبيل رجاء هذه عادة مصرية سخيفة.

جلسنا على المقهى، وكان قد طلب شاياً لم ينته منه ولكنه طلب أيضا ليمونا، ثم بدأ يحكي حكايات لا رابط بينها يعظم دوره كنقيب لشعبة الباعة المتجولين، ولكن لم أكن أبالي، في رأسي فكرة تقديم خدمة لنقابة الباعة بحيث تساعدهم في إنشاء إطار يسهم في تقديم خدمات للباعة خاصة أن معظمهم لا مأوى لهم ولا دخل ثابت وكثير منهم يموت في الشارع بسبب الأمراض والبرد، وقد رأيت وسمعت الكثير من قصص البؤس الذي يعيشون فيه أولاد شوارع، زوجات فقدن عائلهم فنزلن سوق العمل، فتيات ورجال كبار في السن يسرن طوال النهار من أجل بضعة دولارات لتغطية النفقات الأساسية، بعضهم فقد أطرافاً نتيجة حادثة، فيمر على المقاهي لكي يستجدي بطريقة لائقة، هناك أيضا فتيات جامعيات ينزلن الشارع ويبعن الأدوات المدرسية أو الروائح العطرية أو ماكينة

الحلاقة لضيق حال الأسرة، حياة شديدة القسوة.

هناك مؤسسة تقدم منح لأنشطة نقابية وهي منحة علمية بقيمة ١٠ آلاف يورو تقدمها مجموعة بريطانية غير ربحية تُدعى "مؤسسة أنتيبود" « *Antipode Foundation*». وما عليك إلا أن تقدم ورقاً مكتوباً جيدا حول نقابة الباعة المتجولين وأوجه الصرف التي تراها مناسبة، وسيتم ذلك من خلال العمل مع مكتب الحقوق والحريات في القاهرة.

– لا، أنا لا أريد العمل من خلال الحقوقيين في القاهرة تعرف أن التمويل الخارجي يمثل مشكلة كبيرة لدى الأجهزة الأمنية، وأنا لا أريد أن أتورط في أي شيء ترتاب مني الشرطة أو أتعرض لمسائله تعرف النظام هنا.

– قلت: عليك أن تجد طريقة للعمل الرسمي من خلال وزارة التضامن بحيث تكون الأنشطة تحت الرقابة خاصة أن هذا عمل نقابي وليس سياسيا، وأنا لا أقبل حتى أن أقدم لك منحة للعمل السياسي هذا ليس شأني.

– ولكن تستطيع أن تجد طريقة لإرسال المال لي مباشرة لك.

– نعم هذا مستحيل، هذه مؤسسة ولا تعطي أموالها بصورة شخصية ولكنها تعطي من خلال مؤسسات، هذه مؤسسة كبيرة وكل شيء بنظام ودقة – ولكن أعرف أنك لديك القدرة لتخليص المبلغ دون أن يعلم أحد – لماذا لا تريد أن تفهم هذا مستحيل، إنسى الموضوع، أنت تتكلم في موضوع يسيء لي جدا ولا تدري مؤكد أنك دخنت حشيشاً قبل أن تقابلني– جوليو حبيبي تعرف ظروفي أحسن من الآخرين وتعرف أن... لم أعد أحتمل هذه السماجة وثقل الظل، فدفعت الحساب وخرجت من المقهى فخرج ورائي – أقسم لك أنا ظروفي زي النيلة، زوجتي أصيبت بالسرطان وابنتي يجب أن يجرى لها عملية جراحية – «مش ممكن» لا يمكن، «مش بروفيشنال». –أنا مستعد أعمل أي شيء يرضيك، سأكون مثل الخاتم في أصبعك توقفت ونظرت إليه وقلت: ماذا؟ مثل الخاتم! أنت أصبتني بالإحباط تماما، لقد كنت أتصور أنك تقدرني– أقسم بالله أنا أقدرك

حق قدرك وأنك إنسان نبيل ونزية ولكن تعرف الظروف – محمد أنا الفلوس مش فلوسي، أنا مش ممكن أستخدم الفلوس بأي صورة علشان أنا أكاديمي ومش ممكن أكتب في الأبليكيشن.. في المعلومات للمؤسسة في بريطانيا.. عايز أستخدم الفلوس بصورة شخصية. هناك تدقيق في هذه المسائل لا تعرف مداه... تشبث بي ولكن انتزعت نفسي منه، وقلت: أرجوك اتركني كنت غاضباً وسرت وأنا ممرور كيف يتعامل معي بهذا الشكل السخيف؟ ماذا يظنني مجرد سائح أحمق يرتدي أقراطاً في أذنه، ما كان علي أن أعرض عليه المنحة، يجب أن أعترف بذلك، أنا الآن في ورطة، فهو سيصبح عدوي بعد ذلك وسيضع أمامي العراقيل وممكن أن يدفع لبلطجية ممن يعرفهم لضربي بمطواه أو يرمي عليّ مادة حارقة أو يعتدي علي حرتّ ولم أعرف ماذا أفعل، ظللت أسير نحو حي الزمالك لزيارة معرض تشكيلي لفنان أرميني ولكن توتر أعصابي جعل من المستحيل التركيز في شيء.

عندما وصلت دخلت مقهى وطلبت شيشة، وأخذت أشرب بقوة دون أن أستمتع مجرد شد الدخان وإخراجه، أعرف نفسي جيدا أحتاج وقتاً لكي أستعيد توازني، رغم أنني تعلمت من الإنجليز الفصل التام بين مشاكل العمل وخطط المستقبل، ولكن في هذه الحالة لم يستطع لقد تعرض لشلل ذهنيا أفقده القدرة على التفكير ثم تذكرت السيدة إلهام التي عرفتني به، اتصلت بها ورويت لها ما حدث أخذت تهدئ فيّ وقالت أنها ستتصل به وتعرف لماذا تصرف بهذا الشكل الفظيع وأنها ستحل كل شيء ولكن قالت لي أيضا إنني أخطأت، لأن هؤلاء يدهم في يد الشرطة وكل ما يحدث يصل بطريقة ما، وأنه علي أن أعود للمنزل ولا يجب أن أقلق، شكرتها ومررت سريعا على الفنان، درت دورة سريعة على اللوحات ثم عدت للبيت اتصلت بباولا وحكيت لها ما حدث قالت: أنك لم تخطئ في شيء، أنهيت المكالمة معها وجدت رسالة من الحب، فتحت الواتس وأخذنا نتحدث ورويت لها ما حدث واكتشفت أن داخلى فعلاً مذعور وكلامي كان لتبديد الخوف أنا الذي لم أكن لأتصور نفسي خائفاً أصبح يتسرب لي خوف وقلق، ولذلك ذهبت متأخرا

مرات كثيرة للبار لكي أشرب عكس عادتي فأنا معتدل في كل شيء، ولكنه القمع الذي يسرب للدم جرثومة فاسدة وللعقل جراثيم قاتلة تهتك طبيعته وتحوله إلى كائن آخر بائس ومشوه نعم أعاني من مرض ما وأتمني مغادرة هذا المكان ولكن لا أستطيع لا أعرف لماذا؟ كانت الساعة الثانية عشرة تذكرت الشراب، كنت أعرف بارا قريبا من هنا يسمي بار ريفرسايد وهو مبنى من طابقين يقدم جميع أنواع الترفيه يستضيف فرق جاز ورقص وغناء ونظام غذائي خاص، مناسب للشخص النباتي يطل على النيل أزحت الأفكار المزعجة من رأسي وقلت لأقضي هذه الليلة رقصاً وسكر وغناء وليحدث ما يحدث.

قمت في الصباح رأسي يكاد ينفجر ومكتئب ولدي رغبة في ترك كل شيء والعودة مرة ثانية وليذهب البحث للجحيم، الأمر يزداد تعقيداً وأنا لم أعد في حالة طبيعية مهما حاولت إنكار ذلك، عندما رأيت وجهي في المرآة زاد اكتئابي، كان وجهي جامداً كئيباً مقبضاً فاقد البشاشة والحيوية والرغبة في الحياة.

وكان هذا اليوم هو الأخير لي فوق الأرض لأنزل القبو المظلم وأخوض التجربة حتى النهاية لأكتشف فيه الحياة كواقع مظلم مردد دائما قول الشاعر الصيني الذي مات منتحرا "رين هانغ" جئت إلى بلد السيوف أنا لست سيفا

أنا مجرد جرح.

.

منصور السعيد

(١)

الطقس اليوم غاية في السوء، عواصف وغبار، إنه فصل الربيع الذي أمقته، وأتمنى أن يختفي من بين الفصول، ففيه أكون في غاية الهشاشة، ولا أحسن التصرف بسبب الجيوبِ الأنفيةِ الحادة والتي تجعلني مشوشاً، فاقد القدرة على التصرف، وينتابني صداع عنيف وقد جربت كل الأدوية ولكن لا فائدة، وهذا قد يكون من حسن حظ الأوغاد المتآمرين على مصر من جماعات الإسلام السياسي إلى جماعة ٦ أبريل والتراس، وغيرهم، من قاموا بنكسة ٢٥ يناير، هذه الأيام السوداء التي جعلتني كالثور الهائج، نعم مجرد ثور بلا عقل لقد فقدت كل قدرة على المبادرة، فقط غاضب يأس لا أغادر البيت خائف من هجوم أولاد الكلب الغوغاء، وهذه أسوأ فترة في حياتي وكل يوم يزداد سوء ويتحكم الغوغاء أكثر ومطالبهم تزداد فحش حتى أنني قلت لصديق لو ظللنا نستجيب لهم سيقلعون البنطلونات نتقابل كاللصوص في سرية تامة، وعدنا مرة ثانية للمراسلات عن طريق العامل البشري خوفاً من استخدام التليفون فقد يكون مخترقاً من الأولاد وكثير منهم خبراء في هذا المجال، ولكننا نسير بخطى واثقة، نستقطب هذا الثائر بالمال من خلال أبواب الإعلام أو الصحافة، نكسر رقبة هذا لأنه لا يمكن شراؤه، نعزل هذا عن هذا بالوشاية نقرب ذاك نضم البعض لأننا نعرف أنه بلا مبادئ وهو مع من يدفع، نركب المشهد مع شركاءنا في كل الأجهزة، فقد نحينا خلافاتنا وأصبحنا الكل في واحد، نعمل بدأب للسيطرة على الوضع الكارثي الذي تمر به الأمريكان يتحدثون مع كل واحد بلغته وهم في النهاية مع من يسيطر على الأرض، لكن يعرفون جيدا أن الحليف القوي لهم هنا هو الجيش لا أحد آخر، وهذا جعلنا نطمئن لكن فكرة جعل الإخوان يفوزون من خلال مرسي هذه الفكرة

كنت ضدها تماماً وكنت أعرف أننا سندفع ثمناً غالياً، قبل تولي مرسي كان أفضل لأن في النهاية أصبح لديهم رمز قوي، شهيد آخر سيظل يمدهم بالطاقة، ثم في النهاية نحن لا يمكن أن ننتصر عليهم بالتحالف مع التيارات العلمانية لأن هؤلاء لا قيمة لهم في الشارع، استمدوا قوتهم من خلال الإعلام وكفى وهذا هو المطلوب فمجرد ما ينتهي دورهم سيكون من السهل جدا التخلص منهم، لقد عرفنا ثمنهم وتكلفتهم بالنسبة لنا بسيطة، لذلك تظل القوة المسلحة هي الرابحة غير ذلك وهم، لذلك كان إعلان فوز مرسي هو أسوأ يوم في تاريخ حياتي حتى أنني دمرت تمثالا فرعونياً كنت قد حصلت عليه مع أشياء أخرى كهدايا، نعم كسرت تحف كثيرة كانت تمثل أهمية قصوى.

لم أكن في حالة طبيعية، كيف أكون طبيعياً وأنا أرى مصر التي أعرفها تضيع أمام عيني من شوية خونة مجرمين؟ وأنا لا قدرة لدي ولا لغيري على إيقاف الطوفان ولكن الحق يقال هناك عقول صديقة وقفت جانبنا وقدمت مساعدات لا يمكن تصورها نعم لا محبة إلا بعد عداوة، ولولا وقوف من تصورناهم أعداء بجوارنا ودعمنا.

نعم عقول عبقرية، لولاها لكانت مصر سقطت للأبد ولكن هي مصر هكذا محفوظة بمدد إلهي، مهما تآمرت عليها القوة الكونية، تجد من يقف وبعزيمة جبارة ويصد الهجمات وتعود مرة ثانية مرفوعة الرأس منتصرة، وهذا ليس تقليلاً من دورنا، فنحن في النهاية من يقوم بكل شيء، ولكن من يده في الماء البارد يفكر أحسن، نحن كنا في قلب المعركة مشوشين ثم أنهم أولاد لعينة عقولهم جبارة، ما يقولونه يحدث بالحرف دعنا لا نضحك على أرواحنا هم متقدمون جدا ولديهم وسائل حديثة تسيطر على العالم.

صحوت من النوم مبكرا جدا على غير المعتاد، فقد اعتدت السهر حتى أصلي الفجر وبعد ذلك أنام حتى قرب صلاة الظهر سواء كنت داخل المقر أو بيتي في التجمع أو مدينة نصر ليس لدي روتين حتى لا يتم استهدافي من الجماعات الإرهابية المسلحة لذلك ليس لدي خط سير معتاد، لدي برنامج يتغير من يوم إلى آخر ومن الحظ السيئ المضاعف أنني أصبت بالإنفلونزا لأنني تخففت من ارتداء الملابس رغم أني مريض وحريصٍ على

صحتي، فالسكر والضغط، يتطلبان اهتماما وإلا في لحظة ينتهي أمري، خاصة في ظل الضغوط النفسية العنيفة التي أتعرض لها.

يجب أن أعترف أنني لأول مرة مزنوق في ركن بسبب قتل الشاب الإيطالي، رغم أن كل الجهات تطمئنني ولكن في النهاية هناك شرخ ما صدع حياتي وأصبحت يائساً رغم مكابرتي ورغم أن وضعي الوظيفي كما هو لكن تعلمنا من التاريخ الأمني أنه عندما يتم تسليط الضوء عليك من جهة قوية بالسالب سواء بالأصح أم بالخطأ سواء كنت تستحق ذلك أم لا كل ده ملوش أي لازمة ولكن وقعت، وأنت الآن مجرد بقرة سن الكل سكاكينهم نحوها حتى لو لم يغرسوها لكن خلاص أنت انتهيت حتى لو لم يمسك أحد حتى لو ظللت تمارس عملك الوظيفي، ولكن الحصان الذي كان يصهل مندفعاً يسحق أي أحد يقف في طريقه الآن يتعثر وهناك أحصنة أخرى واثقة من نفسها شابة نعم شابة، لقد شخت ولم أعد لا بالقوة ولا بالحماس الذي كنته، ولذلك أنا في انتظار أن يتم تعييني كمحافظ لتبييض وجهي أمام ناسي وكي لا يظن أحد أنني خرجت تحت ضغوط، الكل اتفق على ذلك ولم يكن أمامي سوى الإستسلام، سأظل في منصبي عدة سنوات ثم سأخرج من الحياة السياسية والأمنية، لم يكن أملي ولكن هناك ضرورات تكبح طموحك وتجعل حياتك تتصدع لأن الموجة قوية جدا ضدي.

لدي عيوب أعرفها وأسيطر عليها حتى لا تدمر مستقبلي لدي هشاشة من الداخل لا يعرف العالم عنها شيء، فأنا بكاء عندما أجد نفسي في مواجهة طفل صغير يبكي، أو حيوان يتم تعذيبه أو عجوز في موقف صعب لأن منذ طفولتي وأنا لا أصدقاء لي لأن والدتي دائما تحذرني، لا تلعب مع فلان إبتعد عن ذاك توقف عن الذهاب إلى هذا، ولذلك خلقت لدي مخاوف وهواجس وشكوك تجاه الآخرين وعمق هذا الشعور أنني كلما لعبت في الشارع أجد وغدا من الصغار يقوم بالتحرش بيلا أقصد التحرش الجنسي، ولكن البدني لذلك كان البيت بالنسبة لي حمائي لا أخرج إلا مع والدتي وهي من عائلة كبيرة من بلدة ريفية مجاورة لقريتنا، تزوج والدي إبراهيم السعيد مهندس زراعي من عائلة

السعيد المنتشرة في ريف محافظة الجيزة ومتمركزة بين قرية وردان والحاجر.

انتقالها من بلدتها لبلدة زوجها جعلها تحس طوال عمرها أنها غريبة، لذلك ظلت حبيسة دائرة محدودة جدا من أقرباء زوجها، لا تزور أحد أو أحد يزورها، خاصة أنها لا تحب النميمة وتجده عيباً أخلاقياً وأقرباء زوجها يقتاتون ليل نهار على مضغ سيرة بعضهم ورغم ذلك كانت ترضيه لوالدي لأن العائلة تسخر منه ويشككون في رجولته، معتبرين أنها تسيطر عليه لذلك كانت تحضر مناسباتهم سواء أفراح أو أحزان وتخرج رأسها يكاد ينفجر من كم الحكايات، لذلك كانت تعتبر مناسباتهم هماً ثقيلاً ولم تكن تريد أن تحرج أحدا لذلك يتصورون أنها تسعد بثرثرتهم.

لم ترغب في مد جذورها في المكان، بل ظلت جذورها عميقة في بلدة النشأة، تحضر أفراحهم وتجاملهم في كل صغيرة وكبيرة وعندما تذهب في زيارة لأسرتها، كانت تبث ما في صدرها من هموم البيت والأولاد حتى ابنتاها زوجتها من أولاد أخوالهم، مشكلتها مع زوجها، أنه يفتقد لأي طموح لديه لا يريد أن يعمل، وعرفت زوجته بعد ذلك أن أقرباءه يسمونه (عجل بمبه) وقد صعقت من هذا اللقب المهين، وشعرت بالعار أن يكون نصيبها يوقعها في رجل بهذا الشكل بدين وجهه أبيض يطفح بالعز والكبرياء والمهابة ورغم ذلك كل هذا الكيان فارغ لا شيء أفقه محدود ليس لديه اهتمامات لا فن ولا ثقافة، وهي المتقدة بنار المعرفة والمغامرة والتي كانت تقرأ الجرائد وتتابع الكاتب أنيس منصور وتحلم بعالم آخر، وجغرافيا بديلة، كلها إثارة حتى إنها كانت تكتب خواطر تعتبرها قصصاً قصيرة مكتملة ولكنها أحبطت تماما بعد أن قرأت هذه القصص أمام زميلتها في المدرسة الثانوية، وظللنا يضحكن وهي تقرأ صامدة دون أن تهتز، ولكن في النهاية رمت الورق على الأرض وكظمت غضبها، وعندما عادت إلى البيت دخلت غرفتها وأخذت تبكي وبعد ذلك لم تعد تهتم بالكتابة وأهملت القراءة خاصة الكاتب أنيس منصور كانت تشعر أنه هو من خذلها هو من عرضها للسخرية ووجهت اهتمامها للتليفزيون تتابع كل برامج التليفزيون حتى تنام وتبحث بين أبطال السينما عن ملامح بطل يشبه زوجها ولكن لم يكن ينطبع

داخل ذهنها سوى الممثل صلاح منصور، لذلك كانت تمقته الممثل وليس زوجها عندما ترى مشهد له في فيلم كانت تريد أن تسحب يد الهون وتضربه بقوة لتهشم رأسه.

زوجها رجل طيب لا يصنع لها أي مشكلة يتركها بحرية مطلقة تريد أن تذهب لأسرتها يوافق، تريد أن تمارس الحب لا يتردد بل يكون سعيد يضع في يدها كل المال الذي يحصل عليه من الوظيفة أو إيراد الأرض ويأخذ مصروفة منها، حياة هادئة لا يعكر مزاجها سوى الأولاد الشياطين الذين يناكفون مع بعض طوال اليوم.

مجرد موظف بسيط في الإصلاح الزراعي يترك كل العمل للموظفين ويكتفي بالختم الذي تحت يده باعتباره رئيس المكتب، حاولت بث الحماس فيه لتخلق داخله تطلعات للعمل بالسياسة ومد صلة مع أعضاء الحزب في المحافظة لكي يقوموا بوضعه على رأس قائمة الحزب في المركز ثم المحافظة ثم الترشح لعضوية مجلس الشعب من خلال شبكة بابن عمتها عضو مجلس الشعب أو خالها الموظف الكبير بالتنظيم والإدارة، تريد أن تمد وريدا من المصالح لكي يشق طريقة داخل شريان السلطة المتدفق بالنفوذ والقوة والثراء ولكنه خذلها مكتفيًا بدخل الوظيفة وثمن المحصول السنوي من أرث خمسة أفدنة ورثهم عن المرحوم والده والمزروعة بالبرتقال ولم يحاول حتى أن يعمل بالتجارة مثل أخيه محمدين وفتحي الذين باعا نصيبهما من الأرض وعملا شركة للاستيراد والتصدير، وصنعا الملايين وأصبحا من كبار الأثرياء، ودائما مدعوان في حفلات كبار السياسيين والرأسماليين وعقدا أوصال ومتنا العلاقة بالزواج المتبادل مع عائلات كبار السياسيين ولهم اشتراك في النوادي الكبرى.

يعيش في سلام وطمأنينة في روتين يومي لا يتغير يذهب للعمل في الصباح وبعد العصر يركب السيارة ويذهب للحديقة ويظل هناك لوقت متأخر، لو كان هناك أنفار يقوم بعمل الشاي لهم إذا لم يكن يجلس في البيت الذي بناه هناك ويأتي الجيران للحكي وشرب الشاي، يوم الجمعة يقوم من النوم يذهب للجامع وعندما يصلي يعود لتناول الغذاء ثم يذهب ليجلس مع ابن عمه العمدة لذلك هو لا يجد مبررا لتغيير نمط حياته

والسعي هنا وهناك مرة وراء زيد ومرة عبيد بل يعتبر نفسه ملك نفسه مع أن عائلته ثروتها مكونة من تحت أقدام السلطة وتعمل ألف حساب لأي تمثيل لهم من أول الغفير حتى المأمور ومدير الأمن فمجرد أن يرى واحد من العائلة طالبا في كلية الشرطة يصبح في عرفهم إله يعبد عجلا يقدم له القرابين و حاكم بأمره طلباته ورغباته أوامر يكونوا بلسم لذلك معظم العائلة تجد أماكن لها في مؤسسات الدولة، في الحصول على شقق في المدن الجديدة في قرارات اقتصادية تجدهم حاضرين انتخابات تجدهم يتقدمون وينجحون، أما سلوكه نشاز غير مفهوم وكلما حاولت حثه يزداد إصراراً ويغادر البيت لذلك كانت تترك البيت لفترات طويلة وتعيش لدى أهلها وهناك تشعر بالراحة، خاصة أنها كانت محبوبة لدى أخواتها وأمها، وكانت تحث ابنها على اللعب مع أولاد خالته، وأولاد خاله وهو يكون في منتهى السعادة بالقرب منهم واللعب معهم وعندما يعود للبلد لا يغادر البيت إلا للذهاب للمدرسة أو شراء البقالة لذلك كانت صحته جيدة لكن لا يتمتع بأي خشونة، عندما انتهى من الثانوية صمم وأمه على أن يدخل كلية الشرطة، الأب أيضا رغب في ذلك وهل هناك شيء يسعد الأب غير ابن يرتدي بدلة ضابط تضفي عليه مهابة ويكون في مستوى أبناء العائلة.

في الكلية وجد مجتمعا آخر، المعاملة اللطيفة خنوثة، والإنسانية ضعف، والخجل للفتيات العذارى والعزلة للمساجين والخوف للجبناء لذلك لم يكن أمامه إلا أن يتغير خاصة أن نظرات الطلبة له كانت فيها سخرية واستهانة، ولكن الذي نفعه أنه كان الرقم واحد في النيشان أبوه كان يهوى الصيد ولديه بندقية، فتعلم منذ صغره صيد البط والطيور ورغم أن التدريبات كانت في منتهى القسوة والعنف ولم يكن يعرف لماذا يفعلون كل ذلك لدرجة أن كثير من الطلبة كانوا يبكون بسبب هذه الضغوط أمام الأهل لكنه كان يظل صامدا حتى يدخل الحمام ليحصل على دش ويظل يبكي، كان الوضع في الكلية صادما مريع يخلق منك إنساناً آخر غير الذي تعرفه لدرجة أن كثيراً من الطلبة يتعرض لأزمة نفسية عنيفة ويتم فصلة بعد الكشف عليه من خلال طبيب نفسي وهناك طلبة يقدمون

استقالاتهم.

كان يبذل أقصى جهده في التدريبات، قرر أن يقتل نفسه صمودا ولا يهزم مستمر في التدريب أو المذاكرة، وعندما مرت الشهور الأولى كان قد نزع جلده القديم وعاد بشخصية أخرى شخصية شاب يثق في نفسه وينظر للآخر بثبات، وعندما يتكلم يجبر الأخرين على الصمت، وقد مرت سنوات الدراسة وهو متفوق لذلك عندما طلب منه أي الأماكن يريد طلب العمل بالمباحث، في بداية لم يتناغم مع زملاءه في العمل لذلك حصر وجوده في المكان الذي يشغله بالعمل حتى كان الأصغر سِنًّا المرشح للعمل في جهاز أمن الدولة والأصغر سِنًّا في تولي مسؤولية الجهاز في أخطر الأيام التي مرت بها المنطقة.

يوم سقوط الطاغية وصل الغضب بي للحلقوم لكونه لم يكن يرى جيدا هشاشة النظام تناول عصا الجولف وأخذ يحطم الأنتيكات التي جمعها أثناء عمله الوظيفي، راديو تليفون، أسطوانات، راديو خشب فيليبس إنتاج فترة الجمهورية العربية المتحدة الجرامافون اليدوي أبو منافله من الجنب، أحمق، أحمق مفيش كلام ثم بعد ذلك يعود لطبيعته حيث الانضباط الصارم في حياته وعمله، خرج واقفاً أمام باب الفيلا الشمس مشرقة المكان هادئ تماماً عندما رآه الجنائني اقترب منه وقال صباح الفل يا باشا رد التحية، ووقف فعرف أنه يريد التموين اليومي سيجارة مارلبورو ناوله إياها وعندما وجده مقتضب، عرف أن الوقت غير مناسب ليتبسط معه.

كان الباشا يمزح معه لخفة دمه وطريقته الشيقة في الحكي لذلك كان يجمع له طرائف مما يحدث في البلدة والبلاد المجاورة وأحيانا يقول له: أحكي لنا لما أبوك راح يحج، فيحكي طرائف الحاج في أرض الحجاز حتى تدمع عينية كان يضحك على أقل كلمة يقولها، كما ينقل ما يحدث في البلد فهو قريب له، وكان مهتما بما يدور في البلدة من تزوج ومن مات ومن طلق بعض النميمة التي لا غني عنها كما أنه يقوم بالوساطة أيضا بينه وبين البعض الذي يريد مصلحة تطلب تدخله شخصياً، في يوم طلب منه أن يتوسط لابن أخيه الذي

نصب على بعض أهل البلدة وتم القبض عليه ضربه بالجزمة أنا أتصل بالقسم عشان عيل نصاب؟ ومن يومها يجب أن يكون الموضوع كبير جدا حتى يعرضه عليه.

لم يطق صبرا وصول السيارة والحرس لكي تقله لمقر عمله في العادة يخرج في ساعة محددة يجد السيارة في انتظاره بعد تناول الإفطار اليوم كان متكدرا غاضباً مستغرقٍ في التفكير، السيدة نهله رضوان زوجته لا تسمح له باختيار ملابسه بنفسه لون الحذاء تسريح الشعر النظارة التي سيرتديها، العطر، تولي أهمية كبرى لمظهره حتى أصبح الأكثر أناقة، ولديها حلم أن يتولى وزارة الداخلية لذلك كرست عملها في الصحف لنفاق الرئيس وزوجته.

شخصيتها قوية، متسلطة يطلق علها المرأة الحديدية لتزمتها وتمسكها برأيها وعدم اهتزازها في المواقف الصعبة لها وجه بريء أقرب لوجه طفل، ولكنه لا يكشف عن دواخلها عندما تزوجها كانت ما زالت ترتدي الحجاب وفي شهر العسل ذهبا لباريس وهناك خلعت الحجاب والملابس المحتشمة واشترت أحدث الملابس من بيوت الأزياء العالمية وكانت تشرب كأس أواثنان ويسكي في الحفلات التي يحضراها، وفي يوم زادت من تناول الشراب فسكرت وهاجت ممزقة الفستان وظهرت شبه عارية وقام بعض الحاضرين بتصويرها فصفعها عدة صفعات، ولكنها لم تتوقف لأنها كانت متينة الجسم وقوية، فطلب من الأمن في المكان يساعدوه للسيطرة عليها ولم تفق حتى اليوم التالي فعادا للقاهرة، ولذلك حذرها من الشراب في الأماكن العامة ولكنها كانت تضعف عندما تكون مدعوة لحفلة وفي يوم سكرت وأخذت ترقص نصف عارية وعندما حاول أحد الموجودين أن يسحبها للخارج أو يجعلها تتوقف خلعت الصندل التي تلبسه وضربته به وكانت فضيحة، فلقد صرخت كيف تمد يدك على زوجة من يحكم مصر؟ وعندما عادت وجدته ينتظرها وهو يغلي ومازالت تطوح في سكرها، أدخلها الحمام ووضع رأسها تحت الصنبور فكانت تشهق جففها فبدأت تفيق وعندما تأكد أنها قادرة على الاستيعاب، رمي عليها الطلاق وترك لها الفيلا تسكن فيها وذهب ليقيم في فندق وفي قرارة نفسه كان يعرف أنه قرارا

عقابيا كي تفوق وتعرف أنه رجلاً شرقياً ولا يحب أن تمارس زوجته سلوكاً يقلل من هيبته أمام الطبقة الراقية والسلطات ويعرف نقطة ضعفها أنها لا تطيق العيش بعيدا عن عرين الأسد والمهابة والسلطة.

في تلك الفترة تزوج من سيدة أرمينية تعيش ما بين لبنان وفرنسا ساحرة لها بشرة بيضاء نقية ووجه بيضاوي صغير وشعر كستنائياً مذهل وفم صغير كانت مطلقة، وتريد أن تقضي وقتا ممتعاً في القاهرة وتعرفا في الفندق حيث كأنا يقيما وسافرا إلى أسوان وهناك اكتشف أن لها أسلوب مدهش في الممارسة الجنسية وكأنها، منخرطة في ديانة سرية تجعل من الجسد إله تقدم له العبادة الشهوانية، لذلك كان مرتبك وأحس بالغرابة وأن هناك خطبا ما أفقده الثقة في نفسه، ولذلك أقدمت على فعل جنوني حيث طلبت منه أن يخرجا للذهاب للنيل وهناك طلبت أن يجد مركباً وعندما أحضر لها المركب وانطلقا في النهر يجدفا خلعت ملابسها وأوسعت ما بين قدميها لتحفظ توازن المركب الذي يتأرجح، كانت مثل الماسة فخر على ركبتيه يقبل قدمها، القمر ساطع والمركب يهتز وهو في حالة نشوة مرعبة كانت تجربة مدهشة بالنسبة له ثم بدأ يعرف قانون الجسد وقد صلت به إلى مناطق حسية مروعة تغمره بطريقة وحشية تخرجه عن طوعه وعندما ينتهي يجد نفسه محاط بغلالة رقيقة من الشفافية والجمال الروحاني ولكنه أجبر على طلاقها لأن هناك شكوك تحوم حولها بكونها على علاقة بالأمن الإسرائيلي خاصة أن هناك شراكة بينها وبين رجل أعمال يهودي له منزل في مستوطنة إسرائيلية، في متجر لبيع الملابس الداخلية، والمناصب الحساسة تمنع الزواج بأجنبية بقوة القانون لحساسية الوضع حاولت معه أن يغادر البلد ويهاجر لأي بلد يختار وتساعده في عمل شركة أمن دولية ولكنه لم يستجب لها، لم يكن قادرا على البدء من جديد في أي عمل آخر، ظل بعد ذلك ينتقل من واحدة إلى أخرى يريد أن يجد من تعوضها فقدها ولكن لم يجد كان مقتنع تَمَامًا أن هذه السيدة تتواصل مع الجن أو تعرف طرق السحرة لتسيطر به على أجساد الغير.

لم يفكر بالزواج مرة ثانية، فهو لا يريد أن يضع قيد مضاعف في رقبته خاصة أنه لم

يقطع صلته بزوجته ويشعر في كل وقت أنها جزء من حياته، وفي يوم أحس أنها يفتقدها ويفتقد حياته معها وأنه يحبها فعلا ولا يمكن أبدا الاستغناء عنها لذلك ذهب إليها ليزورها وعندما طلب منها أن تعود له بكت ولم يعرف حزناً أو فرحاً ولكنه لم يخرج إلا وقد عقد عليها مرة ثانية،إنها الحب وأم ميريت ومهند، وهي بعد ذلك جمعت كل الملابس ووضعتها في الدولاب وعادت للملابس المحتشمة وأصبحت أكثر لينا أخذت تحد من تصلبها أو تتراجع عن الضغط عليه وغضت التطرف علاقاته المتعددة مع فتيات صغيرات وخاصة النحيفات الذي كان شغوف بهن لم يكن يستمر في علاقة مدة طويلة، فقط أيام وتأتي حسب الصدفة وكلما ظهرت إشاعة عنه في الوسط وحاولت صديقة أن تحذرها فكانت تصدمها بقسوة ولا تسمح لها أن تنطق بكلمة، كانت سيرته بينهم خط أحمر، بل تتعمد أن يدور الحديث عنه في دائرة محددة، الوطني الشريف الذي يعشق تراب البلد والذي يضحى بطمأنينته وراحة باله من أجل أن يكون حائط صد ضد كل من تسول له نفسه أن يقدم على عمل فيه ضرر للبلد، الشجاع الذي لا يهاب إلا الله ولا يمر حديث إلا وذكرت التزامه بالصلاة وصيامه الإثنين والخميس وقراءة الأوراد وتقوم بجلب ألبوم الصور وتريهم لهم وهو في زيارة الأولياء أو وهو في العمرة أو الحج لكن الكل يعلم أنه سفاح ومجرم ويحكم قبضته على الشعب بالحديد والنار وأنه زير نساء فضائحه معروفة للجميع، دائما بيتها عامر برجال الدين السلف مثل الداعية الشهير عمرو خالد، خالد الجندي، والحبيب الجفري، وهي من محاسيب الحسين الشهيد، السيدة زينب السبطية وآل البيت وتذهب لطنطا في حب السيد البدوي، هي سيدة أعمال وصحافية تشتهي الفلوس والشهرة بشكل هستيري.

(٢)

كانت زوجة أولى للشيخ أحمد المدني من الدعاة الجدد له طريقة مذهلة لإلقاء خطبة في الجامع ومحاضراته الخاصة في البيوتات العريقة لم يعد أحد يذكره الآن فقد تم مسحه من الوجود، ولكن كان في منتصف التسعينيات له شهرة رهيبة، خاصة خارج مصر في الإمارات والسعودية والكويت من خلال إلقاء دروس دينية لأبناء المشايخ والممالك والقبائل له سحر ومهابة وحضور وقد تخرج من كلية الآداب قسم علم النفس لديه كاريزما له لحية تضفي عليه وسامة، يقدر العطور وترسل له شركة عبد الصمد القرشي أندر أنواع العطور الخلابة والتي تجعله محط أنظار الجميع خاصة النساء، يجيد التعامل مع هذه الطبقة الثرية التي لا تطيق الزجر لذلك تجده يختار موضوعاته من المناطق اللينة التي تيسر ويدعو بخليط ما بين الصوفية والسلفية وأهل السنة والجماعة وشيخه الشيخ يوسف القرضاوي حتى أنه كان يقلد أداءه وجمع ثروة من الخليج كبيرة، ولم يكن يهتم بالحضور الإعلامي في مصر بل كان يفضل الدعوة في الريف في الإسكندرية، كانت فترة الإجازة يستجيب لأي دعوة وكانت له صداقات مع كل الدعاة وكانوا يحبونه لأنه لا يزاحم أحدا في المساحة الإعلامية، وأثناء زيارته للشيخ الشعراوي رآها هناك حيث كانت تجري حوارا معه للصفحة الدينية بجريدة الأهرام والذي يشرف عليها الأستاذ فهمي هويدي وقد كان معجباً بها بسبب جراءتها وزيها الإسلامي المحتشم وملبسها الأنيق ووجهها البهي، لذلك تعلق بها بسرعة وانتظرها في الخارج حتى انتهت من الحوار مع الشيخ وعندما رأته استغربت ووقفت تنظر إليه تقدم منها بجراءة وقال: قلت أوصلك في طريقي، فقالت: وهل تعرف طريقي يا مولانا وضغطت ساخرة على كلمة مولانا، فقال: مؤكد يا ست الكل الأهرام لتسليم الحوار فقالت: أنا لن أذهب اليوم الأهرام، لقد تأخرت كانت تريد أن يوصلها للبيت بالسيارة كنوع من الوجاهة قال لها: أي مكان أوصلك أخاف عليكِ من وزحمة المواصلات، قالت: أنا ساكنة في حدائق القبة يا مولانا قال: لها أركبي، ركبت السيارة

جواره كانت السيارة فخمة آخر موديل أخذت تحدثه عن ماركة السيارة ثم طلبت منه أن يجعلها تسوق السيارة، فوافق على الفور، نزلت وركبت مكانة وانطلقت كانت قد تعلمت السياقة في الجامعة من خلال علاقتها بصديق ثري وكانت تقيم معه علاقة حب ولكن لم تستمر العلاقة لأنه سافر لإكمال دراسته العليا في جراحة الأسنان في بريطانيا، وقطع علاقته بها وترك جرحاً غائراً.

صممت أن يصعد معها لتعرفه بأسرتها، كان أبوها موظفا بالهيئة العربية للتصنيع لطيف ابن نكته روحه شابة وعندما جلس الشيخ معه تآلفت روحاهما وعندما رأى شَطْرَنْج موضوعاً على المكتب نظر إليه فقال: تلاعبني يا شيخ قال: يا مرحبا، بدأت المنافسة بينهما تشتد، كانت هند تشجع الشيخ وكانت الزوجة تقف وراء زوجها ولم يخرج إلا بعد منتصف الليل تواصل معهم ومعها وخلال شهور بسيطة طلب يدها وتزوجها وسافرا لقضاء شهر العسل في إسبانيا، وهي أخذت إجازة من الصحيفة لمدة عام، فقد رفضت رفضا قاطعا أن تستقيل لأنها تريد أن تعيش في الحياة وتتقدم من خلال عملها كصحافية، لدرجة أنها حاولت معه لتمويل إصدار قبرص.

كان عنوان الصحيفة قد تبلور في ذهنها، جريدة المجد العربي ولكنه رفض تماماً لم يكن يحب الإعلام ويراه من مفاسد العصر.

دخلت عالم الشيخ السري حيث اكتشفت أنه ينام على ثروة ضخمة أكثر مما تتصور، تفرغ لها وعاشا في عالم ولا ألف ليلة وليلة سهرات، ورقص، وغناء وأطعمة، لذائذي عنيف سحقها وجعلها خرقة متولهة به وبجمال جسد وقوته فقد كان رياضياً ويلعب كمال أجسام ويهتم اهتماماً بالغاً بصحته، فقد كان يستهلك كمية عسل من أندر الأنواع وكابوريا ولحوم وكافيار وحمام وتوابل مثل الزعفران وهي كانت لا تحتمل ذكورته وعنفه حتى اختنقت منه ثم صممت على العودة مرة ثانية للصحافة، لم يعترض وتركها تعمل في الصفحة الدينية ثم صفحة الحوادث، وكانت تغطي أخبار وزارة الداخلية وهناك رآها المقدم منصور السعيد ضابط أمن الدولة القوي، والذي لعب بعد ذلك دوراً كبيراً في استقرار

الأوضاع، بعد أحداث ٣٠ يونيو والمعروف عنه الشراسة واستخدام العنف بوفرة تجاه المشتبه بهم وقد عمل في قسم شرطة البداري وتحول للتحقيق والإيقاف عن العمل لمدة عام لأنه قام بتعذيب مواطن، وعندما نقل للعمل في الإسكندرية أطلق الرصاص الحي على شاب دون أي شبه فقط الولد تكلم معه بندية، صاحب القلب الميت والشهير بالخناق، بسبب قتله أكثر من متهم بالخنق حتى الموت، ولما نقله لأمن الدولة وجد نفسه في المكان الذي يبحث عنه من زمان.

أنيق يرتدي ملابس مشرقة مغرم بالنظارات يشتريها من رحلاته خارج مصر للعمل أو الحج لبيت الله، دؤوب له صحة ثور، النظام يعتمد عليه في القضايا الخطرة ذكي حصل على دورات تدريبه مكثفة في التكنولوجيا هادئ لا يتكلم كثيرا، ولكنه يفعل لا يفوته فرض السبحة لا تفارق يده لا ينام الليل إلا بقراءة أوراد وبعض قصار السور لا ينام إلا وهو يسمع ترتيل قارئ من كبار القراء، يشعر ساعتها أن هذه الآيات تغسله فينام مطمئناً.

أخذ يسرب لها فضائح وأسرار وهي تمد الجريدة بها، وعندما لا يسمح لها بالنشر في الأهرام بسبب تقاليد الأهرام العتيقة أو صراع مناطق النفوذ تقوم بنشره في مجلة روز اليوسف تحت اسم وداد حمدي، أصبح اسمها معروفاً في الوسط الصحافي، واكتسبت شهرة وسط العامة، وإن كان الوسط الصحفي يعرف أن هذه المعلومات لا يحصل صحفي بالشطارة بل عليه أن يدفع ثمنها فقد كان لديهم يقين، أنها واحدة من عشيقات السيد وزير الداخلية الذي بدأ يشعر بالقلق من الأقاويل التي أصبحت تتردد حولهما حتى زوجته طلبت منه مباشرة أن يبعدها عن الوزارة وقد كان، فعادت مرة ثانية للصفحة الدينية وأرغمت إدارة الجريدة لكتابة مقال أسبوعي فقط وفي يوم قامت من النوم على اتصال تليفوني من وزارة الداخلية تخبرها أن زوجها تعرض لحادث إجرامي حيث تم تفجير سيارته بمواد شديدة الإنفجار أصيبت بصدمة وتوقفت عن الخروج من البيت وأخذت تقرأ الكتب الصوفية، حققت الشرطة في الحادث وقد تناثرت إشاعات في الجرائد الصفراء عن علاقة كانت تربطه بأميرة خليجية، وتم رواية قصص حول الموضوع بل أن رئيس تحرير جريدة

مستقلة كتب عنها الموضوع فصل من روايته التي تتناول فترة مبارك، والبعض خمن من تكون هذه الأميرة حيث تم عزلها في القصر، ومنعت من الخروج إطلاقا، ويقال بعد ذلك أنها استطاعت الهرب من خلال القنصل الأمريكي وتم تعين حراسة عليها إلى أن قامت بالتخلي عن الإسلام واعتناق المسيحية والزواج من شاب مسيحي أجبرها على العمل في ملهى ليلي كعارضة استيربتيز، ولكن لا أحد يعرف الحقيقة أين وسط هذه الكومة من الثرثرة، ولكن يبدوا أنه فيلماً هندياً تقتات عليه النخبة الأرستقراطية التي بنت ثروتها من تزاوج الفساد البيروقراطي والتجارة الممنوعة، في النهاية الشاب راح دمه هدرا فلم يتم التوصل للمجرم وتم تقيد الحادث ضد مجهول وأصبحت السيدة أرملة قبل أن تصل للثلاثين عام ولديها ثروة طائلة وورثة يريدون خروجها ملط، لذلك اشتكت لصديقها ضابط أمن الدولة المقدم منصور الذي استطاع انتزاع الميراث كله لصالحها دون أي محاكم، ثم أخذ يتقرب منها ويزورها في بيتها ليقضي وقتاً طويلاً معها ثم تزوجها وأقيم حفل حضره عدد محدود جدا من الأصدقاء والأقرباء وكان وكيلا للعروس السيد وزير الداخلية ووكيله رئيس الجهاز اللواء أمجد عثمان.

عاشا معها في الفيلا التي ورثتها من المرحوم، الغريب أن السيد المقدم لم يجد مبررا لتغير مفروشات القصر ونام على نفس السرير وظل فيها عشر سنوات حتى وصل لرتبة عميد أمن دولة ساعتها بدأ يخطط للانتقال للتجمع الخامس، ولذلك عرض الفيلا للبيع فقام ثري عربي بشرائها بمبلغ ٢ مليون دولار واعتبر البعض أن هناك مغالاة في السعر، ثم اكتشفت الصحافة، أنه ساعده لشراء قطعة أرض بجوار الدائري بمبلغ تافه بعدها قام ببناء فيلا تعتبر أسطورة للجمال العمراني.

(٣)

وقف على درج السلم يرى حديقته الصغيرة المزهرة بالورود والرياحين وأشجار الرمان والخوخ وتكعيبة العنب، جمال هذه الحديقة يمده بالطاقة والإشراق، فهو طوال عمره يحب الخضرة وعندما يفرغ من عمله ويجد فرصة ليقضي وقتاً وسط الحقول، كان يخلق داخله حماس للعمل والحياة ولكن اليوم يوغر صدره أنه أصبح مهددا ونشاطه الذي يعتبر سريا، أصبح متاحاً للعامة، عادة لا يسمح بذكر اسمه في صحيفة، أو وسيلة إعلام من أي نوع، حتى السوشيال ميديا لم يكن أحد يجرؤ للكتابة عنه، الآن أصبح اسمه يتردد في كل مكان والصحف القذرة بدأت تلقي الضوء على ممارسات الجهاز ضد المعارضة السياسية وخاصة الرئيس حسن عبد الرحمن، هل نحن ندير جمعية خيرية، لو لم نكن وحوشاً لأكلتنا الوحوش لا تعرفون الناس جيدا هذا صراع يا قاتل يا مقتول ومن يريد أن يكون مقتولاً هذا عملنا ولا حيلة لنا فيه ولا اعتذار عن شيء.

ميريت لم تعد تريد الذهاب للمدرسة الثانوية، أما بالنسبة لابنه فقد كان لا يبالي وأصبحت تفضل المكوث في البيت قال لها ألف مرة نحن ندافع عن البلد ولكن لم تكن مقتنعة بالكلام كانت تعرف وظيفته جيدا وتعرف كم هو دموي عنيف لا قلب له ويتلذذ بتعذيب الأبرياء المسالمين ولو أن للناس أنياب لكان خضع لهم، ولم يجرؤ على الاقتراب منهم، ورأت كيف يعامل اللصوص وتجار المخدرات والبلطجية، لقد كانت ترى بعينيها كبار البلطجية وهم يستقبلون في فيلتهم وتجار الآثار وتجار الأعضاء لم تكن صغيرة تعرف ما يدور من فساد وسرقات ويتم حمايتهم وتوفير غطاء لهم، تعرف كيف يتم سحق الفقراء، الذي يعذبها أكثر هو عدم قدرتها على فعل شيء، وتمارس حياتها كما يمارس المحيطون بها وتستمتع بالأموال المنهوبة، بل كانت متطرفة وشرهة في الشراء الاستهلاكي، أشياء وأشياء وبعد لحظات ترميها وتبحث عن أشياء جديدة، لا تفكر حتى في التوقف ولا تجد مبررا لذلك فالمال موجود ويجب أن يصرف، كانت ترى أنها تدفع ضريبة باهظة،

لهذا المال الحرام. ظل يلح عليها حتى سحبت التقرير الذي كتب عن الضحية وأرته إياه، تركها وقال: مفيش فائدة بدل من أن تقف بجواري تضع ملحاً على الجرح، شعر بالكمد وإحساس بالظلم الذي وقع عليه، لا أحد يريد أن يعرف الظروف التي نعمل فيها، هذه بلد تجابه أعداء من كل جانب والذي زاد الطين بلة، أن يوقف عن العمل لذلك يشعر بالغدر والخيانة، ليس لسبب يخصه شخصيا ولكن للخنوع أمام الأجانب وعدم اتخاذ موقف حازم تجاه تدخلهم في البلد طيب وليه من الأول؟ وهل أنا من اتخذت القرار؟ لقد اتخذ القرار من أعلى مستوى وقمنا بالتنفيذ فبدلا من مكافأتنا على نجاحنا نصبح في موضع اتهام ويسلط علينا الأضواء باعتبارنا قتلة، ويتم تجريسنا في الصحف، دون أي مراعاة لدورنا الوطني، وتناسوا دورنا.

نعم تم إيقافه صُورِيًّا عن العمل، ولكن ما زال الوتد في البيت لا أحد يحرك قشة دون أمري، لقد نفذت المطلوب وكنت الأكثر شجاعة وبسالة في مواجهة الخارجين عن القانون أو الإرهابيين.

كان له عقيدة أنه لو خضع النظام لمواد القانون لتفككت البلد لمائة قطعة من زمن؟ لأن هؤلاء الأغبياء لا يعرفون سوى القوة، لقد جربت عشرات المرات، أن أكون متحضرا مع الأوباش، فلم أجد منهم إلا قذارة وتطاولاً لذلك أخذت عهداً على نفسي أن أسحق رؤوس هؤلاء الأوغاد.

ولد مات!

عندما وصله تقرير من مأمور قسم شرطة المرافق بان هناك شاباً إيطالي يعبث بين الباعة الجائلين، ويحاول مساعدتهم للحصول على أموال من منظمة دولية ساعدت الكثير لنشر الفوضى ووراءها الملياردير اليهودي سورس، هل علي في تلك الحالة، أن أتقاعس وأن أهمل الملف؟ وماذا لو استطاع هذا الولد أن يملأ رؤوس الشوارعية وشحنهم ضدنا ماذا سيحدث لو وجدنا ثورة وتخريب وبلاوي سوداء؟ من سيلام في ذلك الوقت، أنا

نعم أنا المسئول عن أمن البلد وأنا الذي سيقع عليه مسؤولية التراخي، لذلك كان لا بد أن أتحلى بالشجاعة وأخذ القرار بمراقبة الولد

نعم تتبعناه في كل خطوة، في كل كلمة في كل حرف خرج من فمه، لدينا مصادرنا في كل مكان بين أصدقائه في الشقة التي يسكنها في النقابات على المقهى المطعم، وسائل المواصلات كنا نعد عليه أنفاسه وهو شعر بذلك كان عليه أن يرحل، ولكن عمل فيها شجاع عندما قاموا بتفتيش الشقة بمساعدة صديقة وجدنا بعض الجمل والمقاطع المكتوبة في قصاصات ورقية داخل الكتب والمراجع الذي يستخدمها في بحثه، والتي يؤكد فيها أنه يعرف أننا نراقبه ماذا فعل لا شيء كتب في وقت ما علينا أن نتحلى بالشجاعة لمجابهة الطغاة، من الطغاة؟ من يقصد بالطغاة؟ نحن لا غير! لذلك أصبت بالحنق وكثفت المراقبة لاختيار الوقت المناسب لصيده، وفي ذلك الوقت كنت أحاول توريطه من خلال مخبرنا ولكن الغبي تصرف بطريقة خاطئة، ولكن ماذا نتوقع من مجرد بائع متجول؟ لا شيء سوى الغباء، لقد جعله بطريقته يرتاب في الكلام، هل طبيعي أن يتكلم معه في الشارع، لماذا لم يبحث عن قهوة محترمة، ويلقي كم نكتة بدل ما يهجم عليه بفيلم المتسول، لقد قلنا له سنرتب لك ما تقوله ولكنه عمل أبو العريف، لا يا فندم سيب الموضوع عليه، أنا أجيب داغ أمه الأرض ابن الوسخة؟ وظل يزحف كدود لكي يعرف ماذا ستكون المكافأة التي سينالها، عرض يبيع أبوه من أجل جنيه، ولو حصل من الولد على موبايل غالي، أو ظرفه بـ ١٠٠ دولار ما كان بلغ عنه لكن أحترق لما الولد رفض بتصميم أن يعطيه أي مليم إلا من خلال المركز المصري وتقديم أوراق تثبت على الأرض جدية المشروع، غير ذلك لا، لذلك اتصل بالضابط وقدم تقرير ونعرف أنه كذب علينا، لكن نحن أيضًا كانت لنا رغبة في الإنصات لأكاذيبه وقام بتصوير الولد من خلال جهاز تجسس يحتوي على كاميرا دقيقة لتسجيل كل كلمة ولكن الولد لم يقع في الخطة، كانت الخطة أن يقوم بطلب فلوس المنحة له شخصيا، ويصوره وهو يأخذ الفلوس بحجة أن زوجته لديها سرطان ويريد أن يجري لها عملية، فلو وقع ودفع للمخبر هنا نكون نجحنا في توريطه في قضية تجسس

ولكن الولد قابل المخبر بصرامة ونزاهة، عندما فشلت الخطة، ولم نجد شيئاً نستند إليه، حددنا وقتاً للقبض عليه ومحاولة الضغط عليه في قسم شرطة الدقي، لكي يتكلم ونحصل منه على ما يدينه، وكان يوم ٢٥ يناير مناسباً لنا حيث القاهرة مدينة أشباح، حيث ندخل شقته، واصطحابه، ثم نضعه في الثلاجة حتى يصدم ويبدأ في الكلام بسرعة، بعدها نصوره فيديو لنثبت للمصريين الدور المشبوه في هدم البلد، وفي الصباح تلقي ضابط يتابعه مكالمة من صديقة له تخبره أن الشاب الإيطالي مدعو لحضور حفل لصديق له وإنه سيخرج في السابعة ونصف، مساء كانت فرصة بالنسبة لنا فكلفت الأولاد بمراقبة الشارع حتى يخرج.

(٤)

القاهرة خالية من البشر، ووزارة الداخلية والجيش رفعوا حالة الاستعداد القصوى خوفا من خروج المواطنين للاحتجاج أو الشغب، لذلك تجد الضباط مستفزين متحفزين لأي سلوك أو متآمرين يحاولون كسر السلام الإجتماعي ولديهم أوامر بالتعامل بقسوة حتى يمر هذا اليوم الذي يراه النظام يوم نحس في تاريخ مصر وهو يوم خمسة وعشرين يناير بخير أو بشر ليس مهما، لدينا أقوى استعداد لكافة الاحتمالات فالبنادق محشوة بالرصاص ولدينا كارت أخضر بالقتل الفوري دون أي تردد الوقت يمر ببطء والليل وأضواء النيون تضفى سحراً وجمالاً، ولكن الخوف كل الخوف من هذا الهدوء مجرد خطأ واحد وينهار كل شيء.

خرج الشاب من المنزل وأشعل سيجارة، وأخذ يتلفت يمينا ويسارا ثم أخرج التليفون من جيبه كان هناك اتصال، فتركناه حتى ينتهي ويضع الموبايل في جيبه الخلفي كما هي عادته، أخذ يسير بسرعة في اتجاه المترو وقبل أن يصل تقدم منه اثنان من الأمن وسيطرا عليه وأمروه بالتزام الصمت وإلا القتل الفوري وإلقاءه في القمامة، حاول أن يستعيد هدوءه وأخذ يتكلم باللغة الإيطالية ولكن لم يبال به أحد، يحاول أن يتخلص من قبضتهم دون التوقف على السير، يتلفت لعله يجد أحداً يسير في الشارع ولكن لا أحد، لا أحد ينظر من نوافذ العمارات أو البلكونات لا بواب لعمارة، أو سوبر ماركت، أو صيدلية، فقط أحذية السلطة الثقيلة تدوس على الإسفلت فتزيد من رعبه، عندما وصل للقسم قال له واحد من الضباط: أتتكلم عربي يا حبيبي، نعرف انك تجيد العربية، قال: ماذا تريدون مني؟ لم أفعل شيئاً! أنا مجرد باحث، لا علاقة لي بما يحدث هنا، دخلنا من الباب كان هناك بعض المخبرين يدخنون في حديقة القسم، وعندما صعد درج السلم وقع من

شد الضابط الأمامي، فسقط على ركبته وقد تسلخت، ثم شد بقوة فقام دخل ممراً ضيقاً وعلى جانبية حجرات، تقابل مع رجل يرتدي ملابس مدنية فوقف أمامه، كي يراه، الرجل تلفت له، فقال له المخبر الذي وراءه، بتبص على إيه ياض أنت، قال: أبدا يا باشا، سلام عليكم، دخل غرفة مدير السجن، فوجد مقدم شرطة يجلس على مكتبة فقال له: وديه على الثلاجة على طول بسرعة كانت الثلاجة مجرد حجرة بعيدة عن أماكن الاحتجاز الرسمية لأنها غير قانونية سيئة التهوية وضيقة ومضاءه بلمبة صغيرة تبث نوراً ضعيفا وشاحبا، تم دفعه من الخلف فسقط على وجهه فوجئ بأنه سقط على محجوزين مثله، وقف مكانه ينتظر حتى ألفت عيناه محيط الحجرة، ناداه أحد الموجودين، تعالى مكاني يا أخ، قال له شكرا، قال تعالى تعالى إسترح قليلا نحن هنا إخوة أنت منين؟ فأخذ يحكي حكايته، وأخذ الموجودون يعرفون المكان.

كان كل الموجودين معتقلين لأسباب سياسية، أخذ يتعرف عليهم واحداً وراء الآخر ولأن الحجرة مكدسة بأعداد تفوق حجمها، فكان كل معتقل ينام فترة ثم يقوم لينام آخر، فتجد صفاً بجوار الحائط واقفاً والآخر ينام كالسردين خلف خلاف وهذه الحجرة تحت إشراف الأمن الوطني حاول البعض أن يعطيه أمل ولكن واحداً منهم قام وقال لا تضحك عليه يجب أن يتقبل الأمر حتى لا يصاب باكتئاب بعد ذلك، عرف أن هناك معتقلين موجودين من سنوات، ولا أحد يعرف عنهم شيئاً، وأن بعض الذين كانوا موجودين هنا تم قتلهم وتصويرهم وبجوارهم سلاح، باعتبارهم مجرد ارهابيين، أصيب برعب وأخذ يردد أريد محامي، أريد أحداً من السفارة الإيطالية، ويدق على الباب بقبضتيه ولكن لم يسمعه أحد، اقترب منه اليساري سعيد عبدالفتاح الذي تم القبض عليه من فترة طويلة وتم توجيه تهمة تعطيل العمل بأحكام الدستور ومحاولة قلب نظام الحكم والتعاون مع آخرين داخل مصر وخارجها لهدم نظام حكم الدولة الأساسية والإجتماعية، وهو سياسي معروف وقد شارك في الحركة الطلابية وخاض مع اليسار النضال ضد حكم السادات، وسياسة السلام الخانع مع العدو الصهيوني ورفض اتفاقية السلام في كامب ديفيد وتم

القبض عليه وحكم عليه بالسجن لمدة عام على خلفية اتهامه بأنه عضو في خلية سرية تابعة لتنظيم يساري يهدف إلى قلب نظام الحكم، وبعد أن أخلي سبيله على ذمة تلك القضية، فوجئ بعد ذلك بالقبض عليه ضمن كل فئات المجتمع المصري سبتمبر، وخرج بعد اغتيال السادات بعفو عام من مبارك.

حاول المهندس سعيد أن يهدئ روعه ويبث داخله القوة بكلمات حماسية ولكنه كان يرتجف من الخوف ظل حتى منتصف الليل وتم إخراجه للتحقيق معه ولكن لم يصلوا معه إلى نتيجة، فقد كان لا يرد على أحد إلا أريد محامي أو ستندمون على فعلتكم الدنيئة حتى قام المخبر وصفعة على وجهه عدة صفعات ليسقط على الأرض، جرجر جسمه والتصق بالحائط والتزم الصمت، تم الإتصال بي وعرض ما تم معه، فاتصلت بالسيد وزير الداخلية وطلبت أن يسلم لنا الولد وقد وافق على التسليم لنا بالقيادة العليا.

نزل من على درج السلم وقطف وردة حمراء ووضعها في يده، كانت السيارة والحرس قد وصلا، فدخل السيارة للذهاب للجهاز لقد تم وعده من أكبر القيادات في البلد أن قرار إيقافه مؤقت حتى تمر العاصفة وبعد ذلك يعود مرة ثانية لدينا روح طويلة وكلما طالبونا بالتعاون لا نرفض أبدأ، ولكن نماطل نرسل تقارير خاطئة ونعرف أنها لن تقنعهم، مجرد تضييع وقت يرسلون لنا فريق تحقيق فنتفن في تعطيله، وتمر الأيام ولا يصلون لشيء.

تم نقلي معصوب العينين بسيارة مدنية إلى مقر وزارة الداخلية والأمن الوطني في لاظوغلي وقد قرر أن يراه، فطلب من مساعده أن يأتوا به إليه عندما دخل عليه كان في حالة يرثى لها وجهه أحمر من أثر الصفع ويرتعش طلبت إليه أن يجلس، جلس على طرف الكرسي وطلبت له قهوة وبعد أن شرب أخذ يشرح منهج البحث، والخطوات المتبعة في كل دول العالم، ويؤكد أنه التزم التزاماً صارماً جدا وأنه كان سعيداً بما حدث في ثلاثين يونيو وأعتبرها موجة ثورية، وأنه علماني صحيح لست ملحدا ولكن الدين يمثل هامشاً بسيطاً جدا وأخذ يعدد الأسماء التي يعرفها من المؤيدين للنظام منهم د.هدى، فقال: وتعرف أيضا إيهاب مصطفى، انزعج من ذكر الاسم وقال: إنه مجرد فنان مسكين طرد

من الشقة، وظل يعيش في الشارع حتى مات منذ فترة بسيطة بسبب الصقيع، كانت حادثة مأساوية، وتم الكتابة عنه في كل الصحف المصرية، والكل كان متأثرا، هل يعني ذلك أن كل هؤلاء ضد الدولة، قال: تم الكتابة عنه لأنه مات، وهذا في صالحه، فلو استمر يثرثر بكلام فارغ، كنا سحقناه، ثم قلت ودكتورة مها عبد الرحمن، قال: إنها تشرف على الرسالة ولا أتدخل أبدا ولا هي مسموح لها توجيهي سياسيا، لأن جامعة كامبريدج لها تقاليد عريقة ولا يمكن لأحد أن يخترق هذه التقاليد، ثم قال: أتركني لأعود لبلدي فورا لا أريد أن استكمل الرسالة، وأخذ يتوسل إلي، وأخذ يعدد حالات مثل حالته، وقد قام الأمن بترحيلهم، وأخذ يتكلم عن العلاقة المصرية الإيطالية، وكيف أن النظام الإيطالي هو الوحيد الذي استقبل الأزرق في إيطاليا، والعلاقة مزدهرة لماذا تريدون إرباك الوضع، قلت له: أطمئن لن يكون لمثلك دور في إفساد العلاقة بيننا، ظل صامتا، يبحث عن كلام كانت لديه رغبة في التوسل لكي يسمحوا له بالخروج ولكن الكلمات محشورة في الحلق لم يكن قادراً على النطق فقال: بلدي لن تصمت، ستكون هناك عواقب وخيمة لما تفعلونه، أنا مواطن إيطالي وأنا لا أريد شيئاً سوى محام ليحضر معي التحقيق، ضحك بسخرية وقال: نحن هنا القانون وكلمتنا هي من تحيي وتميت.

– إيه رأيك في الإخوان؟

– ليس لي رأي أنا مواطن إيطالي وباحث ولا أتدخل في سياسة بلد آخر.

– ولكنك متعاطف معهم؟ إخواني بدرجة متعاطف.

– حضرتك أنا لا أعرف كيف تقول ذلك أنا يساري لا يمكن أن أكون مؤيداً لتولي اليمين الحكم مهما كان.

– لماذا إذا اخترت الاخوانجية مها عزام؟

– من مها عزام حضرتك؟

– المشرفة على الرسالة.

– ولكن لا يشرف على رسالتي واحدة اسمها مها عزام، الذي يشرف على الرسالة

د.مها ابنه المؤلف التليفزيوني محفوظ عبد الرحمن.

– نعم... ثم أخذ يهز رأسه، أعلم، أعلم.

– مؤكد هناك خطأ ما، مؤكد هناك اسم آخر، أرجوك تأكد، أنا لا علاقة لي بكل ذلك.

– نعم ألم تكتب مقال ضد النظام وتنشره في جريدة إيطالية، أنت تستخف بنا يا ولد، ثم صفعه على وجهه.

– لا أعرف من قال لكم ذلك؟

– أنت لا تعرف، تذكر كده قلت لمين نحن نعرف كل شيء عنك يا وقح، كل شيء بالصوت والصورة، احنا عدين عليك أنفاسك، كل كلمة قلتها لصديق لك وصلتنا، كل رأي، حفلات علاقاتك مع الحسناء اليهودية، تكلم هل أنت جاسوس تعمل مع المخابرات الإسرائيلية.

مخابرات إسرائيلية وإخوان كيف؟ لم يعد قادراً على كبت غيظه، فانفلتت جملة منه هل أنت أحمق؟

بعد أن نطق الكلمة انتفض على وقع صفعة على قفاه، جعلت رأسه يضرب في طرابيزة المكتب، حاول أن يلتفت فوجد يداً تحكم قبضتها على رأسه فلم يستطع الحركة فرت دمعة من عينه،

– أنا آسف.. أنا أخطأت عليك أن تسامحني

– أيه رأيك في ما حدث برابعة.

– أرجوك لا رأي لي أنا كنت بعيداً ولا أعرف ما حدث جيدا.

– ولكنك كتبت أن النظام المجرم ارتكب أكبر مذبحة في التاريخ المصري!

– لا أتذكر أنني قلت ذلك.

– في بار ستيلا!

– لا أتذكر بالمطلق.

– هل كنت في المظاهرة التي أقيمت ضد الرئيس السيسي أثناء زيارته لبريطانيا

-. . . . . .

- انطق؟

- مؤكد لو كنت حاضر كنتم ستعرفون، الكل تكلم عن وجود رجال لكم هناك.

- وايه رأيك في الرئيس السيسي؟

- لا رأي لي أنا قلت ألف مرة أنا مجرد باحث لا أكثر وكل هذه الأسئلة أعدت لأحد غيري لست المقصود إطلاقا، عليكم أن تطلقوا صراحي.

كان السعيد قد تعب من الحوار فطلب منهم أن يقوموا باصطحابه للحجز.

وبمجرد دخوله الغرفة أخذ يسمع صراخاً رهيباً، قام مفزوعاً ثم حاول طمأنة نفسه بأن هذه الأصوات ليست حقيقية، لا يمكن أن يكون صوت إنسان بهذا الشكل المرعب، مؤكد مجرد تسجيلات، ليبث الخوف داخلة، ورغم ذلك كان مرعوبا، وضع أصابعه في أذنه حتى لا يسمع هذه الأصوات ويستطيع التفكير، ولكن بعد فترة دخل عليه بعض المخبرين وبدأوا في تعذيبه وبدأ يصرخ صراخاً أبشع من الصراخ الذي كان يسمعه في البداية ناداه المخبر برقم صفر فلم يرد فتم ضربه لأنه لم يرد، فلما عرف أنه أصبح رقم صفر، تم ضربه كي لا ينسى الاسم مطلقاً ويمسح اسم جوليو من ذاكرته، وأثناء الكلام معه نادي أحد المخبرين عليه باسمه فرد، فالكل اعتبره كيس ملاكمة وأخذ يتدرب عليه، لذلك أصبح يقظاً ومنتبهاً لكي لا يخطئ ويرد عندما ينادي عليه أحد، ثم بدأ في مشوار كسر عزيمته فتم تقييد يده خلف ظهره وسحب يديه وعلق أصفاده على الحافة العلوية من الباب، ليرفعه فوق الأرض لتسبب له ألما شديدا في الظهر والكتفين، وقد تتسبب بخلعهما لكثير من المعتقلين قبل ذلك، أخذ يسحب بعض الزملاء ساق رقم صفر به لزيادة الألم ثم تركاه مقيداً ووضع أمامه الطعام والشراب لم يكن جائعاً ولكن ريقه قد جف فحاول أن يمسك الكوب بأسنانه ولكن اندلق الكوب، فأخذ يشفط الماء من فوق الأرض ليرتوي قبل أن تمتصه الأرض الأسمنتية الصلبة ثم أخذ يقرأ المكتوب على الحائط، كانت الكتابة رديئة، ولكن التقط بعض الكلمات التي مثلت له ضوء، وأملاً ما وسط

العتمة والألم، ثم بدأ يشعر بالرغبة في النوم ولكن ظل يقاوم خوفاً من أن يتم قتله وهو نائم جسمه يؤلمه والصقيع يفتت عظامه ويتخيل نفسه ضحية بألف طريقة للموت يستعيد ما قرأه عن التعذيب في السجون والاختفاء القسري حتى سقط في النوم، في اليوم التالي لم يدخل عليه أحد وكان جائعا زحف على بطنه واقترب من الطعام الذي ترك من أمس ولأن يده مقيدة، أخذ يلتقط الخبز بفمه ويأكل ثم رمي المربة على الأرض وأخذ يشفطها، في المساء دخل عليه المخبرون وبدأوا في إعطائه وجبة أخرى حيث تم تعليقه من أصفاده على خطاف في السقف، ليُرفع بشكل غير طبيعي من الخلف، وأخذوا يضربونه بخيرزانة، فكانت تسلخ جلد جسمه وهو يصرخ ويطلب منهم الرحمة، ثم يسبهم بكل اللغات التي يعرفها ثم أنزلاه واستخدما طريقة تسمي الفرخة أو الشواية، فتم وضعه على ظهره على الأرض، ووضع ركبتيه فوق عصا، أو قضيب، ولف يديه حول القضيب من الجانب الآخر بحيث ربطا القضيب بين المرفقين الملتويين والجزء الخلفي من ركبتيه، وربطا يديه معا فوق قدميه لتأمين الوضعية، عندما رفع المخبران القضيب وتم تعليقه في الهواء ظهر كدجاجة على شواية، وتسبب وزنة بألم شديد في الأكتاف والركبتين والذراعين وظل في وضعيات التعذيب هذه فترات زمنية تتراوح بين دقائق وساعات، حاول بعض الزملاء إدخال عصا في فتحة الشرج ولكن واحداً منهم قال أنا لا أقبل هذا السلوك كما تعرفون، نفعل كل شيء من اقتلاع ظافره بكماشه، أغرز في ذراعه مسمارا معدنيا ملفوفا بأسلاك مكهربة لزيادة آلام الصدمات الكهربائية، لف سلكا حول قضيبه لصدمه بالكهرباء، لكن اغتصابه هذا لا يليق بالرجال.

(٥)

خرج من المكتب ولم يمد يده ليتناول رشفة من القهوة، هل يتصور هذا الأحمق أننا سنسممه، الولد جده مجنون ولا أيه؟ هو لو عايزين نخلص منه لن نغلب! ماذا فعلوا بعد أن قمت أنا بتوصيلة لا شيء شوية تعذيب غشيم زيادة لا أكثر، لذلك نحن سعداء بهذه النهاية، خليهم يلبسوا ويورونا يحلوا الموضوع كيف؟ مع أربع أيام ولم يفلحوا في كسره، هذا ولد معجزة، كما قلنا لهم: الولد مجرد هامش لا أكثر، عيل فرحان بنفسه لقد تأكدنا من ذلك ونحن لا نضحك على أحد وكل شيء لدينا هنا مكشوف للجميع، الصغير والكبير وأكبر قضية وأصغر مشكلة، لا طبقات هنا كلنا على قلب رجل واحد، قلبه ميت حامل كفنه على يديه، لن نخاف من أحد ورغم ذلك ذهبت لمدير بيت الثور، وجلست معه وقلت له: اتركوا الشاب يذهب، ليس وراءه أي أحد إنه مجرد ولد مسكين لا يفهم الحياة جيدا، ولكن ابن الأزرق وقد عرف أنني لديهم، فدخل علينا وجلس ثم قال: وماذا لو فضح ممارستنا في الجرائد؟ وماذا لو نشر كتاباً عن ما فعلناه به وشهر بنا؟ ماذا نفعل؟ هل نترك ولداً مثل هذا ذكي ونشط يشوه سمعتنا هل هي ناقصة هذا الولد؟ وهل سنقول عليه إنه أخوان؟ رد سيادة العميد وقال: نعم إنه إخوان، لدينا آلة إعلامية جبارة لنطلق عليهم كلابنا وننكر أن لا علاقة لما حدث له وأننا لم نعتقله، بسيطة ثم لو حدث لن يغير شيئاً في المجرى العام زوبعة فنجان لا أكثر ليست أول مرة، جرى مع غيره وموثق ماذا فعلوا، ماذا فعلوا مع الفرنسي الذي قتل في السجن، لا شيء هذه دول لا تبالي إلا بالمال وكلام زي حقوق الإنسان مجرد بروباجندا تخايلهم بالمال تجدهم في غاية اللطف، نحن قوة على الأرض؟ نحن أوتاد هذه البلد المحمية من الله، ولن يستطيع أحد لا في الخارج ولا الداخل قادر على خلخلتها أبداً ما حيينا، على جثثنا.

رد ابن الأزرق: حتى لو أردنا ذلك، الموضوع كبر فعلاً والسفير قالب الدنيا مستحيل الولد يطلع كده، ده محتاج شهور عشان يشفى من العلامات المطبوعة على جسمه، خلينا نشوف الولد ده آخره إيه ونتأكد أن لا يوجد وراه أحد لدينا طرقنا، وبعدين نقرر، على فكرة هذه فكرة الأزرق، أن يكون قريباً منه بيت الديب قال: لدي اقتراح لتسوية الأمر أن تقوم فرقة مشتركة بالتخلص من الولد برمية في بلدة ملتهبة في سيناء، وأي ولد من المتعاونين معنا يجده بعد ما يكون بطنه فقعت، ونستغل صورة وسيرة الولد باعتباره راح ضحية الإرهابيين، وبكده نكون ضربنا عصفورين بحجر، الشاب الإيطالي ذهب للجحيم وتشويه الأولاد الكفرة اللي هناك، ولو أي حد اتهمنا بالتقصير سنقول له أيه اللي يوديه مكان خطر زي ده؟

– الكلام ده يبقي مقنع لو كان مصري، لكن أولاد الكلب دول يصدقوا الإرهابيين واحنا لا، معرفش وكأننا كذابين رد السعيد: طيب ممكن نحدد موعد مع الأزرق نفكر سوا ونخرج بقرار، استنكر ابن الأزرق الكلام وقال: وهو فاضي ما أنت عارف ثم قال بضيق: الموضوع ده انتهى مفيش كلام، الولد جده من الآن تبعي ويتم إرساله لبيت الديب فورا، ثم تركنا وسار وتبعه حرسه الخاص، لقد كرهت هذا الولد واستعلائه القبيح، والذي يتصور نفسه الحاكم بأمره، وهو والعفريت مجرد أراجوزات نستطيع سحقهم كحشرات في لحظة، ولكننا نتركهم يلعبون ويتصورون واهمين أنهم يديرون اللعبة، واللعبة تدار من هنا من لاظوغلي من مدينة نصر، من مئات الخلايا المنتشرة في كل محافظة ومدينة وحي من نصف مليون مواطن شريف متعاون من رجال أعمال وتجار ممنوعات نحميهم ونطلقهم في البلد نحن من نمسك خيوط اللعبة، نحن الذين نغوص في القذارة ونستطيع أن نسحبكم معنا لتغوصوا في الوحل ولكننا نترككم بملابس نظيفة تتقدمون الصفوف وتظهرون في الإعلام وتقابلون الوفود وتقصون الشرائط ببدل نظيفة.

الأولاد في الجهاز شعروا بان الأزرق يغرس العصا في مؤخراتهم، كانوا غاضبين، فهم جماعة محترفة يأتي أحد ليشكك في شغلهم، ويسحب منهم اختصاصاً من اختصاصهم،

لهو الكارثة بعينيها، حدث تذمر فعلا وبدأ يخرج منهم سباب للأزرق وأولاده كلهم، وطلبوا منى القيام برد قاسي وإلا سيتم اللعب بنا، أخذت أهدئ الأمور معهم، مع أن صدري يمج بغضب ولدي رغبة في الرد بصفعة قوية لرد الاعتبار، ولكن اكتفيت بتهدئة سير العمل ولم أبعث بتقارير جديدة لمدة أسبوع، فعرف أن هناك مشكلة، فاتصل بي وطلب زيارة الجهاز رحبت به وتم الاستقبال في مدينة نصر، وظل أكثر من ساعة يكيل لنا المديح، ويعظم من دورنا وقدراتنا وما فعلناه في حماية الوطن ضد الهجمة الإرهابية، وعملاء الدولة الغربية وقد تم تغطية اللقاء من خلال القنوات الإعلامية جميعاً.

عندما عدت للبيت طلبت مني نهلة أن أستقيل فورا اندهشت وسألتها لماذا؟ قالت: إن استقالتك الآن ستصب في صالحك، أولاً أنت لديك مدة بسيطة وتخرج معاش، ثانيا: استقالاتك ستفسح المجال لك لتكون وزيرا في أي حكومة قادمة، قلت لها: أنا لدي أمن الدولة أهم من منصب الرئيس نفسه، ثانيا سواء خرجت الآن أو بعد مدة سأصبح ما أريد فلا يمكن أبدا أن يتم تخزيني بعد كل هذا التاريخ الحافل، ظللنا نتناقش حتى الصبح، ورغم ذلك ظلت متمسكة برأيها وأنا أيضا، وياليتني أنصت لها، ماكنت تورطت في هذه الكوارث التي أنهكتنا بسبب الشاب اللعين فأثناء وجودي في الجهاز بصحبة الضباط حيث كان هناك اجتماع روتيني ثم انقلب للكلام في السياسية والأوضاع والأخطاء التي ارتكبت وهل دعمنا لثلاثين يونيو كان في الإتجاه الصحيح، أم أن البلد رائحة في داهية خاصة بعد المشاكل الكثيرة التي حدثت والتخلي الغير مفهوم للخليج عن دعمنا كما كان يفعل في البداية، وجدت تليفون من السيد الوزير يطلب مني الحضور لمكتبه فورا، استغربت! لا يوجد شيء استثنائي ولكن نحن في مصر، الحرائق لا تنتهي وهناك أمطار من الأخبار السيئة.

(٦)

في مكتب متسع، وإضاءة خافتة يجلس اللواء منصور السعيد، الضابط بأمن الدولة، والذي يعتبر واحداً من أهم من قاموا بدور ضد حكم الإخوان، أو كما يردد لاستعادة الوطن الضائع فكان يقوم بتجميع الناس وشحنها لميدان التحرير، كي تشارك في مظاهرات ضد الإخوان بمساعدة أعضاء مجلس الشعب السابقين في عهد مبارك مقابل مبالغ زهيدة يدفعها الأثرياء الذين يطمحون لدور في العهد القادم وهو يعد بأدوار كبيرة مستقبلية لكل ثري حتى أنه عشم واحد منهم كون ثروته بالاستيلاء على أراضي الدولة بتعيينه محافظ، لذلك كان لا أحد منهم ينام الليل في جمع وشحن الثوار لميدان التحرير وكان يمر على بيوت الأقباط يشجعهم للخروج، ويحاول أن يبث الخوف فيهم، من مغبة استيلاء القوى الظلامية، ويعدد لهم جرائم داعش ضد المسحيين في سوريا والعراق وحرق الناس المختلفين عنهم في العقيدة أحياء، وكان الجهاز على قلب رجل واحد ضد مرسي لذلك كانوا لا ينامون الليل لترتيب خطة طويلة لإسقاطه خلال الشهر الأول من حكمه وحل الجماعة واعتقال أعضائها، لذلك بمجرد ما عاد اللواء رئيس الجهاز بعد أن أقسم اليمين مدير دخل عليه المكتب وقال له: أرجوك يا أفندي إنسى موضوع القسم الذي حلفته أمام ابن البنا الإرهابي، الراجل انزعج من الكلام ولكنه ظل يسمع وجهة نظره، لأنك رجل وطني وتعلم جيدا أنه خائن وعميل لأمريكا وقطر وتركيا ويجب أن نقف له بالمرصاد، هذا المكان هو الحصن الذي ظل طوال تاريخه ثابتاً على العهد، شوكة في عين أعداء الأمة، جدار صلب ضد الإرهاب المحلي والدولي، لن نترك مصر تسقط في أيديهم، أخذ يهز رأسه وقال: معك حق لن نفعل شيئاً أبداً يضر الوطن وسنكون بعون الله وحمايته عيناً ساهرة وبدأ ترتيب الأوضاع بحيث وضع العراقيل وعدم كشف ورقة تمد في حكمهم، لذلك

عندما كانت تجيء لنا ورقة لمعرفة أوضاع معينة تخص النظام السابق ورجاله أو ما يحدث في سيناء كنا نمده بورق أبيض لايقدم معلومة وإن قدمها تقدم مزيفة ليقعوا في شر أعمالهم لذلك كسبنا المعركة بتكاتف كل الوطنيين في الأجهزة رغم أنها كانت بالنسبة له هذه الفترة من أصعب الأوقات التي مرت عليه.

ينبعث خلفه صوت هامس لراديو مضبوطة موجاته على إذاعة القرآن الكريم، وأمامه مصحف صغير وصورة تجمع أبناءه الثلاثة، يبتسم ويردد: خلقنا من عدم وسنعود إلى العدم قال ذلك ثم نظر للحضور الكريم الذي يتمثل بعض أبناء الجهاز ما بين ضباط ومخبرين ومدنيين كان يجد صعوبة في التنفس بسبب شراهته في التدخين وكان يعاني من مشكلات في القلب وقد أجري عملية جراحية وركب دعامات، ورغم أن الأطباء حذروه من مغبة الاستمرار في التدخين ولكنه لم يتوقف، في الخمسين من عمره طويل القامة، وجه أبيض بيضاوي، شعر مصبوغ، يرتدي نظارة أثناء القراءة. المكان ده بيتي ولا أرتاح إلا هنا ويجب أن تعرفوا أن دوركم الوطني سيكتب في التاريخ باعتباركم من أنقذتم مصر ولم تسلموها للفوضى، ومن براثن الخفافيش الموكلة من أعدائها، من الإرهابيين والأجانب لهدم الوطن، الوطن الذي أقسمنا اليمين أمام الله للحفاظ عليه مهما كانت التضحيات نحن لها أقلها الروح فداء لمصر المحروسة، وآخرها المال والجهد والعرق والأبناء واستطعنا بعزم الرجال في استعادة مصر من أيدي الكفرة والكلاب الغير مصريين، ونجحنا رغم الثمن الباهظ الذي دفعناه عن طيب خاطر، الفاتحة لأرواح الشهداء من أبناء الجيش والشرطة الكرام.

يا إخوان: البلد كانت رايحة في داهية فعلا، من خلال خطة تدمير مصر وتقسيمها، والخطة دي لها شقان الشق الأول خطة برنارد لويس، الكلام ده معروف مش سري وموجود على النت وأي واحد يكتب خطة تقسيم مصر تطلع له بالضبط، وضع لويس شكل تقسيم جميع دول المنطقة لقطع صغيرة ضعيفة أبرزها مصر، والتي هدف لتقسيمها إلى دولة إسلامية سنية، دولة للمسيحيين دولة للنوبة دولة للبدو في سيناء دولة فلسطينية

على شمال سيناء بعد ضمها إلى غزة، الناس دي كشفت أوراقها بدري لأنها كان رهانها على قوة الإخوان، ولا يعرفون أن هناك أسود صناديد ستقف لهم بالمرصاد، وستفشل غزلهم أنتم عارفين مين اللي ضغط لتمرير صفقة مع الإخوان في انتخابات ٨٨ غير الأمريكان، ولما وقفنا وقلنا خلاص اللعبة انتهت في ٢٠١٠ والإخوان خلاص بره اللعبة، لأن لو تركنا لهم الحبل في ٢٠١٠ كانوا حصدوا كل المقاعد ويعملوا انقلاب ويعزلوا الرئيس ويحكموا مصر من خلال طريق ديمقراطي، لذلك صنعوا ما يسمي بثورة ٢٥ يناير، وهي ٢٥ خسائر أيوه والإخوان أنتم عارفينهم وشغل الرز والمكرونة وقال الله وقال الرسول وهم أصلا كفره ماسونيين لا يعرفون دين ولا وطن، جواسيس لحكومة بريطانيا وأقسموا اليمين قدام الملك، عشان كده الإنجليز يتجننوا من ثورة ثلاثين يونيو والصراحة والأمريكان، مهو محمد مرسي عميل أمريكي لعنة الله عليه، باتفاقه مع أوباما وهيلاري كلينتون لتسليم مصر وكله بسبب الخبيث خيرت الشاطر، هو رأس الأفعى، لكن أهو مرمي زي الكلب في السجن لا يهش ولا ينش عشان يتأدب كان نفسي يروح مع اللي راح وفي رابعة عارفين لولا الضربة القاضية في رابعة والحرس الجمهوري ومسجد الفتح كانوا أكلونا، دول مالهمش إلا الضرب في المليان كما قال واحسن مولانا الشيخ، هو يعرفهم أكثر منا الحق هو من جمد قلوب العساكر، لكن أحنا قلبنا حجر صوان أفتى الشيخ بقتلهم، لم يفت، إحنا طريقنا واضح والضرب في الرأس والقلب خلص بسرعة، وأنا أعتقد أن بعد المجازر دي ولا تقوم لهم قومه مرة ثانية، أحنا يا إخوان تعلمنا شيء أن لا حل سوى أقطع عِرق وسيّح دمه غير كده كلام مش جايب ثمنه معانا، لازم نقطع جدور أولاد البنا من البلد ذيول الاستعمار.

نظر إلى التليفون وجد السيد الوزير، انتفض.

أهلاً سعادة الوزير.....

تعالى فورا.... حاضر يا سيادة الوزير....

(٧)

طلب السيارة والحرس الخاص وتوجه للوزارة، وعندما رآه مدير المكتب فتح له الباب فورا وجده مهموما ومطرق الرأس سلم وجلس.

– خير يا فندم.

– الواد مات.

– مين؟

– الشاب الإيطالي.

– مات مات غار في داهية، مين اللي قتله؟

– نظر إليه وابتسم، وقال: مش وقت هزار يا منصور، أنا لسه راجع من الإجتماع ومصدع أرحم أمي، فضلنا ثلاث سعات نناقش نعمل إيه مع الجثة، والوقت يمر والأزرق مش قادر يأخذ قرار كلما قال أحد فكرة من الموجودين يقول: تمام خلاص نفذوا يطلع آخر يقول كلمة يغير رأيه يبدو أنه الشاب في المخابرات دلوقت

لا موجود في مستشفى قصر القبة العسكري، وكان هناك اثنان من الحرس الجمهوري، وطبعا مستشار الأزرق والأمن القومي والابن سبب المصائب، وكانت حالته لا تسر عدو ولا حبيب، شكله مضطرب وخائف والخفاش كان موجود يده تحرك حبات المسبحة برتابة وتبدو من النوع النادر منقوش أسماء الله الحسنى عليها مصنوعة من حجر الفيروز وهو حجر أزرق صاف لونه يعبر عن أصالة الحجر لذلك يتغير لونها الأزرق إلى اللون الأخضر، ويضع تحت ضرسه قطعة الأفيون كالعادة و يبدو غير طبيعي ينظر إلي وكأنه لا يراني، سلمت عليه وجلسنا فقال: الدنيا مقلوبة خلع النظارة وأخذ يدعك في عينيه، ثم تمطع وكأنه لم ينم منذ فترة، لذلك لم ينتبه لكلامي فطلب مني أن أعيده مرة ثانية، فأعدت له

ما قلت، وقد كنت اقترحت أن يرمى على قارعة الطريق، عادي ونعريه بحيث تبدو كجريمة جنسية، فكأنه أنتبه فقال: الواد ده شمال، فقلت بسرعة: أيوه أمال أيه؟ أنت أول مرة تعرف، فقال: غريبة الواد مش باين عليه خالص!

والآخر انتهيتوا على إيه؟

أبدا: تم إلقاؤه بواسطة سيارة إسعاف وبحراسة عناصر من الشرطة السرية على جانبي طريق القاهرة الإسكندرية الصحراوي، وتم ترتيب كلام متفق عليه، لإلصاق التهمة بأن الجريمة حدثت بأغراض السرقة وممارسة المثلية الجنسية.

يا سلام لكن الواد مش مثلي.

ما أنا عارف.

لكن أهو فكرة والسلام خلينا نخلص، ورطة وقعنا فيها.

طيب واحنا مالنا يا فندم، هما أخذوا الواد وموتوه يشوفوا لهم صرفه فيه؟

قال: الأزرق اتصل بي وترجاني وأنت عارف.

قلت: يا فندم كان عندنا وقلنا لهم المفيد ليه الموت من الأصل طيب موت، إتصرف جاي الوقت ترمي الجثة في حجرنا وتخلع.

قال: الراجل قال لهم هو لسه عايش؟ مش عشان يتخلصوا منه، لا عشان يشوفوا طريقة لخروجه بهدوء، لكن هم فهموا غلط

قلت: وحضرتك مصدق الكلام ده

قال: لازم يا حبيبي نصدق، مش معقول يا أخي خلص، خلينا نشوف نعمل إيه في المصيبة دي؟

قلت: ولا مصيبة ولا حاجة، أنا بس اللي أغضبني وأغضب كل شرطي من أصغر رتبة لأكبر رتبة أنهم لا يثقون بنا، فاكر حضرتك لما قال للأجانب وده رد على المذيع بسبب عدد قتلى رابعة، فاكر حضرتك، احنا تكلمنا في الموضوع ده سوى لما قال: إننا مش محترفين؟ دي إهانة، مش محترفين إزاي إذا كان هو اللي قال: أنا عايز مذبحة المماليك

ف القلعة، على اعتبار هو محمد علي باشا.

قال: أه عنده تصور أنه يبقي محمد علي باشا، ولو قدر يورث الحكم لأولاده لن يتأخر، وشوف القصور اللي نازل بناء فيها مش ممكن يا أخي ده حتى الملوك اللي بحق وحقيق لم يبنوا قصورا بهذا الكم والفخامة.

قال: يعني أنت مش بتحلم بيوم تكون مكانه

قلت: على أيه يا عم، كفايا اللي احنا فيه ربنا يعديها على خير بس.

قال: أنا من أول ما أخذوا الولد ده وأنا حاسس أنهم عايزين يقطعوا رقبتي، وأن الولد ده جات له على الطبطاب حتى يخلصوا مني، لذلك صدروها في السفير الإيطالي لما الولد اختفى وطلعوا إشاعة من خلال الذباب الإلكتروني، أنه أتخطف، وتم قطع رأسه من جماعة داعش السفير أتجن اتصل بي، قلت لهم يقولوا مش موجود، وأغلقت تليفوني طيب وأقول له أيه؟ بعد شوية اتصل بوزير الخارجية، ووزير الإنتاج الحربي ومستشارة السيسي للأمن القومي فايزة أبو النجا وطبعا الكل أجمع أنهم لا يعرفون شيئا عن ريجيني يعمل إيه يتصل تاني ويطلب لقائي، أنا اتصلت بالعفريت عشان أنسق معه في الموضوع، أنت عارفة قال طنش شوية لما نشوف حل له؟ فضل يزن، يزن لحد ما حددت معاد معه، ولما قابلته حاولت أفهمه أن الولد كان يروح أماكن مشبوهة وممكن بلطجية قتلوه خلاف على شيء أو لسرقته ولكن قال: كيف لامني محترف وكبير مثلك على رأس وزارة تعرف دبة النملة بتعبير المصريين، لا يعرف مصير أجنبي يعمل ماجستير وأنت لديك وحدة خاصة بمتابعة أنشطة الأجانب في مصر وتعدون عليهم أنفاسهم، نفيت الكلام ده خالص، وقلت له نحن نعامل الأجنبي بمثالية ونهتم به، وإن كنا نتابعهم ونرصدهم فقط لحمايتهم، فقال: وأين هذه الحماية، قلت إنها حادثة فردية لم تحدث أبدا في مصر، فقال: آسف الحوادث هذه مكررة ويوجد مدرس فرنسي قتل في المعتقل، قلت تظل حوادث فردية أوكد لك ذلك، حاولت أن أبدوا قلقاً ونظرت للساعة عدة مرات ولكن هو يريد أن يخرج بشيء، وأنا ليس في يدي شيء حاولت ان أتكلم بلطف وطلبت له نبيذ ولكنه رفض وفضل

كوب ماء، ثم نظر إلي وقال: هذا الموضوع خطير جدا في إيطاليا، قلت: أعرف قال: قد يسبب دمار في العلاقات وحكومة إيطاليا لا تريد أبدا أن يحدث ذلك.

قلت: بهدوء أعرف ذلك، وأنا نفسي متعاطف جدا مع هذا الشاب، لقد أطلعت على *CV* الذي يخصه: شاب رائع ربنا يلهم أسرته الصبر على غيابة، أنا رب أسرة وأعرف قد أيه فقد ابن أو أخ، لذلك قلبي معكم.

لقد بدا نافد الصبر وقال: هناك وفد تجاري إيطالي رفيع المستوى قادم بعد غد (إلى القاهرة)، ويجب أن تعلم أن إيطاليا لم تقطع علاقتها الدبلوماسية والتجارية مع مصر رغم المجازر التي صنعت في مصر، هذا غريب على المبادئ التي نعتنقها وقد ابتعد العديد من الدول عنكم، ونحن شريك تجاري لمصر في أوروبا – نحو ٦ مليارات دولار في ٢٠١٥ – نحن تفتخر بعلاقتنا المميزة معكم.

– ونحن أيضا نفتخر بهذه العلاقة وتأكد أننا مؤمنون بالمبادئ التي تؤمنون بها، ولكنهم إرهابيون وقتلة ونحن ندافع عن بلادنا ضد هؤلاء الأصوليون الذين يريدون هدم البلد.

ثم قمت وقلت: تقبل عذري لا أعرف بالمطلق.

قام ولم يمد يده:

– لديك جيش من المخبرين وتستطيع أن تحضره فورا.

–: نعم لدينا ولكن مصر بلد كبيرة جدا، وهناك تحرك واسع من الجماعات الإرهابية، التي تخرج كالأفاعي من أماكن غير متوقعة، هل تتصور سعادتك قدر المعاناة نحن ندفع ثمناً باهظاً، هل تعرف ما فقد من رجالي منذ القلاقل والاضطرابات التي صنعها الغرب بدعمهم وحماية الجماعات الإرهابية في الداخل والخارج، هذه البلد في وضع خطير جدا حضرتك، أنظر حضرتك للبلدان المجاورة ليبيا سوريا العراق راحت في ستين داهية بسبب التدخلات الخارجية، ولكننا نحن لم نتدخل في شؤنكم، وتعرف المساعدات التي قدمتها حكومتنا والشركات الإيطالية، للسيطرة على الوضع تحركت فغادر المكتب.

المشكلة أنني متأكد أن الموضوع ده معمول مخصوص عشاني.

قلت: وحضرتك مالك، أحنا يا فندم نحن نمارس عمل خطر حتى لو غلطنا فده طبيعي اللي يشتغل معروف أنه ممكن يغلط، هو الولد ده كان قاعد ساكت وماشي في حالة واحنا اتلككنا له، بيننا وبينه طار، كده أحنا أي أجنبي نعمل له خدنا مداس الواد اللكع البارد نازل نخربه وفي منطقة حساسة الباعة المتجولين دول شويت شمحطية أولاد وسخة، كلاب ولو حد زن في ودانهم وفي لحظة يخربوا الدنيا أنت عارف حضرتك عددهم كم في القاهرة بس، تصور الجيش الثيران دول اللي ساكنين في سرة القاهرة وعارفين وسط البلد زي كف أيديهم، دا يجيبوا عاليها واطيها، هم بس مش واثقين في نفسهم، واد زي ده يخليهم يثقوا في نفسهم، الخوف من العقل الذي يفتح عينيهم، غول رهيب يدمرنا، جيش همج في وسط البلد، والمهمشين المحزمين القاهرة، يعني حضرتك لو دول مش بهائم، وده من حظنا، أنهم بهائم، يبلغوا عن الولد اللي يعمل لمصلحتهم وعايز يجعل منهم قوة للدفاع عن مصالحهم، صاحبه النقيب بدل ما يفتح عين الولد ويقول له أرجع، حق العيش والملح كان الواد مشي وغار في داهية، وكنا ارتحنا وريحنا لكن بلغ عنه في القسم والقسم بلغنا واضطرينا نراقبه ولما راقبنا خفنا من حقنا نخاف يا سيادة الوزير، الواد حبوب فضولي لعين يتقن خمس لغات منهم العربية من جامعة ويلز، لديه سحر أي شخص يقرب منه ينجذب إليه، طيب وابن نكتة وشعبي، في مدة قصيرة جدا كون دائرة واسعة من الأصدقاء، وجلسات يومية على مقهى زهرة البستان، والتكعيبة ويشرب شيشة والكوفية على كتفه ومربي لحيته تقول مصري ابن مصري وأصبح زبونا دائما لدى كشري أبوطارق، تجده جالس بجوار بائع متجول يبيع البقسماط والجبنة ويحكي معه عن حياته وأسرته ومشاكله، هذه طريقة الجواسيس لديهم قدرات خاصة، وهذا ما جنن الأمن أكثر لأنه له قدرة عجيبة على التنقل بين الثقافات المختلفة والجنسيات المختلفة.

(٨)

خرج مساري من لقاء وزارة الداخلية وهو يغلى بالغضب من هذه الطريقة الغريبة الذي تعامل معه بها، فقد كان يعامله كطفل ساذج ويروي له قصص جد غريبة هو يعلم أننا نعلم أن الولد وقع في الفخ والآن هو بين فكي الثعالب، كان يأمل في تحقيق إنجاز، ــ الموضوع يتطور والضغوط تتصاعد بقوة عليه، وسعار السوشيال ميديا والبرلمان الإيطالي، ورئيس الوزراء ووزير الخارجية الكل في انتظار نتائج المقابلة رئيس الوزراء صرخ أريد شيئاً من خلاله أطمئن به الرأي العام الغاضب، هم لا يعلمون مع من أتعامل وفي أي بلد نعيش، إن مراحل العصور الوسطى لم تكن بهذه البشاعة، وباولا وكلاوديو ريجيني يريدان الحصول على إشارة أو نقطة ضوء تعطيه أمل بأن الولد ما زال حياً، ولكن يبدو أن هناك سراً ما لإخفاء الولد حتى الآن وبالتأكيد أن كل القادة في مصر يعلمون، أين يكون الولد ولكن علينا أن نتبع وسائل أخرى غير الوسائل المباشرة على المخابرات أن تتواصل مع السي آي إيه، فهو يضع مصر تحت الميكرسكوب، وبالتأكيد لديهم أجوبة عن كثير من الأسئلة الغامضة، لا أعرف ماذا تفعل المخابرات الإيطالية في هذا العالم، وإن لم يكن دورها الآن في فك مغاليق هذا الموضوع البسيط كيف لها أن تتدبر أمورها بالعالم... إن أثق أيها المتوحشون أن الولد... لم يستطع أن يستمر في متابعة الدخول في مسار النفق الأسود.

تراجع وأخذ ينظر فوجد السائق يشير له ركب السيارة وتحرك السائق في الشارع بهدوء، ثم بدأ يعيد بناء سيناريوهات بديلة وأفكار إيجابية لكي يعطي لنفسه أمل ــأنهم لن يجازفوا بسهولةــ خاصة أن إيطاليا حليف قويً، هذه مشكلة فعلاً أن نكون لنا علاقة قوية بمجموعة من السفاحين الطغاة الملوثين بالدم، ولكنها السياسة التي تعلمناها الغاية تبرر

الوسائل الدنيئة، وجد اتصالا من باولا أخذ يطمئنها ويؤكد لها أن الوزير أكد له أنه سيسمع قريبا، خبر جيد.

مؤكد باولا هو لا يستطيع أن يقول شيئاً لنا دون أن يكون لدية فعلاً ما يستند عليه، لا يا عزيزتي، لا يجب أن تبقيان حبيسا الشقة، يجب أن تخرجا قليلاً، تعرفين أن تحديد إقامتكم في الشقة لن يقدم أو يؤخر، هو مسؤول منا ولن يقدم المصريون على إيذائه لألف سبب، عليكما أن تقوما وتذهبا للتسرية عن أنفسكما، أخرجا لمكان جوليو المفضل، نعم اذهبا لكشري أبو طارق وتناولا طعام العشاء، نعم أعرف كل ذلك يا عزيزتي لم ولن أتوقف دقيقة واحدة حتى يعود نعم تمنياتي الطيبة.

وعرفت بعد ذلك أن كلاديو أخذ باولا ونزلا يسيران على الكورنيش وينظران في وجوه الخلق، كان لديه تصور أنه سينبثق من وسط هذه الجموع ويجري نحوهما ويحتضنهما وينتهى كل شيء لن نسمح له بالاستمرار في هذه البلدة ظلا يسيران، حتى تعبا فجلسا على الكورنيش، وقد كان هناك بائع ذرة مشوي وقد شعرا بالرغبة فى تناول كوز ذرة فطلبا من البائع بعض الكيزان وأخذا ينظران للنيل العجوز الذي فقد حيويته وبدت مياه صفراء عكس لونه الطبيعي، سألت باولا فقال: يبدو أنه تغير بسبب المناخ السيء وسقوط الأمطار.

(٩)

ولأن ماساري لديه عمل غير قضية الشاب لذلك أراد أن يستعيد ذهنه، أن يحيد صورة الشاب ومصيره المأساوي والتي تتمايل أمام عينيه طوال الوقت، دخل الحمام وغسل وجهه وجفف شعره جيدا، ثم ذهب إلى المكتب، طلب عصير فراولة وبدأ فتح مشغل الموسيقى وأغمض عينيه، وقد تدرب على أيدي الرهبان البوذيين عندما ذهب لزيارة جزيرة التبت من سبعة عشر عام، على مواجهة المشاكل والعقبات والضغائن بالسفر داخل المخيلة وسط الجبال الغيوم البحار يتجول، في الحدائق على الصخور، ينصت لصوت الطبيعة التي تعيد تشكيل الذات وكبح جماح المناطق السوداء داخل الذات، ظل يتمدد في العالم يطوف حول أضرحة القديسين، ينصت لغناء الطيور ينسحب من العالم حتى تطاير ذرات، ثم استعاد الوعي أخذ شهيقاً، وجد شراب عصير الفراولة أمامه.

أخذ يرشف رشفات صغيرة ويفكر في الكيفية المناسبة للتحضير لاستقبال جودي و ٣٠ مسؤولا تنفيذياً إيطالياً، نظر للسقف ثم أخذ يهز قدمه هزات رتيبة، ويعد الصفقات التجارية التي سيتم توقيعها غدا، كان يوازن بين حقول البناء الطاقة، والتسليح وبين الشاب وخرجت منه ضحكة ساخرة مريرة، اللعنة علينا أن نستمر في اللعبة وكأن مسار العلاقات طبيعي وليس هناك بقعة سوداء تتمدد دونما القدرة على إيقافها، فكر في محاولة قد تنجح أخرج التليفون وأخذ يجري اتصالات مع بعض الساسة المصريين ورجال الأعمال وحزبيين متنفذين لكي يجد حلاً مع الأجهزة الأمنية، وفي كل مرة يؤكد ويوضح ويضغط على سوء العواقب لو تم التخلص من الشاب، وأن تهور الأجهزة الأمنية سيحطم العلاقات وكل من يتصل به يتفق معه تماما ويشاركه الحزن الحقيقي والأسى ويؤكد له أنه سيعاود الاتصال به، خلال مدة قصيرة، ثم لا يتصل أو يتصل ويكرر نفس الأسطوانة الخربة، إذا كان كل

هؤلاء عديمي الفاعلية، من يحكم إذا، لم يجد حيلة سوى أن يبدأ في ترتيب الأوضاع لمقابلة الوفد الأزرق، وهناك بالتأكيد سنجد إجابات تم إرسال دعوات للنخبة السياسية المصرية والعالمية لحضور حفل على شرف الوزيرة، ثم طلبها في التليفون وناقش معها القضية وطلب منها أن تكون على رأس جدول الأعمال. وذكرها أن موضوع الشاب أكثر إلحاحا، لأنها قضية رأي عام داخليا، وخارجيا عبر العالم وأن هناك ملايين عبر الوسائط الحديثة تتابع كل ما يتعلق بالموضوع، وأن عودته إنجازا سياسيا، كانت جودي تعلم ذلك تماما وتحلم بهذا اليوم الذي تعود فيه بصحبته، ترى نفسها وهي تنزل من الطائرة وهو بجوارها ويلتقطا لها الصور من الصحافيين ووكالات الأنباء وكاميرا التليفزيون وآلاف الإيطاليون في استقبالها بالورود والأغاني والهتافات لذلك كانت متحمسة للقاء الأزرق وتثق أنها لن تخرج إلا بخبر ما، فبيننا مشاريع كبيرة وعلاقات وثيقة وتجد من الجنون أن القاهرة تعكر العلاقات بسبب مجرد شاب لا أكثر، تريد أن تنجز اتفاقيات وعقود قوية لصالح الشركات الإيطالية، نعم كانت جاهزة تمام وتعلم أن الإدارة المصرية تحتاج لمن يملأ الفراغ الذي حدث بعد أحداث يونيو، وعدم رغبة كثير من النظم في الإتحاد الأوربي من التعامل مع القاهرة بسبب سجلها الحقوقي المزري واعتبرت أن هذا من حظ الحكومة الإيطالية فالاقتصاد في غاية السوء، وإن كانت ألمانيا من خلال شركة سيمنز تمددت وحصلت على عقد فاخر، وفرنسا تنافق الجنرالات وتدافع عنه لعدة أسباب، منها ما هو اقتصادي أو أيديولوجي أو صراع من أجل النفوذ.

نزلت والوفد من الطائرة توجهت المجموعة إلى الاتحادية حيث القصر الرئاسي، وهو قريب من المكان الذي كان يتواجد فيه الشاب حيث كان يتجول معهم يحاورهم ويأكل ويشرب معهم في الشارع مكوناً صداقات عميقة، يعرف أولادهم ومشاكلهم الأسرية ويسمع معهم الأغاني الشعبية وأغاني المهرجانات ويستمتع وهم ينادون على البضاعة التي معهم، بطريقة مدهشة كان إنساناً بسيطاً عفوياً يجلس على الأرض ويأكل طعمية وفول وباذنجان بزيت أسود محروق، ورغم أنه يعرف كم الخطورة من ذلك ولكن كان يريد أن

يكتسب ثقتهم، يريد أن يقول نحن أسرة وأنا لست مجرد سائح أجنبي أنا ابن بلد مثلكم وعندما رأى فتي صغير يشم كله، أنزعج جدا وجرى نحوه والتقط الكلة ورماها في القمامة وظل بعدها في غاية الضيق وأخذ يسأل عن بيت الفتى فقالوا له: إنه من أبناء الشوارع لا أب له أخذ بعد ذلك يسأل عن مؤسسات إيواء وكيف يصل إلى واحدة من هذه المؤسسات وعرف أن هناك مؤسسة في الهرم وعدة مؤسسات أخرى ولكن المؤسسات تعامل الأولاد هناك بقسوة لذلك يهربون منها، بل إن بعض المؤسسات تقوم بجلد الأطفال لكي يسيطروا عليهم.

لأنهم في النهاية ليسوا متعودين على الانضباط، وأن حياتهم حرة لذلك تقييدهم في مكان يمثل لهم عذاب.

أثناء مداهمة الشرطة للباعة الجائلين أخذوا يجمعون بضاعتهم ويجرون في الشوارع، وهو أخذ يساعد معهم ويحمل الأشياء كي لا يتم القبض عليهم.

عقد ماساري وجودي اجتماعا خاصاً مع الأزرق، الذي استمع بجدية لمخاوف الإيطاليين ولكنه كان يستعيد كل ما قاله وزير الداخلية مجرد كلاماً عاطفي إنشائي، لطيفٍ ويبدو متأثرا جدا، ثم انتقل للحديث عن دور مصر في مواجهة الإرهاب لحماية العالم من شروره، والصعاب التي تقف في مواجهة الأمن والدول الغربية تمنح اللجوء الآمن لكثير من الإرهابيين ثم يشتكون بعد ذلك من إرهابي متطرف يقوم بقتل مواطن أوروبي طيب حضرتك عملت إيه طيب أنت قمت بدعم المصريين هنا المشكلة لا يا فندم لديكم دور يجب أن تلعبوه بقوة على الأقل أوقفوا بث قنوات أهل الشر، وعن المؤسسة الأمنية والعسكري ودورها الشجاع لمواجهة الإرهاب بجميع صوره وأشكاله وانفعل وبدا متعرقاً وتائه مشيراً إلى أن الحوادث الإرهابية الخسيسة تزيد كل المصريين قوة وصلابة في مواجهة خفافيش الظلام من الإرهابيين الخونة وقانون الطوارئ والديمقراطية التي لا تتناسب أبدا مع مجتمعنا العربي لأنه يحتاج إلى سنوات طويلة حتى يكون المواطن المصري كمثيله الأوربي.

لم تستطع أن تفهم ماذا يريد وما علاقة اختفاء ريجيني بموضوع الإرهاب والتيارات

المتشددة لذلك قالت جودي: هذا باحث لا علاقة له بأي نشاط مسلح لدي تقرير وافي عن الشاب، لا يستطيع أن يقتل نملة لو كان هناك دليل واحد ضده نريد أن نعرف رد وقال: لم أقل ذلك ولكن تعرفين هناك من أوروبا وأمريكا موجودين في سوريا وقبل ذلك في أفغانستان، وسببوا مشاكل لا حصر لها، أتفهم إغراء الأصولية لبعض الأبرياء والذين ينخدعون بمعسول الكلام حاولت جودي وساري أن يصلوا لأي شيء، أن يخرجوا بأي نتيجة ولكن أبدا فقط جودي عندما خرجت من اللقاء كان ذهنها مشوش ومضطربة ولم تعرف ما الذي عليها أن تفعله؟ وتساءلت هل تتصور ساري أن الشاب قد انضم للدواعش في سيناء، قال مستحيل طبعا هذا شاب ذكي ولا ميول دينية من أي نوع كان يتابع دراسته طموحاً يريد أن يحصل على الدكتوراه فقط لا غير ليعود لبريطانيا لا أتفهم هذا الكلام، إنهم فجوات مظلمة لا نستطيع أن نحصل منهم على شيء محدد.

ذهبت جودي للفندق لتستريح قليلاً قبل الذهاب للسفارة لحضور حفل استقبال لها وللوفد في المساء، وتتعرف أكثر على رجال الأعمال المصريين والساسة المنفذين، أما ساري فقد عاد للسفارة للتجهيز للحفل ومن الساعة الرابعة وهو منهمك في استقبال الضيوف وعند اكتمال الحضور والذين كانوا يزيدون عن ٢٠٠ شخصاً في قاعة الاستقبال يحتسون النبيذ أثناء انتظارهم لطعام العشاء وكان ماساري يتنقل ويرحب بهم، ولم يكن يتدخل في الحوار سوى بابتسامة لطيفة تخفي قلقاً عميقاً، ولكن الحقوقي سلامة عزت وقد أحتسى كثيراً من النبيذ والويسكي، قبض على يديه وصمم أن يحكي له عما رآه في «سجن العقرب سيئ السمعة والذي اتضح غير ذلك تماما وأن لا أحد يشتكي وأنه يقدم لهم أطعمة مغلفة وكباب وكفته، وهناك أعمال يقومون بها تدر مبالغ مالية كبيرة، وكل الأخبار المتداولة كلها إشاعات يطلقها الإخوان، حيث ذهب الأسبوع الماضي هو ووفد حقوقي لزيارة مفاجئة وقد قابلنا مدير السجن هناك وقام بالسماح لنا بزيارة حرة للزنازين، ولكن للأسف بعض المساجين من التيارات السياسية رفض أن يقابلنا، وأنا جد مستغرب فهذه فرصة لسماع شكواهم وذهب معنا سيادة اللواء وأنار لنا الضوء على الدور الهام

الذي يقوم به قطاع السجون في إعلاء قيم حقوق الإنسان والارتقاء بأوجه الرعاية المختلفة المقدمة لكل النزلاء دون استثناء، وذلك خلال عرض فيلماً تسجيلياً يوضح جهود قطاع السجون في مجالات الرعاية الصحية والتعليمية والاجتماعية لتأهيلهم للانخراط في المجتمع، وقام النزلاء من المساجين الجنائيين باستقبالنا وقاموا بشكر القيادات الأمنية التي تراعي الله في المعاملة، بينما يحاول الانفلات منه وجد مساعد وزير الخارجية حسام زكي الذي اندفع وسط الحشود باتجاه ماساري وبدأ حديثه بطريقة غامضة كعادة الساسة المصريين، هناك دائما مكر غريب في استخدامهم للغة، وكأن اللغة ميراث مظلم يعبر عن أرواح سوداء عفنة.

ألم تعلم؟

أعلم ماذا؟ .

تم العثور على الجثة.

أي جثة، أرجوك تكلم بوضوح وسرعة لدي الكثير لأفعله مستر حسام.

جثة جوليو ريجيني.

نعم! هل ما تقوله جدي؟

هل الموضوعِ يحتمل الهزل؟

من قتلة؟

لا أعرف شيئاً بالمرة الجثة وصلت المشرحة الآن الذي عرفته، أنه في صباح اليوم، كان سائق يتبول بجوار الرصيف على طريق الإسكندرية الصحراوي المزدحم غرب القاهرة لاحظ شيئا مرمياً في حفرة دقق النظر وجد جثة عارية من جهة الخصر إلى الأسفل وملطخة بالدماء، لقد كانت الجثة ياساري أنا آسف هذا فظيع فعلاً ولكن ماذا نفعل يحدث عواصف قاتلة دون ترتيب في الوقت الخطأ، عندما رآه السائق شعر بذعر ثم فكر أن ينسى الأمر ويكمل رحلته، ولكن بعض الركاب حذره من أن المكان هنا به كاميرات تصوير، ومؤكد سيكتشفون الجثة، وقد يتورط في الأمر، فاتصل بصاحب السيارة الذي

يعمل عليها، وصاحب السيارة اتصل بصديقه أمين الشرطة والأخير اتصل بقسم الشرطة.

– هل وجدتم تحقيق الشخصية معه؟

– لا أعرف.

– أرجوك اتصل حالا بالمسؤول وأعرف هل يوجد ما يثبت فعلا أنه جوليو.

تنحي جانباً واتصل بشخصٍ ما ثم عاد إليه وقال: لم يجدوا شيئاً معه

–ولكن كيف عرفت الشرطة ؟ كيف تأكدت بهذه السرعة.

– الذي أبلغني ليس شخصاً عاديا، إنه اللواء منصور السعيد، وقال أنه توفي في حادث سير.

– نعم في حادث سير هذا خبل وجنون، هل هو مختفي منذ تسعة أيام ليخرج من المكان المختفي فيه، كي تصدمه سيارة.

لا أعرف! ولكن يؤكدون أنه هو، خلال مدة بسيطة ستجد الأخبار في الإعلام

دخلت مكتبة وأخذت أبحث عن النت بسرعة، وجدت فعلا الخبر صحيح، كنت خائفاً أن يعرف والدا الشاب بالخبر قبل الوصول إليهم، اتصلت بجودي وأبلغتها الخبر وقلت لها أن تنتظرني في بهو الفندق كي نذهب، ثم اتصلت بمساعدي أن يرسل لي تقريراً بسرعة عن اللواء منصور السعيد.

(٩)

هرول ماساري إلى فندق الفصول الأربعة حيث تقيم جودي، ومعاً هاتفا رينزي ووزير الخارجية باولو جنتليوني الذي أكد لهم أنه في انتظار تقديم تقرير حتى يعقد مؤتمرا صحفيا يوضح الأمور، ثم قام ساري بإلغاء حفل الاستقبال في السفارة الإيطالية وأرجع الضيوف إلى منازلهم دون تقديم تفسير ثم توجه ماساري وجودي إلى شقة ريجيني في الدقي حيث يقيم والداه، وقد اتصل بهم بالتليفون وقال لهم أنه في الطريق، عندها تصورا أن هناك خبرا إيجابي يحمله السفير وجودي من العفريت، لذلك فتح لهم أبواب الأمل واسعة وبدأ وجههم تشرق بالغبطة وعندما فتحت باولا لهم الشقة ورأت وجهه وعلامات الكآبة عليه ثم تقدم منها واحتضنها، تأكدت أسوأ مخاوفها. "انتهى كل شيء" "كانت لحظات السعادة في أسرتنا قصيرة للغاية".

قرر ماساري أن يذهب ليرى الجثة ويتأكد أنه هو فعلاً، قالت باولا أريد أن أذهب معك، ولكن ساري رفض وقال: لن يكون ذلك مناسباً لكِ أنت في النهاية أم وسيكون هناك مشاهد صعبة، وليس من الإنصاف أن تخوضي هذه التجربة، خرج من شقة الشاب وذهب إلى مشرحة زينهم، في وسط القاهرة بعد منتصف الليل وقد صحبه فريق صغير من السفارة الإيطالية من بينهم رجل شرطة في البداية منعهم مسؤولو المشرحة من الدخول، ظل فترة يتناقش معهم وقد أبرز تحقيق الشخصية ولكن دون فائدة فقد كان الرجل يتسم بالبرود والسماجة ومهما عنفه أو تكلم معه بهدوء لا يجد استجابة وكل فترة يردد ممنوع، هذا مخالف للقانون، ليس لك الحق فأخذ يصرخ منفعلاً

"إفتح الباب!"

لم يجد مسؤولو المشرحة بداً من فتح الباب أمام إصراره، ثم اقتيد، أخيراً إلى الثلاجة

حيث يستلقي جسد ريجيني على طاولة معدنية عندما رأى جثة الشاب صرخ من الرعب ثم أغمض عينه لا يريد أن يرى كل هذا الشر المريع، كيف واتتهم الجرأة على التمثيل به بهذا الجحود والقسوة، اقترب موظف من الفريق الذي يتبعه وحاول أن يسحبه للخارج ولكنه نفض يديه بقوة، وأخذ يدور في الحجرة، ثم يضرب يده في الحائط بقوة، كان مشوشا، مهتزا يهزى، ثم خرج وهو يردد هذا جنون، هذا جنون....

بالليل كتب تقرير لوزارة الخارجية بما حدث وقال: إنه يؤكد أن الولد تعرض للتعذيب، وهذه الطريقة في التعذيب بصمة أمن الدولة وخاصة أن أول من أعلن خبر العثور عليه بعدها بساعتين، ولم يكن معه بطاقة هوية تفصح عنه خاصة أن جثته مشوهة، لواء أمن الدولة منصور السعيد وهو أخطر ضابط في الإدارة يطلق عليه الأهالي منصور أركب لأنه عندما كان ينزل الشارع، ويجد أحداً في الشارع يقول له أركب البوكس، دون أن يكون ارتكب أي خطأ، طُرد من مكتبه بمحافظة الإسكندرية بعدما ألقى محاضرة ضد الثورة، ضغط على عائلة الشاب سيد بلال حينما كان رئيس مباحث الإسكندرية: "ادفنوا الرمة دي فورًا وإما ندفنه احنا في مقابر الصدقة."

وترقى اللواء منصور السعيد إلى وكيل للإدارة العامة لمباحث الجيزة وبعدها ترقى ليكون رئيسًا للإدارة العامة لمباحث الجيزة.

ثم بدأ النظام يوجه الصحف لتشويه ريجيني في برامج التوك شو والذباب الإلكتروني، البعض يقول: الشاب مثلي وقتل من قبل عاشق غيور مدمناً للمخدرات أو على صلة بجماعة الإخوان المسلمين، جاسوساً وأشارت عدة تقارير إلى حيثيات عمله في شركة إكسفورد أنالاتيكال، التي أسسها مسؤول سابق في إدارة نيكسون، كدليل على أنشطته الاستخباراتية المحتملة لصالح السي آي إيه أو جهاز الاستخبارات البريطاني.

بعد قتل ريجيني ساورت ماساري شكوك حول الأمن في السفارة، فتوقف عن استخدام الهاتف والبريد الإلكتروني لمناقشة القضايا الحساسة وبدلاً من ذلك لجأ لاستخدام آلة تشفير ورقية قديمة الطراز لإرسال الرسائل إلى روما، كان يثق أن المصرين العاملين بالسفارة

الإيطالية يسربون المعلومات إلى أجهزة الأمن المصرية وأن الأضواء دائماً ما تكون مطفأة في الشقة المقابلة للسفارة، وهو مكان جيد لزرع ميكروفون متنقل وهو يعاني صدمة من مشاهدته بسبب تعذيب الشاب وبدأ يميل للعزلة ولم يعد يحضر الاجتماعات مع باقي السفراء، وقد أخذت علاقته مع المسؤولين المصريين تتدهور فقد استشاط المسؤولون المصريون غضبا من مقابلة له على محطة تلفزيونية إيطالية حملهم فيها مسئولية تعذيب وقتل الشاب

هل توقف على ذلك أبدا، فقبل أن يسافر جعل السيدة باولا وزوجها كلاديو يوثقون توكيلاً لمحام معروف بمعارضته الشرسة للنظام في مصر، الذي أصبح مزنوق في الركن بسبب فشل خطة قتل خمسة أفراد مصريين واتهامهم بأنهم تشكيل عصابي بنطاق القاهرة الجديدة تخصص في انتحال صفة ضباط شرطة واختطاف الأجانب وسرقتهم بالإكراه، وتم توجيه تهمة قتل ريجيني لهم وقاموا بتصفيتهم حيث تم إطلاق الرصاص عليهم بدم بارد، ورغم ذلك لم تقبل السلطات الإيطالية الرواية واعتبرتها تدل على الاستخفاف بهم مما زاد الأمر سوء.

المحامي الذي تم توكيله من قبل والداي ريجيني تم إخفاء ابنه قسرياً، ويقضي أيامه بين السجون والنيابات والنائب العام والكتابة في الصحف ويقدم شكاوى للمنظمات الدولية ولم يفقد الأمل رغم مرور عامين ويرى أن الوسيلة الوحيدة المتاحة لاستعادة ابنه مرة ثانية هو الاستمرار في البحث وطرق الأبواب بصلة وعدم الخوف، ثم أخذ يدور على أمهات وآباء المختفين قسريا ليكون تجمعا للضغط على النظام خاصة أن الاختفاء القسري جريمة ضد الإنسانية لا يريد أن يستسلم لهم وأن يجعل عودة ابنه مرهونة برغبتهم ولم يأبه بالتهديد بأن من السهل أن يتم تقديمه للمحاكمة وتوجيه اتهام له بتكوين كيان إرهابي لقلب نظام الحكم، وكما سمع مباشر من الضابط.

هذه الشوشرة تؤجل الإفراج عن ابنك، بل تؤدي في الغالب لدفنه ثم من يحاكمنا لم يحاكم أحد منا ولو تم محاكمة أحد فلا يسجن، السجن الذي تعرفونه أنه سجن صوري

لا أكثر ينتقل من بيته لمجمع سكني ترفيهي يوجد به كل ما تتصوره في المنتجعات الخاصة، غرف نوم نظيفة ومفروشات من أرقي أنواع المفروشات، حمام به ساخن وبارد وجاكوزي، طعام من الفنادق أو من المنزل قاعة رياضية، مسجد مجهز بالرخام والسجاد الإيراني، ويصلي بنا شيخ ويوم الجمعة نستضيف المشاهير من القراء والمشايخ الكبار وهناك مباريات كرة قدم كل يوم وشاشات عرض وأنترنت وأجهزة كمبيوتر ومتابعة أعمالنا في الخارج، والزيارة متاحة في أي وقت يدخل ويجلس معنا كيفما يشاء نتابع البورصة والشركات ولو رغب أحد بالخروج لغرض ما يكتب طلباً ويأتي الموافقة في نفس اليوم ونعتبرها فرصة للراحة من العمل التنفيذي وكأنه فترة استجمام وراحة، نخرج يوماً في الشهر نقضيه مع الأسرة يبدأ من الثانية عشرة ليلا لنعود فى نفس التوقيت، ولولا وجود الصحافة لكنا عشنا في منازلنا عادي ولكن هناك أولاد يصعب السيطرة عليهم، ولو أحد صورنا فيديو أو فوتوغرافيا ونحن في الخارج قد يسبب إحراجا للكبار خاصة في هذا الوقت الذي سمحت فيه التكنولوجيا لأي أحد أن يصنع قناة ويقول فيها ما يريد أو مدونة أو صفحة على الفيس بوك، وهذا يمثل ضغطاً عنيفاً علينا.

لم يكتف المحامي بعقد المؤتمرات وإلقاء البيانات في وسائل الإعلام بل أسس المركز المصري لمناهضة الإختفاء القسري، والذي انبثقت منه رابطة أسر المختفين قسريا وقد تم توقيفه أثناء محاولة سفره على متن طائرة مصر للطيران المتجهة إلى جنيف بدعوة وجهت إليه من الفريق الذي يشرف على قضايا الإختفاء القسري بالأمم المتحدة لحضور وقائع دورته المنعقدة داخل مجلس حقوق الإنسان، ولقد صدم وأصيب بحالة إغماء بسب الضغوط التي تعرض لها، فأحضرنا له دكتور، أعطاه الأنسولين ثم وضع في السجن إلى أن تم تحويلة لنيابة أمن الدولة العليا لتأسيسه رابطة غير قانونية لمناهضة الحكم وكتابة تقارير تسيء إلى سمعة مصر أمام الهيئات الأممية، وكانت الرابطة قد لعبت دورا تخريبيا كبيرا خلال الفترة الماضية في تواصلها مع المنظمات الدولية خاصة آليات الأمم المتحدة المختلفة والتي اعتمدت على تقارير الرابطة في الكثير من تقاريرها وتوصياتها الصادرة تجاه مصر.

تم حجزه ثلاثة أشهر وأثناء تلك الفترة مثل أمام نيابة أمن الدولة العليا وأبلغ وكلاء النيابة بأن الشرطة تحتجزه في مكان غير معروف دون السماح له بالإتصال بأسرته، ولكن لم يتخذوا أي إجراء للتحقيق في هذا البلاغ، ولم يأمروا بنقله إلى أحد أماكن الاحتجاز المعتادة، ثم قام بالإضراب عن الطعام وظل عشرين يوما حتى كان يفقد الوعي فخافا أن يموت خاصة أن وزير الخارجية الألماني اتصل بالوزير المصري الذي ألح على تحويلة للسجن العادي ومحاكمته، وقد تم الحكم عليه بعامين وعندما انتهت مدة سجنه تم القبض عليه مرة ثانية بنفس التهم وقد عرض عليه الخروج في مقابل تخليه عن قضية الشاب ولكنه رفض فما كان إلا تدويره للسجن مرة ثانية.

(١٠)

المسئولون على إدارة الخيمة يملكون ثقة ليست من فراغ فقد قاموا بإنجاز مهام غاية في الخطورة على أكمل وجه، أثناء الثورة، لذلك عندما عرفوا بموضوع الشاب الإيطالي، طالبو بتسليمه لهم ولأن الأزرق لا يستطيع أن يرفض لهم طلباً فقام بإصدار قرار لنقله إلى الخيمة فورا، مع أنه يعرف أن هذا سيغضب جدا –البيت– ولكنه يستطيع أن يسترضيهم لذلك من أول يوم قام به المسؤول عن الخيمة بعرضه على طبيب للكشف عليه ليعرف هل هو من مجتمع ميم أم لا، دخل الطبيب عليه الحجز الساعة العاشرة صباحاً ومعه ممرضة عندما رآه الشاب جرى نحو وقال: أنا باحث إيطالي وتم خطفي وحجزي من قبل الأمن أرجوك بلغ الصحافة أو السفارة أنا أموت في هذا المكان، دخل ضابطان والطبيب قال له إهدأ إهدأ، اطمئن ستخرج من هذا المكان خلال فترة بسيطة مجرد إجراءات وستخرج المهم يجب أن تسمع الكلام، قال: ولكن لم أفعل شيئاً مجرد باحث فقط، قال الطبيب: أعرف! المهم أخلع ملابسك، قال: لماذا؟ لكي يتم الكشف عليك، خلع ملابسه وأخذ يريه الإصابات التي تتناثر على محيط جسمه، ثم بكى أمام الطبيب ويرتجف من الصقيع الذي يأتي من باب الحجز قال: يتم تعذيبي أرجوك قل لهم يتركوني، أرجوك يا دكتور ولكن لم يلتفت الطبيب إليه كان محايدا وجه لا يكشف عن شيء، كانت الممرضة تستخرج من الحقيبة قفازات رجالي وبعد الآلات التي لا يعرف استخدامها، تقدم الضابط وقال: إخلع الكلوت يا وله بسرعة، وانحني، لماذا؟ قال الطبيب لكي يتم الكشف عليك، لعلك مريض بمرض جنسي! انتبه الشاب علي المغزى من الكلام وقال ولكني لست مثلياً، قال الطبيب: نتأكد من ذلك! قال: لو كنت مثلياً لقلت لك ولكن أنا أؤكد لك أنني لست كذلك! ليست لي ميول مثلية من أي نوع إطلاقا قال الطبيب: علينا أن نتأكد لاحظ أنني صبور عليك، فرد وقال: ولكن لن أقوم بذلك، لا يجب أبدا إجباري

على فعل ذلك هذا سلوك مشين من طبيب، تقدم منه المخبر الذي دخل توا وكان طويل القامة مفتول العضلات وأخذ يضرب فيه وهم وقوفا لم يتحرك أحد، حتى استجاب وخلع السليب فضحك الضابط وقال مؤخرة جميلة، قامت الممرضة بعمل بروفة للإنحناء، فقام بعمل مثلها فسحب الطبيب كشاف صغير وسلطة على فتحة المؤخرة، ثم لبس جواني وأدخل أصبعه فيه، ثم آلة تشبه قلم رصاص من المعدن، وعندما انتهى أخذ يهز رأسه وغادروا المكان وأغلقوا عليه الباب، ثم دخل عليه ضابط وأخذ يوحي له بأن النتيجة إيجابية لكي يوسمه بالمثلي، ثم أخذ يقترب منه فالتصق في الحائط خوفا وهو يعتقد أنه يريد اغتصابه، ولكن الضابط توقف وقال: خلاص يا حلوة لا تخافي ثم أحضروا له الطعام وتركوه لينام أخذ يتقلب على الأرض الإسمنتية ويتوجع من الألم حتى استغرق في النوم وفي الصباح دخل عليه ثلة من المخبرين والضباط وأخذو يستجوبونه بنفس الأسئلة التي تم توجيهها له من أمن الدولة: هل أنت جاسوس؟ هل أنت إخواني؟ هل تكره الرئيس؟ ماذا كنت تدرس؟ لماذا اخترت عاملاً متجولاً؟ هل أنت جاسوس إسرائيلي؟ أليس أرثر ميللر اليهودي الذي كتب وفاة عامل متجول؟ هل دفعك اليهود لهدم مصر؟ عشرات الأسئلة لم يكن يجد لها إجابة، وإن وجدت يتم ضربه لأن الإجابة خاطئة، ولو صمت يتم ضربة لأنه يستخف بهم ولا يبالي بما يقولون، وإن تحاشى النظر إليهم يقولون لماذا لا تنظر إلينا ألسنا بشر؟ ألا تعجبك وجوهنا؟ هل تحتقرنا؟ وإن نظر إليهم، لماذا تنظر إلينا بوقاحة، ألست خائفاً؟ ثم قاموا في النهاية بممارسة ضرب عشوائي من خلال أربعة ضباط وكل واحد كان يختار مساحة ما من الجسم ويضرب، بسن الجزمة الميري في البطن، من يطفئ سيجارة في لحمه، كان هناك ضابط محباً للفن، وهو من كان يواصل التحقيق معه وكان من عادته أن يصور ضحاياه، ويعود بعد ذلك لمشاهدة الفيديوهات في شقته، يظل يكرر مشاهدة الفيديوهات ثم يثبت الكاميرا على مشاهد معينة، حتى يختار لقطة يعتبرها جديدة ومبتكرة، وجديرة بالتخليد رسم خلال مدة عمله وهي ٦ سنوات عشرات اللوحات وتخطيطات وبورتريهات، كان إنسانا غريبا عدوانياً كريهاً، لا يحب أحداً ولا يوثق علاقته

بأحد، فبمجرد انتهاء العمل، يدخل الغرفة المخصصة له ويخرج الورقة ويظل يخطط فيها أشياء مبهمة، ثم يقوم بتمزيقها وإلقائها في سلة القمامة لم يتزوج ولا يستضيف أحد في شقته ولا يختلط بأحد، يبدو لا مبالياً بأنظمة العمل فقط يتقن عمله عندما يسند له التحقيق مع أحد أعداء الوطن ولا يسمح لأحد بمشاهدة لوحاته ولا أحد يعرف من الأساس أنه فنان، لم يشارك بعد في التعذيب يجلس على الكرسي، حتى أشار لهم بالتوقف فسقط أمامه على الأرض نظر إليه طويلاً ثم قال:

– أنتم عايزين مننا إيه نظر له وهو منهك وغير قادر على الكلام، من كم الضرب الوحشي الذي ناله، أقترب من الكرسي وقال: بصوت واهنٍ أنا بموت، ناوله جرعة ماء، تناول وعندما انتهى قال: لقد فهمت الآن مسرحية الخراتيت ليونسكو، لقد فهمت من يقصد بالخراتيت، ثم ابتسم ابتسامة ساخرة ونام على الأرض ناظرا للسقف.

– لم تجبني بعد؟

– ولماذا أجيبك؟

– كي لا تعاقب.

– نظر إليه بعناد وإصرار وقال: لم يعد يهمني!

– ولكن لن نتركك حتى تعترف.

– نعم أنا أعترف أنني كنت ساذجاً، موهوماً ولكن الآن نضجت وتكون لدي وعي، لذلك يستوي عندي الموت والحياة.

بدأ المحقق يقلق ويقرض أظافره، ويهز قدمه هزات سريعة، لا أعرف لماذا تريدون التيار الإسلامي؟

– نعم التيار الإسلامي ثم بدأ يضحك، أريد أن أعترف لك بأمر يا سيد أنا لست ابن باولا وكلاوديو، أنا ابن باولا والسيد محمد مرسي.

– تسخر مني!

– منذ أن جئت هنا ويحقق معي بعض البلهاء لا أعرف الإجابة عن أسئلتهم، أنا لا

أعرف أن أقول شيئاً وأنا غير مقتنع به ليس ذنبي، هل تريد الصراحة الكاملة نعم أنتم فشلة وقتلة، ولولا فشلكم ما كان هناك تيار الإسلام السياسي، وجود تيار الإسلام السياسي مشكلتكم أنتم وليست مشكلتهم، لم تستطيعوا أن تنجحوا في شيء، لا تعليم ولا صحة ولا تصنيع وتحكمون الناس بالحديد والنار، أنت لا تقرأ تاريخ ومثلك مثل كل الأوغاد الذين يحكمون هذه البلد مجرد أجلاف لا قيمة لكم، ولا تعرفون أبدا أي بلد تحكمون، هذه بلد عظيم وشعب متحضر يجب أن تعلم أن الخميني وآيات الله نجحت ثورتهم بعد الإنقلاب على حكومة مصدق الذي جاء بانتخابات نزيهة وتأمر عليه الداخل والمخابرات الأمريكية والمخابرات البريطانية، لماذا لأن مصدق سعى لتدقيق وثائق شركة النفط الأنجلو-إيرانية، وهي شركة بريطانية (حَالِيًّا جزء من شركة بريتيش بتروليوم) والحد من سيطرتها على احتياطي النفط الإيراني عقب رفض شركة النفط الأنجلو-إيرانية التعاون مع الحكومة الإيرانية، صوّت البرلمان (المجلس) لصالح تأميم قطاع النفط الإيراني وطرد ممثلي الشركات الأجنبية من البلاد ثم شُكِّلَتْ حكومة بقيادة الجنرال فضل الله زاهدي مما مكّن محمد رضا بهلوي آخر شاه في إيران من الحكم بمزيد من القسوة والعنف، معتمدا بشدة على دعم الولايات المتحدة للتمسك بالسلطة وقد وظفت وكالة المخابرات -رجالًا شرفاء- إلى طهران في حافلات وشاحنات واستولوا على شوارع المدينة، وقُتل ما بين ٢٠٠ و٣٠٠ شخص جراء النزاع، ألقت محكمة الشاه العسكرية القبض على مصدق وحاكمته وأدانته بتهمة الخيانة، في ٢١ ديسمبر ١٩٥٣، حُكم على مصدق بالسجن ثلاث سنوات ثم وُضع قيد الإقامة الجبرية لبقية حياته، سُجن أنصار آخرون لمصدق وتلقى العديد منهم عقوبة الإعدام بعد الإنقلاب، وأصل الشاه حكمه كعاهل لمدة ٢٦ سنة قادمة إلى أن أُطيح به في الثورة الإيرانية.

- قل، قل:

- دائما تقولون مثل سوريا والعراق، السؤال هل سوريا والعراق تفكك بفعل النظام الديمقراطي، أم لأنه يحكم بالحديد والنار، هل اليمن كانت تنعم بالديمقراطية الذي

أوصلتها لما هي فيه، هل القذافي رائد التنوير العلماني الديمقراطي، هل تونس يا أجلاف كان نظامها ديمقراطياً، يجب أن تعرف أن أي حكم إسلامي جاء بعد نظام فاشي إجرامي يحكمه شوية أجلاف جهلة، وأن لو لديكم أي وطنية من أي نوع كنتم تركتم التيار الإسلامي يحكم، وتكونوا أنتم لكم دور في حماية الديمقراطية من الفاشية الدينية إلى أن تسقط وحدها ويأتي تيار مدني ديمقراطي منتخب من الشعب، تعرف لماذا لم تعطون الفرصة كاملة لمحمد مرسي لأنكم عصابة إجرامية تريد الإستحواذ على السلطة والثروة لا أكثر ولا أقل.

– انتهيت من المحاضرة؟

– نعم.

لقد كشفت عن وجهك الإخواني وأن كل ما يهمك هو أن يحكم ابن البنا الإرهابي كان في قمة الغضب فقام وسحب موس حلاقة يضعه دائما تحت لسانه وقام من على الكرسي وضرب أذنه قشط جزء كبيراً منها، وتناثر الدم في الزنزانة، كان في ذلك الوقت يريد أن يعرف تكوين وجه فإن جوخ أثناء قطع أذنه، عندما ذهب إلى الشقة، قام برسم لوحه جدارية رهيبة لفان وسماها الفنان الذي قطع أذنه ثم عوى ثم قدم ورقة مكتوبة للقيادة العليا بخصوص عملية الإرهاب وقدم الحل المناسب لهم فهم يريدون الجنة والحور العين ولذائذ الآخرة، لماذا لا نصنع معهم معروفاً ونرسلهم لله بسرعة وكان اقتراحه كي يتم توفير محاكمات وسجون وغيرها من الأشياء المعطلة للتقدم، وكان يكتب دائما في صفحته التي تقتصر على عدد محدود جدا من الأصدقاء، أن لا حل لمصر لكي تتقدم إلا استخدام الحل الصيني حيث زيادة النسل تلتهم أي تنمية، الشاب يصرخ صرخات مرعبة تثير معذبيه وتجعلهم أكثر قسوة، والتنكيل أبشع يزيد في الصراخ وهو يشعر أن صرخاته تخفف الألم، عندما انتهت الوجبة وخرجوا وأغلقوا عليه الزنزانة سقط في حالة إغماء، لم يفق إلا بعد مرور ساعات، نظر إلى حائط الزنزانة المحيط به والظلام يضفي رعباً على المكان وقال: لم أتصور أبدا أن ينتهي مصيري لهذا الوضع المأسوي وأخذت تتري عليه مناخ

السجون والتعذيب في الروايات التي رصدت القمع في البلدان الدكتاتورية، إستعاد الأفلام التي رآها عن التعذيب في أقبية السجون، والذي كان ينظر إليها باعتباره مادة تمثيلية لم يكن يتصور أنه سيغرس في وحل الطغاة بهذا الشكل الفظيع، ثم صرخ بأعلى صوته باولا، كلاوديو، مارين، أريد أن ينتهي كل ذلك، أريد أن أخرج من هنا! أخذ ينظر لمسار حياته وانتبه لكون الحياة مجرد رحلة عبثية مريعة، وصدفة ما تجد نفسك ولا شيء أنت ولا شيء ثم تذكر حماسته لثلاثين يونيو وتأكيده أنها موجة ثورة، وتساءل هل أنا أدفع ثمن انحيازي؟ هل كان علي أن أسقط لأرى كيف تعصف الموجة الثورية بالأبرياء؟ هل هناك نهاية لهذا الإختبار لهذه المحنة. مر اليوم السابع ووقع التعذيب يزيد وبدأ يفقد القدرة على التركيز ينظر للوجوه التي أمامه ويراها ممسوحة وجوه بلا عين، فم أنف كائنات مصنعة داخل علب الكومبيوتر، تحمل داخل خلاياها برامج شريرة لإعادة تشكيله، المرعب أنه كان يتحرق ليتشكل كيفما يريدون، ولكن لم يعطوه الفرصة ليتشكل، كان يتوسل ليعطوه وقت مجرد وقت لم يمهلوه ليقوم بتشكيل ذاتي، يريدون أن يتشكل فورا ولكنه لم يكن مستعداً، فسقط للمرة الثانية في غيبوبة طالت فاعتبروا أن الشاب يمثل عليهم، ضربة بسن البيادة في جنبه فكسر ضلع لم ينطق فتركوه وذهبوا لمساعد الأزرق، الذي كتب التقرير وذهب به للأزرق الذي رحب به وسأله عن الأولاد وتناول القهوة، ثم وضع تقريراً عن حالة الشاب فقال له: تقرير إيه يا علي ما تقول البتاع ده فيه إيه، هو أنت تعرفني النهارده، جمع الموضوع بسرعة عشان أنا اللي في مكفيني قال: يا فندم أنا بقول كده برضو أتفضل، الموضوع يا فندم أن الولد ده من الآخر موضوعه منتهى، ورقة الحياة سقطت اصفرت مفيش حل تاني، الواد تم سحله ويفرفر وليس أمامنا إلا رميه في الصحراء للذئاب تأكله، أو في مصرف أو في أي مصيبة سوده، يعني حضرتك دلوقت كان هناك وحاولوا يعرفوا منه حاجة لم يستطيعوا وأنت عارفهم يا أفندي، ما يتوصوش، استخدموا كل الأدوات اللي عندهم، لما راح المخابرات العسكرية عملوا فيه كل ما تتصوره، أكيد عارف حضرتك النظام هناك ومافيش أي معلومة، ويبدو والله أعلم أن الولد ما ورهوش

حاجة....

– بص بقي أنا ما كنت مركز، أحكي لي إيه اللي حصل من أول الواد ما اختفى، عايز أعرف الإيطاليين قد إيه مهتمين بالولد، فسحب ملف لونه أزرق موضوع على الترابيزة، وبدأ يقلب أوراقه في هدوء، ثم أخرج سيجارة ونظر للأزرق وقال: تسمح لي يا ريس، خلص يا.... مش وقته، أشعل السيجارة، وأخذ يشرب بتلذذ وعندما انتهى بدأ يقرأ من ملف:

فقال: وإيه رأيك؟

– نحن في مشكلة كبيرة، لو تركناه مشكلة، ولو ظل عندنا مشكلة، خاصة أن الموضوع كبر قوي، عامل زي كرة الجليد كل يوم تكبر.

– أنا بقول إختفاء الشاب فضيلة حلوة بحيث ترعب العيال الأجانب الممولين، وهما يعرفوا أننا قوة لا يستهان بها وأن أي حد ينزل مصر يمشي زي الكلب جانب الحيط وكده نكون ردينا على ثرثرة منظمات حقوق الإنسان والكلام ده يعني واحد بالك

– الكلاب المسعورة اللي بتنبح علينا ليل نهار

– والله معاك حق، فكرة والموضوع يقعد كام أسبوع وينسوا وبكده يبقي رسالتنا وصلت أن من يحكم مصر هو الأزرق والذي يتحكم في كل كبيرة وصغيرة هو ولا غيره، وأن أي ضغوط حول ملف حقوق الإنسان مرفوضة لا أحد وصي على البلد نحن بلد كبيرة وانتهى موضوع تدخلهم في شأننا، نحن نفعل مانريد ومن لا يعجبه يشرب من البحر، مش كفاية نحارب بدلا منهم الإرهابيين والله لو سيبناهم عليهم ليخلوا أيامهم سوداء، ولكن نقوم بذلك عن طيب خاطر ونحمي الحدود من الهجرة غير الشرعية ولكن مجرد ما نغمض عيوننا، يغرقون فعلاً وليس العيال الغلابة التي نتركها تموت في مراكب خربانة في عرض البحر. ابتسم الأزرق ثم نظر إليه وقال: أنت قلت لي هو الولد ده لسه عايش، أنتبه المساعد وكان قد غفل عن الحوار الدائر ويفكر في الكلام ويوزن الأمر جيدا، فأعاد عليه الكلام: هو الولد لسه عايش، هز رأسه وقال: تمام يا أفندي، وسحب السجل الأزرق

من على المكتب واستأذن وخرج من القصر لغلق الملف وفي نفس الليلة تم القضاء عليه وفي صباح اليوم التالي عُثر على جثة الشاب الإيطالي على مشارف القاهرة في مصرف بجانب طريق القاهرة-الإسكندرية كان نص جسمه عاري، وجثته مشوهة بشكل فظيع، كان الشر مطبوعاً كخريطة شيطانية على جسده تعذيب شديد مروع: كدمات وسحجات في جميع أنحاء الجسم نتجت عن ضرب مبرح ووحشي، ورضات ممتدة نتجت من ركلات ولكمات واعتداءات باستخدام عصا، وقد اقتلعت أظافر يديه وأقدامه، كما وجد في جسده أكثر من عشرين كسراً في العظام بينهم سبعة كسور في أضلاع الصدر، وكانت كل أصابعه مكسورة وكذلك لوحي كتفيه، وظهر على الجثة أيضاً طعنات متعددة في شتى أنحاء الجسد وحتى في أخمص القدمين، كما ظهر على الجسم كله العديد من القطوع والجروح نتجت عن آلة حادة يشتبه في أن تكون موس حلاقة، كما كانت آذانه وأنفه مشوهين، وظهرت آثار حرق بالسجائر شملت الجسم كله، وعلامات صعق كهربائي على أعضائه التناسلية، وحدوث نزيف في الدماغ وكسر أو التواء في فقرات العنق تسبب أخيراً في الموت عمداً.

عندما علم الأزرق بظهور جثة الشاب على جانب الطريق العام، كاد أن يجن لم يكن يصدق أن يقوم أحد بإفساد كل شيء، اتصل بمدير مكتبة فقال له: إنه أمن الدولة يا فندم، أنا مليش فيه، هو أنا هعلمهم شغلهم، أحنا أحضرنا الإسعاف وقلنا لهم يشوفوا صرفة، في مكان بحيث لا يظهر مرة ثانية، هي أول مرة لكن هناك تعمد الغرض إحراجنا، هي عملة الوزير يرد لنا القلم يا فندم، هو الوزير نائم على ودانه ومش قادر يسيطر على -البيت- وهما عايزين إحراجنا أمام الطلاينه، خاصة أنهم في الطريق إلينا.

- لازم يتعاقب فترة كده ويتم إقالته، لا أحد يلعب معنا هذا ضرب تحت الحزام بعنف ومن من؟

- لو فأكر حضرتك قد إيه الأولاد في الجهاز كانوا زعلانين؟ عشان خدنا منهم الولد.

- طبعا يا سيدي، مهو من أمن العقاب ساء الأدب.

إبراهيم خيرالله

(١)

رغم أن رؤسائي في المقر طمأنوني جدا، بأنه لن يتم محاكمتنا أبدا بسبب وفاة الشاب الإيطالي، ولكن هناك ألف سبب يجعلني دائما قلقاً من هذا الموضوع، أعرف جيداً هؤلاء الأجانب، لا يتركون ثأرهم أبدا، مهما طالت السنوات، ولديهم أجندة ينفذونها بلا عواطف، الناس دي رغم كراهيتي لهم ولكن دائما يقومون بالعمل الصح مثل الكتاب ما يقول لديهم نفس طويل كله بالعلم والمعرفة والتخطيط، لكن عندنا الأمور ماشية بالفهلوة الواحد يموت عندنا نتيجة إهمال طبيب أو سائق إلخ وبدل ما الاخهل يبحثون عن معرفة من المتسبب والإصرار على المعرفة تجد مشكلتهم الوحيدة أن يدفن ابنه بسرعة ويدفعون الرشاوي كي لا يقوم الطبيب الشرعي بتشريح الجثة، لديهم ذعر مريع من تشريح الجثة وبمجرد ما يستلم الجثة، ويدفن تستريح العائلة وتعتبر أنها أدت الواجب اتجاه ابنهم، شعب يخاف على الجثة لا تتبهدل هل هذا معقول؟ طيب الجثة ستتعفن ولن يبقي منها إلا شوية عظام لا قيمة لهم لماذا لا تبحث عن حق ابنك؟ لدينا نحن المصريين استسلام رهيب شوفوا أم الشاب الإيطالي عمله لنا كالو في دماغنا، سيدة بقلب حديد عرت ابنها وهو متفسخ وصورته وتابعت قضيته حتى الأن، وكل يوم مثل المكوك، رايح جاي، وتجمع حولها الناس من كل العالم للضغط على الأزرق، وكل ما الموضوع يهدأ وأتصور أن الطليان خلاص نسيو الموضوع، ألاقيهم يسخنوا موضوع الشاب الإيطالي ومطالبات ورسائل قوية وأقول في عقل بالي، أن الرجالة هنا تكه ويسلمونا تسليم أهالي، لكن فجأة يهدي الموضوع، وزيارات واتفاقيات وناس رايحة وناس جايه، لكن الصراحة نحن نخضع شوي

شوية، ولولا الموضوع ما هو مرتبط بالناس اللي فوق كنا اتحكمنا من زمان لكن الله كريم.

الحكومة الإيطالية موقفها غريب بصراحة شاكك أنهم اعتبروا الشاب الإيطالي مسمار جحا، وكل ما يتزنقوا في قرشين يقولوا دم جوليو يقوم الجماعة هنا مقدمة عطاء كبير لدرجة أن مصر الفقيرة كانت سبب في رفاه المواطن الإيطالي، وأنا مش عارف ليه النظام هنا ضعيف قوي كده قدام الأجانب، ما يسيبهم يضربوا دماغهم في الحائط، هما يقدروا يعملوا إيه معانا.

هنا في المقر من يوم موت الواد الإيطالي والدنيا مقلوبة علينا، مع أننا كنا عندنا تصور أن الهيصة تكون بعيدا عنا، ده إحنا لفين الولد ببطنية مميزة خاصة بجهاز محدد من أجل أبعاد الموضوع عنا وكلما تكلم أحد يقول الأجهزة الأمنية ويشير إلينا وهم يعرفون أن لا علاقة لنا بالموضوع لكن لفت وجت على دماغنا. الغريب أنهم حددوا الناس تبعنا بالضبط حتى أنا أصغر رتبة في الفريق، ورصدوا كل ما تم مع الولد، ورغم ذلك يخفون ما جرى له هناك حيث خرجت جثته، أنا مش عارف ليه ذكروني في الموضوع أنا لا في العير ولا في النفير مجرد عنصر أمن، أنتم عارفين يعني إيه عنصر أمن؟ يعني عبد مأمور، مستحيل أقدر أرفض أوامر سيادة اللواء، أو العميد، أنا لا بلغت، ولا وقعت على أمر القبض عليه، هما سلموه لي وقالوا: أعمل معه الواجب! والواجب عندنا في أمن الدولة وتحت أمر الباشا اللواء، والعميد والمقدم إلخ إلخ.. أضرب نضرب، كهرب نكهرب، كف عن الضرب نكف، نحن مجرد آلات، "أنا ذكي قدرة ياباشا" "أنا بريء يا باشا هي المعلمة وكلنا صبيانها".

إذبح يا زكي ياقدرة يذبح زكي قدرة.. إسلخ يا ذكي يا قدرة.. يطبخ ذكي قدرة، هو فيه صبيان بتحاسب على المشاريب حاسبوا الباشوات لو الباشا أمر أن أشيل المواطن على كتفي أشيل أرقص له وأسليه أنفذ فورا، وحق لا الله إلا الله، لما مسجون يخرج من العمبوكة بكون فرحان، هو أنا غاوي أذى للناس، في النهاية ده ابني وابن عمي وابن خالي، وابن بلدي، لكن دي بلد، ولو طلبوا مني أضع رقبتي على قضبان القطر، ما تأخرت ده قرار الكبار ما لي بالموضوع، بالنسبة لي والله أنا قلبي ميت ولا فارق معايا

موت من حيا، وممكن أشرط رقبتي بموس ولا عندي، لكن مسألة كرامة إذا كنا نقوم بدور وطني والآخر الواحد يتحاكم عشان أدي مهمة موكوله له تبقي فوضى هل غلطنا إننا ننفذ الأوامر ومخلصون للوطن، طيب أي عنصر أمن يعرف يشتغل في ظل هذا الإرهاب؟ ده كلام، إحنا ما صدقنا ترجع يد الأمن طويلة بعد ما أتقصفت في ٢٠١١، والرخاوه دي تدي المشاغبين الشجاعة ويهجمونا تاني، وبعد ما حلم أي واحد العمل في أمن الدولة، الشرطي يهرب منها لأي إدارة أخرى.

أنتم السبب في اللي جرى فضلتم تقصروا في يد الداخلية أيام رئاسة حبيب بيه العادلي، لحد ما فقدت هيبتها ومركزها وبقي أي عيل شرموط يهاجمنا ويجعر في وجهنا بعد ما كان بياخذ على دماغه بالجزمة، وهو ساكت، رفع صوته ويقول حقوقي حقوقك إيه يا أبو حقوق، يبقى عيل ملوش أي تلاتين لازمة، ومعه تليفون جايبه بالقسط، ويقف قدام صول محترم، ويحاسبه ويبوء فيه ويحط عينه في عينه، ده كلام، لما أنت تكسر الشرطي قدام المواطن يسيطر على الشارع إزاي، المواطن إن لم يخاف ويعمل للأمن ألف حساب البلد تخرب وتلاقي العيال الشمامة تبيع حشيش قدام القسم، والبرشام في المواصلات العامة مع الباعة الجائلين، وده اللي كان حصل مع الإنفلات الأمني، الحشيش كان يباع عيني عينك في التحرير، ولو قربت لعيل يقولك ده ناشط سياسي والدنيا تتقلب ويضطر وكيل النيابة يفرج عنه، ليس لأنه بريء لأن هناك ثغره استخدمها المحامي، حتى البلطجية الذين كانوا تحت السيطرة لفترة طويلة انفلتوا واستخدموا العنف ضد بعضهم وضد الناس، بطريقة أفزعتنا والواحد بقي يتخيل نفسه مسحول في الشارع.

هل ننسى ما فعلوه في بعض ضباطنا وعساكرنا والمخبرين من كانوا يقومون بالسيطرة على أحياء وشوارع ومناطق انتقموا منهم شر انتقام واحد تم ذبحه في الشارع، ووضعوه على فرنتونة عربية نصف نقل، وداروا به في شوارع المنطقة، وقد شارك كل أعدائه بغرس أسلحتهم فيه حتى تحول لأشلاء، وكان منظره فظيعاً، وتم تعليقه كالذبيحة لمدة طويلة حتى قام وفد من رجال المنطقة بالتوسط لإنزاله وترتيب دفنه، في البداية كانوا رافضين تماما

ولكن بعد محايلة وتوسل وافقوا المصيبة أننا كنا نلبد في أماكننا غير قادرين على حمايته، مع أنه من أنبل رجالتنا وأكثرهم جدعنا وينفذ المطلوب دون تفكير.

الأسلحة انتشرت في يد الشباب بعد الإستيلاء عليها من مراكز الشرطة، كانت بسعر التراب والمطاوي، كل شيء أصبح مباحاً ده اللي أنتم عايزينه، أن البلد تبقى فوضى وأموال الناس تبقي مباحة ويحكمنا أولاد الشوارع أو مصر تتقسم لقطع.

نحن تركنا لهم الشارع حتى يقدروا أهميتنا ويعرفونا قد إيه كنا معجونين في المتاعب مع شعب معظمه جاهل وبربري ويستحق الحرق، أنا اشتغلت في قسم الشرطة وشفت بلاوي وقصص وحكايات لو الواحد فيهم شم نفسه ولا نقدر عليه، لازم تفضل رجلك على رأسه وإلا أستلم، بهدلة وقلة قيمة.

شوية عيال عندها فراغ راقدين في الميادين، وليل نهار هتاف وغناء ورقص، طول الليل ويمارسون الجنس ولدينا شرائط ولو فضحناهم على الإنترنت يقولك الخصوصية وأمن الدولة وتطلع هتافات وسباب، شوفنا أيام سودة الله لا يعودها شوف بقى لما كل شرطي يقعد في البيت زي الحريم لامؤاخذه خوف.. أي والله، خوف لحد ما غاروا الإخوان ورجعت القبضة الحديدية ورجع لنا حقنا، هل متصورين بعد ده كله نرحم أحد أو نتساهل مع مواطن ومن تاني يقوم عيل من النوم ويلاقي نفسه فاضي يقول نعمل مظاهرة وجمعة الغضب وجمعة الرحيل ومش عايزينك مش عايزين وأرحل، أرحل دي قلة أدب وسفالة وكان لازم يتربوا ما بدل المرقعة والصياعة في الشوارع يشوف له عمل أو صنعة أحنا تربينا كده أوع لرأسك تعرف خلاصك وخلاصنا الحديد والنار.

الحياة ليست سهله والعيال دي عايشه في مياه البطيخ ولا داريه بحاجة إذا كان الواحد يغلاب في كام عيل يحتار فيهم فما بالك ملايين ونمارد مش بالسهل حكمهم، وأحنا نروح بعيد ليه؟ ولادي لظروف شغلي، بكون بعيد عنهم فترة طويلة وأمهم مهما يكن مش هتقدر عليهم زي ما أكون موجود، أيه اللي حصل ابني الكبير فشل في الدراسة، اشتريت له سيارة ملاكي للعمل عليها بقي كل اللي يكسبه يضيعه على النسوان وسهرات

الليالي يا جدعان بيروح كازينوهات شوفنا كده أتعلم شرب الدخان والدخان جر مخدرات وضرب برشام واشتري سلاح وكان يضرب بودره، لحد ما دخل في خناقة مع أصحابه على بنات الشوارع، وانتظروه بالليل وهو عائد من سهره وتم ضربة ضرب موت ورموه في الرشاح، وصلني الخبر ركبت العربية وقابلتهم على المستشفى وعرفت الحكاية فلميت الموضوع لا القسم يجيب لى حق ابني ولا عائلتي قادرة ترد على ما جري للولد، فكرة الثأر منهم تبخرت فهؤلاء الأولاد أبناء حيتان في البلدة، مالنا نحن السمك الصغير نلم الدور ونلعب علي قدنا قمت بعلاجه وعندما خرج جبت المصحف وقلت له: أحلف على المصحف مالك دعوة أبدا بالعيال دي وتشوف مصلحتك، أهمد بقى واتعلم من الدرس، رفض أنه يحلف على المصحف وقال: يا أنا ياهم.

الولد كان غاضباً غضباً هستيريا لدرجة أني فكرت أطلب من أصدقائي في القسم يقبضوا عليه ويعملوا له قضية ويرموه في السجن قد سنة يمكن يتغير لكن فكرت في أحوال السجون وكيف بسبب التسيب والفوضى والرشوة تحولت إلى غرزة للحشيش والبانجو والبرشام وكل الممنوعات، يعني أبهدل أمه ومراته معه والآخر يخرج أوسخ من الأول، عرضت عليه يروح لدكتور يعالجه زاد جنون وفضل يزعق في، حتى تركت له الغرفة قلت ما فيش فائدة هو ناوي على خراب البيت، لكن أنا كنت مصمم أن لا أعود للعمل قبل أن أصل مع الولد لحل وطول اليوم قدامه السلاح محشوة بطلقات وكل شوية ينظف فيه وفي يوم دخلت أرتاح شوية لقيته فر وطلع جري جريت وراه لحد ما لقيته عند بيت ولد من الأولاد اللي ضربوه ومصمم ينتقم و يصيد عيل من اللي ضربوه، وفتح النار على البيت ومن حظي الحلو أن لا أحد كان في البيت، أو البلكونة وإلا كان صاده بطلقة راح وبعد كده أدخل في تبادل ثأر ويردوا بإثنين مننا ناس كلها شر وعزوه، وبالليل بعتو إلي برسالة خشنة، وفي النهاية إذا كنت أنا مسنود قراط، فهم مسنودين أربع وعشرون قراط، أجبرته للعودة للبيت وفضلت حارسه واستغليت أنه نام من الإرهاق فسحبت السلاح من حضنه وخبأته في مكان لا يعرفه عندما قام من النوم، دخل عليه زي المجنون وقال

أديني السلاح قلت: ولا تشوفه تاني قال: أموت نفسي قلت براحتك راح واحد فيه غيره لكن سلاح لا! بصيت لقيت الواد مطلع مطوه من جيبة وشرط رقبته، أنا ذهلت دم ابني طرطش عليه جالي شلل مؤقت حتى الصوت راح.

أمه ضربت كام صوت، دخل الجيران السر الإلهي صعد، دي ضربية بدفعها عن طيب خاطر وكله عشان بلدي العيال الباقية تعلمت من أخيهم شرب المخدرات لكن كانوا عاقلين شوية، ده كان مجنون خالص قال متربي قلت: من عند ربي هو أبويا كان قاعد لنا في البيت لكن وعيت على الدنيا لقيت لي أم زي السندان، أقعد يعني أقعد وبتقدر قيمة القرش وتحطه في المكان الصح وعلمتنا أن الإنسان مجرد قرش لا أكثر، القرش راح والجنية جه وكانت ماسكة البيت من حديد مفيش حد يقدر يتني كلمتها، شمال شمال يمين يمين، أما مراتي فرغم أنها طيبة لكن بلا شخصية، ضعيفة جدا أمام الأولاد لدرجة أن أبي عندما يزورنا يقول: أبقى أبصق على وجهي لو مراتك ربت عجل ونفع، ثم يلح على أن أتابع العيال وأقضي يومين أو ثلاثة، على دماغهم أسمع كلامه أقتنع، وبعد أن أعود للمقر أضعف وأتابع الأمور هناك، نعم للعمل هنا متعة وإثارة وبيضيع الوقت ومفيش أي مشكلة بتعكر مزاجي، لكن بمجرد ما أوصل البلد أختنق من المشاكل اللي بتتزرع لي، والعيال عايزين كوم فلوس كل واحد عايش أحسن أكل وأحسن شرب وعايزين كومة فلوس أنا مكنتش كده خالص زمن أسود، تليفونات محمولة وأنتر زفت وسجاير وفسح وكل عيل عايز طلب وحكاية وكنت مضطر أدفع لهم بدل ما يسرقوا وتبقى فضيحة لي، ماكنت أعرف أبداً أن الواحد ممكن يكون ضعيف بالشكل ده أمام عياله.

اشتريت شقة في التجمع وزوجت الولد الكبير، واشتريت لي سيارة ورغم ذلك لا أستخدم السيارة مركونة في الجراج ولا أرتاح في شقة التجمع رغم أن المكان ساحر والشوارع واسعة والهدوء والناس النظيفة وزي ما بناخذ امتيازات بندي عمرنا، وعلى رأي المثل الذي كانت تردده أمي "اللي بياكل عيش اليهودي يضرب بسيفه" فما بالك بأن هذا العيش

الذي نتمرغ فيه ليس لليهودي ولكن يدفع من خزينة مصر، فهل نقصر في تقديم أرواحنا لكي تبقي صخرة صلبة يتكسر عليها مكر أعدائها وعلينا أن نفخر بدورنا الوطني لحماية الدولة المصرية من مصير الفوضى الخلاقة المنتشرة في دول الجوار مثل سوريا وليبيا واليمن.

نحن نتعامل مع عتاة الإجرام، وندخل بيوتاً لا نعرف هل سنخرج منها أم لا، لقد استشهد منا اللواء سيد حسنين والعميد إبراهيم المصري، وتوفيق عبادي والمقدم رضوان السيد وزميلي عم عبد الفتاح البنا الذي أغتيل من الأشرار وهو خارج من صلاة الجمعة، يكون موقفك إيه والرؤساء يأتوا بأبناء زميلك ويقفوا قدامك والريس يشاور عليكم ويقول: أهم دول الرجالة اللي هيجيبوا ثار أبيكم ونقسم أمام الأولاد لو تركناهم نلبس طرح ونمشي في الشوارع زي النسوان، الموضوع ليس سهلا بالمرة حياتنا على كف عفريت في لحظة، يتلقي الواحد رصاصة من عيل أهوج أحمق، خائن

(٢)

عندما توفي والدي رحمة الله عليه حضر للعزاء ضابط النقطة وضباط أمن دولة وزملاءه والمحافظ أرسل مندوباً عنه واستقدمنا فراشه الحاج أحمد أنور واستقدمنا أشهر مقرئين بمحافظة كفر الشيخ، رغم أن عمي عمل دقة نقص في الجنازة، حيث قال "إن العزاء قاصر على تشييع الجنازة" قالها حسدا وغيرة من حجم الجموع التي حضرت الجنازة وكان وجهه أسود ويرد على المعزين من تحت ضرسه وهو يتميز غضباً وكدرا ثم بعد ذلك وقف يستقبل العزاء في شموخ وكبرياء مثلة مثل كل كبار العائلات في البلدة، وفي نهاية العزاء عندما دفعت ١٠آلاف جنية للفراشة ومثلهم للمقرئين قال: كتير ياابن أخويا لن يصله منها شيء كان الأولى نذبح ونفرق على الفقراء قلت: وده اللي أنا ناوي أعمله يا عمي، لماذا لا أقيم عزاء لوالدي أعرف أنه كان يريد ذلك؟ هل ترك شيء شوية، البيت الوحيد في العائلة اللي مستور، والباقي أغلبهم ناسها يكملوا عشاءهم نوما ولكن بيتنا كان مسنود من زمان فقد كان المرحوم ناشفاً يضع القرش على القرش واللي يتجمد يضعه بجوار أخيه لذلك ترك أرضاً وسيارات ومواشي وبيوت لنا أنا وإخوتي وخرج كل واحد فينا مستورا وله مصدر رزق بجوار وظيفته، لقد خرجت من البيت بعد أن بعت نصيبي وبنيت لي بيتا كبيرا على رأس سبع قراريط أرض، قمت بشرائهم، رغم المصاريف الهبلة التي يصرفها الأولاد وأمهم أهل البلدة يهابون أي شرطي، ومعهم حق فمن يكون له ظهر في الشرطة لا أحد يضربه على بطنه، هذه حقيقة فالسائق يلجأ إلينا من أجل المخالفات ومن لا يجد وظيفة يتقرب لشرطي لعل هناك وظيفة قريبة منه، ومن يريد أن يدخل الشرطة أو معهد الأمناء، إلخ، نحن لنا حضور في كل مكان ومن يريد الحماية ومن يريد أن يسرق أيضا نعم هناك بعض أبناء الجهاز فاسدون ويسهلون الأمور بالرشاوي ولكن أنا لا،

مستحيل أن أمد يدي لأحد، وإن وجدت فرصة لأحد من العائلة لا أتأخر؟ ولماذا أتأخر، ربنا جعلنا في مكان نقدر نكون عوناً للناس.

كنت مجرد شرطي متطوع ولكن طموحي واجتهادي وعدم الاكتفاء بالوظيفة ومذاكرتي إعدادي ثم ثانوي ودخلت كلية الحقوق لذلك كان من حقي أن أترقى كملازم أول وانتدبت للعمل –بالمقر– الذي كان يمثل حلم حياتي لذلك منذ دخلت تمنيت أن أظل طوال خدمتي في هذا المكان ولا أخرج منه إلا إلى المقابر.

كنت الأكثر انضباطا وصرامة في تنفيذ المهام الموكلة إليّ لكن عمر الشغل ما عطلني عن رضا ربي، فما كان مثلي من يترك فرض الصلاة عبادة، وعمود الدين من أقامها أقام الدين وأدعو المولى عز وجل أن أنال الشهادة ويجعل خرجتي من هذا المكان حيث أرى نفسي ملفوفاً في علم مصر وموضوع بالنعش، وقيادات وزارة الداخلية يتقدمهم الوزير وأعيان المجتمع من ساسة ورجال أعمال ومندوبا من وزارة الدفاع والجموع تحيط بي ويصلى عليّ في عمر مكرم، ثم أحمل وأعود لأدفن في مقابر العائلة.

بعد الثلاثين من يونيو، لم أعد أرغب بالخروج من داخل المقر، وحياتي أصبحت مقسمة بين الفندق وبين حجرات المكاتب وغرف الحجز، نسيت أن أخبركم: أن – المقر– لظروف العمل التي تقتضي عدم مغادرة المكان لمدة طويلة هنا تدار البلد، ومن فيه يجب وضعهم تحت الحماية القصوى وليس هناك مكان مؤمناً تأميناً صارما مثل هذا المكان، ويوجد به قاعة رياضية وملهى ليلي وحمام سباحة وهناك حفلات شهرية لمطربين ومطربات وراقصات محترفات.

كان المقر الدرقة الذي تقيني شرور الحياة، لذلك لا أخرج إلا اضطرارا بالدفع من الخلف بالجبر سواء كأمر من القيادة أو لظروف قهرية عائلية، حتى أنه عندما أرغم على الخروج في مأمورية يعتبر هذا الوقت عقوبة مغضوباً عليّ، ثم إنني أكون عديم الجدوى للفريق ما الذي يمكن أن يفعله رجل مثلي كبر في العمر ولم يعد يصلح إلا لعمل روتيني يومي محترف في استنطاق المجرمين، دائرة محددة يلعب فيها مجرد أن أخرج ضمن فريق ولا

أضع في يدي خريطة أسير عليها أضيع، لا أعرف شيئاً في الحياة سوى تنفيذ الأوامر الصادرة على الضيوف، وهذه ليست نزهة ويعرفون ذلك، ويعرفون كم من الجهد الذي أبذله مع الأولاد الذين يصيبونني بالجنون.

أه والله البعض يتصور أن هؤلاء الأولاد أبرياء ويصورونا كوحوش آدمية، وإن عملنا يتميز بالمتعة أو النزهة ولكنه الجهل أعمل هنا ١٢ ساعة يوميا ويدفعون لي مرتبا كبيرا صحيح ولكن العمل هنا خطر فأنت دائما معرض لرصاصة، والكل هنا مصاب بأمراض نفسية لأن عملنا خطير جدا، نحن لا نتعامل مع حرامي غسيل أو شوية عيال شمامين لا يابا نحن نتعامل مع إرهاب دولي وخونة وجواسيس وهذا يحتاج لقدرات خاصة وعمل ليلا نهارا الدولة لا تهدر أموالها بل تدفعها لمن يستحقها ونحن نستحق كل مليم يكفي إن سمعتنا ملوثة وينظر إلينا من الكثير من الناس باحتقار باعتبارنا قتلة، نعم يجب أن لا نخدع أنفسنا، عامة الناس الجهلاء يحتقروننا ولولا عصاتنا الغليظة لسحلونا في الشوارع، هل يعرفون شيئا؟ إنهم مجرد بهائم لا يعرفون أننا الجدار الحامي للبلد ولو راح ضحية بريء وماذا في ذلك، راح شهيد ومغفور له والعذاب الذي ناله ربنا يجازيه نظير كونه مظلوم كأنه دخل حربا ونال طلقة هل نحن نظلم الأبرياء لا والله.

ما أقوم به واجب وطني لا أكثر مثله مثل عشماوي الذي يقوم بتنفيذ الأحكام على المحكوم عليهم بالإعدام، كنت أشاهد التليفزيون بالصدفة وكان يذاع برنامجا يتناول حياة عشماوي لقد رأيت الرجل يفخر بكونه قام بشنق ١٣٠٠ عملية إعدام شنقاً، وكان معتزا بنفسه

أنا فخور بهذا الشخص وأحسده، لأنه لا يشعر بأي نوع من الخزي، مشكلتي أنني أشعر بنوع من الخزي وأكذب وسط أهلي ولا أقول الحقيقة أبدا، وهذا يزعجني ويظهرني كشخص ضعيفٍ وتافهٍ ولا أحب أن أكون تافهاً أنا أؤدي عملا موكولا به، من يجد وظيفة مرموقة مثل هذه ويرفضها مؤكد سيكون مجنوناً ومؤكد هناك أبرياء وسط المجرمين؟

القاضي هو المسؤول أمام الله، أما عشماوي فهو مجرد منفذ يقوم بعمله مثل باقي

خلق الله ثم يعود إلى بيته، مارس نشاطه عادي يأكل ويشرب وينام ويحب ويتزوج ويصلي الفروض ويتسامر مع أصدقائه ويقوم بواجب العزاء ويحضر الأفراح مواطنا عاديا مثل خلق الله، مع أنه لا يمر يوم إلا ويقضي على روح وبكل بساطة في النهاية لا يقوم بذلك لأنه متوحش دموي لا والله، إنه يؤدي واجباً لخدمة الوطن، إنه جندي لا أكثر، صحيح إنه لا يتعب مثلنا في شيء مجرد أن يشد الطبلية ويجعل المذنب يرقص لدقائق، ثم يقوم المساعدون بحمل الجثة ولفظها للخارج عملية نظيفة بدون حرق أعصاب، لا يتصور أحد الجحيم الذي نعيشه لذلك أكثرنا لدية أمراض متوطنة سكر، ضغط، عملية قلب مفتوح، سكتة قلبية مفاجئة وترمل نساءنا ويتيتم أولادنا، نحن لنا ميزات ولكن هل أي إنسان يستطيع أن يقوم بعملنا، نفسي نجرب ذلك لكي نبرئ ساحتنا لدى الشعب أن نعمل برنامج عمل ونختار أكثر الناس وداعة، ويتم توظيفه بمبلغ كبير، ونريد منه أن يتعامل مع كل هؤلاء الأوغاد ونرى ماذا يفعل؟ هل سيظل كما هو بريئا وديعا طيب القلب، أم أن المجرمين سيحولونه لكلب سعران ينهش فيهم ويمزق أحشاءهم حتى يسكن الغضب والكراهية والحقد والذي ينبت ويجعل لديهم رغبة في الانتقام من هؤلاء –الغائط– الذين يعيثون في الأرض فسادا.

(٢)

يتوقف العمل في -المقر- مع كل آذان، ومعظم الحاضرين يتركون ما يقمون به ويذهبون للصلاة في الزاوية التي خصصها سيادة اللواء منصور وقد كنت من اقترح ذلك ولاقى الإقتراح ترحيباً من معظم العاملين، واخترنا غرفة كبيرة مستغلة كمخزن معظمها تخص المحتجزين تخلصنا من الملابس القديمة الممزقة وكل من وجد شيئا يريد أخذه، موبايل، حذاء، ساعة، وباقي الأشياء التي كانت عهدة حملناها وضعناها في غرفة ضيقة كانت غير مستغلة، وقام اللواء منصور بفرشها بالسجاد على حسابه الخاص، وكان يؤم المصلين عندما يكون حاضرا وعندما يغيب أقوم أنا بالصلاة بهم، وفي يوم دخل علينا بشاب لطيف وله حضور حسن، جمع الحضور في القاعة المعدة للمؤتمرات وأذاع خبر وجود الداعية الشاب: حاتم خالد وقد كان يلقي دروساً في جامع صغير بالمنيل وبدأت الناس تلتف حوله حتى لم يعد الجامع يسعه فانتقل إلى العباسية، كل ثلاثاء من كل أسبوع، وعندما بدأ الناس يقومون بتسجيل محاضراته، ووضعها على سي دي وبثها من خلال السايبر، بدأت الطبقات العليا في المجتمع تلتفت إليه، فكان يتم دعوته في النوادي الكبيرة وفي الليونز وقد قامت السيدة الفاضلة نهلة زوجة سيادة اللواء بتعريفة بالداعية الشاب، وكان يقضي فترات طويلة معه وقد تم استضافته في -البيت- من أجل إلقاء محاضرة، وبعد العشاء بدأ الأستاذ حاتم يلقي محاضرة عن بناء الإنسان في ظل المغريات، ورغم أن معظم الحاضرين لم يكن متحمساً له في البداية ليس لأنه يرتدي بدلة ولا يرتدي زياً أزهرياً، ولكن بسبب صوته المخنث مع الوقت بدأ يتسلل لأرواحنا، وقد بث فينا بهجة وسعادة غير عادية لم يقم الرجل بزجرنا أو الكلام عن المعاصي والعقاب يوم القيامة والجحيم والثعبان الأقرع، بل مجرد كلام بسيط عن الحب والتسامح والاهتمام بتدريب

النفس على التقشف، تكلم عن داخل الإنسان وزجر الذات التي تشتهي مالا تملك، ثم أخذ يأتي بمقاطع من سيرة الرسول المتسامح، استطاع الأستاذ حاتم أن يستحوذ على أفئدة الحضور، بعد أن انتهى أخذ يتحدث مع الحضور الذي يسأل والذي يحكي وهو يقول نعم ويهز رأسه ظل يردد نعم حتى قال له سيادة اللواء: هو أنت معندكش غير نعم يا مولانا قال: لا لدي ثلاثة لاءات، لا للفتوى، ولا للسياسة، ولا للجماعات، قال سيادة اللواء: السياسة تفرق الجماعات ثم ضحك وضحكنا، ثم بعد ذلك اقترح على سيادة اللواء أن يسجل محاضرة على سيدي روم وتوزع مجاناً مع جريدة مثل جريدة الأهرام، أو الأخبار قال: والله فكرة، لكن الأخبار والأهرام صعبه شوية، وبعد تفكير وكل من حضر أخذ يدلي برأيه وأخيرا وقع اختيارهم على مجلة الأهرام العربي، ورغم أن المجلة لا أهمية لها وتوزيعها في السوق المصري لا يساوي شيء ولكن لها ميزة أن النظام السعودي يشتري نسخاً ويتم توزيعها مجانا وبدأ يصعد كالصاروخ ورغم شهرته ظل على العهد يمر علينا، ويلقي محاضرات وقد قام المقر بتكليفه بكثير من المهام التي استطاع أن ينجزها بذكاء لذلك ظل بالنسبة للمقر واحدا من أذرعه السرية نستدعيه عندما يكون هناك سبباً لذلك وهو مثلي ينفذ الأوامر بذكاء يحسد عليه.

في يوم لم يكن لدي عملاً، دخلت الزاوية لقراءة القرآن، وجدت زميلا يجلس على سجادة الصلاة ويدعو الله ثم انفجر بالبكاء، استغربت وجلست جواره وهو ذاهل غير قادر على السيطرة على نفسه ثم أخذ يردد يا جبار الكسور أجبر كسري، تركته حتى هدأ وبدأت أطبطب عليه وأقبل رأسه حتى سكن تماما وظللت ألحّ عليه لكي يقول ما به وفي النهاية بدأ يحكي لي عن معاناته والكوابيس التي تزوره يوميا، ولكن هناك حلماً يتكرر حيث يجد نفسه على صليب وعندما ذكر كلمة صليب انهار تماماً وأخذ يبكي ويهتز من هول المصيبة أصبحت محتارا ماذا أفعل له ثم سكت مرة ثانية وأكمل وجدت نفسي مصلوباً كالسيد المسيح وهناك رجل قبيح الوجه كريه الرائحة، متين الجسم وقال: يجب أن يتم تقسيمه أربعة أقسام ثم أحضر مسطرة وقلم سنون وأخذ يحدد على جسمي، ويخط

بالقلم الحاد فيشرط جسمي وينز دما أسود ثم أشار صنع دائرة حول السرة وقال: (كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به) ومن يومها لم أعد قادرا على الصلاة، أو قراءة القرآن، ولدي يقين أن ما أقع فيه من مصائب هو عقاب من الله بسبب الأذى الذي نقوم به هنا لخلقه، وإن تعذيب البشر هو من اختصاص الله ولا أحد غيره وأننا نجترئ على الله وأن حسابنا عسير و قطعنا شوطاً كبيراً في الظلم ولا أمل في عفو الله، ثم صمت فترة وقال: تصدق ذهبت للحج هذا العام ولم يعرف أحد في البيت فقط السيد اللواء وقد ألحّ عليّ أن أحج ضمن بعثة الحج تبع وزارة الداخلية، ولكني رفضت وقررت أن أحج على حسابي الخاص، ومن مال حلال حيث بعت جزء صغير من أرض ورثتها من أبي وكان رجلاً صالحاً ماله حلالا، ذهبت للحج وأخذت أقوم بمناسك الحج وأنا تائه وسط جموع الحجيج، ليس لدي أي إحساس ومشاعري جامدة متبلدة، وكأنها لكائن مصمت مصنوع من المطاط وظلت الكوابيس تتبعني حتى في الحرم المكي جيوش من النمل الأسود تخرج من سرتي وأنا مقيد مذعور، إنه انتقام إلهي والطرد من رحمة الله.

لقد هزني ما قر به، حتى كرهت ما أقوم به تجاه الناس وأصبحت ممزقاً من الداخل ولكن لم أظهر له شيئا وأخذت أكلمه عن دورنا الوطني وعن البلد عن التضحيات، كنت أتكلم بحماس وقوة ولكنه أشار لي بيده وقال: أنت جاي تبيع لي الكلام اللي علمته لك، أسكت مش ناقص صدمت من ردة فعله تجاهي وتركته وعدت للفندق غاضبا، كيف يعاملني بهذا الشكل المهين وهل كان يضحك علي عندما استقبلني في المقر وأخذ يحشو رأسي بالكلام عن دورنا الوطني وكوننا الصخرة التي يتحطم عليها مؤامرات الأعداء، لقد شككني في نفسي وفي ما نقوم به، لدرجة أنني لم أستطع أن أنام

لقد أرقت وأخذ الشيطان يلعب برأسي ويزين لي أفكارا سوداء، لذلك نفضت نفسي وقلت هذا شيطان رجيم، أخذت دشاً وأقمت صلاة الفجر فشعرت براحة ونويت أن أذهب للقائد.

حملت همومي في اليوم التالي وطلبت مقابلة اللواء السعيد وحكيت له كل شيء من

طقطق للسلام عليكم فقال: نعم أعرف بعض التفاصيل ولكنه الآن أصبح جرثومة لذلك يجب عزله ومنعه من الاختلاط بالعاملين في المقر، ثم طلب مني غلق الزاوية مؤقتاً حتى يأمر بإعادة فتحها مرة ثانية في الوقت الذي يريد، ثم قام بالاتصال بالأستاذ حاتم خالد، وطلب منه إقناع الزميل بمشروعية ما نقوم به، وأن هذا لم يكن ضد الدين في شيء، وقابله في المسجد وقال له يجب أن نعترف أن الوسائل المتبعة فيها ضرر، وأن لو هناك طريقة غير ذلك وتحصل على نفس النتائج لكان ذلك حسن، ولكن للأسف هناك بعض البشر أشرار وشرورهم ليست هينة، بل مدمرة للأوطان والإسلام يرفع من قيمة المدافعين عن الوطن ليضعهم في مرتبة الشهداء ويسمي مجاهد في سبيل الله والمجاهد يقتل لدفع ضرر أكبر وأعمق، لذلك أقول لك لو طلب منك القائد أن تقتل فاقتل مادام يجاهد دفاعا عن الوطن، وأستشهد خلالها بوقائع في التاريخ الإسلامي وأحاديث وآيات من كتاب الله، فبكي وقال: استفتيت قلبي يا مولانا.

ثم قال: ابني كان من أحسن الشباب خلقاً وتفوقا، وفجأة تعرض لحُمّى مستمرة لأكثر من ثلاثة أيام ذهبنا به للدكتور كتب رشته، وقد نزلت الحرارة لطبيعتها، ثم فجأة بدأ يغيب عن الواقع، لا يأكل إلا مرغما لا يشرب يظل دائما في غرفته لا يريد الخروج، ذهبنا لعشرات الأطباء من كل التخصصات، ولا فائدة صحته البدنية جيدة، تركيزه جيد وردوده القليلة لا غبار عليها، ذهبنا به للناس اللي يعرفوا وقالوا ده عمل أسود من سيدة، ولم يكن هو المقصود وذهبنا له للقسيس في كنيسة النبي دانيال ولا فائدة، ولكن أنا أعرف "هذا عملي الأسود" عند ذلك قام الداعية وقال: لا تضغطوا على هذا الرجل اتركوه بسلام كفاية اللي فيه، فقام اللواء بنقله لقسم أمبابة دون مسؤوليات، كان الضباط في القسم ينظرون إليه نظرة تشيب الإحتقار، ويرونه مجرد ضابط ضعيف وقلبه خفيف، وظل هناك حتى تم إحالته على المعاش فربي لحيته وانقطع للعبادة، وحفظ القرآن ثم أنضم للجماعات السلفية التي تخرج في سبيل الله وكان يأخذ جزء من المعاش ويترك الباقي لسيدة البيت، ويترك نفسه لريح هواه يظل في الخارج، أسبوعا أو شهرا أو أربعين يوما لا

تحديد لزمن معين، كان يخضع نفسه لأصغر عضو فى الجماعة، ينتقل من محافظة لأخرى، وفي يوم اشتبه فيهم ضابط، وحشرهم في البوكس واعتدى عليه اعتداء قاسيا ولم يخرج بطاقته أو يعرف نفسه للضابط إلا عندما ذهب بهم للقسم الضابط الذي ضربه شعر بالأسف وأخذ يعتذر منه ويقبل رأسه حتى سامحه مع أنه لم يكن يضمر له أي شيء داخل قلبه، يقضي الوقت في الصلاة وقراءة القرآن والأوراد ولا شيء آخر. لم أستطع النوم بسبب الإرهاق، خاصة بعد أن مددت قدمي وكأن كل الألم تجمع في كعوب قدمي، عمودي الفقري، كلاب مسعورة تنهش فيها تحاملت على نفسي وأحضرت وعاء بلاستيك ووضعت فيه ماء وملح، ووضعتها على السرير ووضعت قدماي فيهم وشغلت التليفزيون عندما أكون مرهقاً جدا لدرجة من غيظي من عُندٍ ومكر نزيل نهشت أذنه بأسناني وصلت روحي للحلقوم جربنا معه كل الأدوات المدرجة في اللوائح ولم يعترف ولم يكن أمامنا إلا قتله ورميه في مكان ناء، حيث الكلاب والذئاب تنهش جثته وليبحثوا عنه، نحن دائما في الأمان لا أحد يستطيع الاقتراب منا فلنا قلاع تحمينا مُتَمَاسِكِينَ برباط إلى يوم الدين.

الخارج متاهة وكأنني واحد من أطفال الله الذين ظلوا في الْكَهْفِ سِنِينَن، يعرفون ذلك رؤسائي الكرام ورغم ذلك تجدهم عندما يريدون مضايقتي يلفظوني إلى الخارج، وهناك ألهث باحثا عن هواء لأتنفس وقلت لهم ألف مرة يا سادة أنا مثل السمك، والمقر هو البحر الذي أعوم فيه، ومجرد خروجي منه أغرق، تريدون أن تتأكدوا من ذلك استمروا في تكليفي بمهام خارج جحري وستجدونني في يوم جثة ملقاة بجوار أي رصيف، وسيكون ذنبي معلقاً برقابكم يوم الحشر، يوم لا ينفع مال ولا بنون أنا لا اقول نكت كي تضحكوا، تعرفون جيدا كراهيتي للنكتة ومن يلقونها مجرد عيال هزؤ يريدون أن يتربوا هم لا يعرفون الحياة لكن مجرد دخولهم الجحر سيتعلمون جيدا كم هي الحياة قاسية وبدل قضاء حياتهم في اللهو والتندر على خلق الله والتسكع على المقاهي، يذهبون للبحث عن عمل يفيد الوطن، الناس لا تريد أن تدخل –المقر– وهذا غباء لو الأمر بيدي لفتحت في كل قرية

-مقراً- وكل حي، كل حارة يدخله الطفل بعد العام الخامس لقضاء أيام محدودة كل شهر لكي يحصل على صك البراءة التي تتيح له الخروج والاختلاط بالبشر لكي ينضبط لا يتعب والديه، لا يهرب من المدرسة ويكتب الفروض الدراسية ولا يزعج الجيران ولا يشتبك مع زميل له ولا يخرب منشأة عامة، لا يتبجح مع كبير في النهاية ينطبع داخله أن هناك تقريرا يعد فوق رأسه وأنه سيعود للمقر ويعاقب، وقد سعدت بالقرار الذي اتخذ بمراقبة الأمن للمدارس، يجب أن يكون لنا عين في كل مدرسة في كل فصل من المدرسين والتلاميذ يجب أن يتم تربية العناصر الصالحة ليكونوا حكام المستقبل يجب أن تمتد مظلة الأمن لمصر كلها، الحياة تتحول بهذا النظام تدريجيا لمجتمع مثالي ويصبح الحاجة لأقسام الشرطة هي والعدم وساعتها نستطيع أن نكون مثل ألمانيا أو اليابان.

لم أخرج لزيارة أسرتي منذ عام ونصف لم أذهب لحديقة أو مصيف منذ عشرين عاما، فرص كثيرة عرضت علي رفضتها بتهذيب وامتنانا للقائد، تدريب في فرنسا، رحلات في منتجعات ريفية في إسبانيا وبلغاريا، كل شيء متاح ولكن لا حاجة لي، هنا لا أشعر بمرور الزمن منهمك في متابعة القطيع الذي أرعاه.

(٤)

أنا لا أنكر أبداً ما قمنا به مع الإيطالي، ولماذا أنكر وكل شيء مسجل صوت وصورة ومرقم ومحفوظ داخل أجهزة الكمبيوتر فعندما استلمته منهم وقد تم تغطية عينيه بغطاء أسود، نعم غطاء أسود، مثله مثل غيره من الجناة والجواسيس نحن لا نلعب لذلك في اليوم الأول تم وضع يديه خلف ظهره وتم تقييده وأسقاطه على وجهه وفتحت صنبور الماء على أرضية الحجز وتركته هذا مجرد استقبال خفيف.

في اليوم التالي دخلت عليه كان في حالة سيئة جدا الأجانب دول عالم طرية، لذلك أعرف جيدا حالته النفسية ثم فككت القيد وتعاملت معه بلطف وناولته سيجارة، فمد المسكين يده مطمئناً ليجد سيجارة بريئة يضعها في فمه فتسري كهرباء فمزقت شفاهه وتكسرت أسنانه كان مذهولاً من هول الصدمة، المفاجأة جعلته مصعوقا ووجهه بدا غريب مسخا، ماذا نفعل لكم هل تريدون العبث معنا؟ أهلا وسهلا نحن لكم بالمرصاد.

في يوم وكنت أكثر شباباً وفتوة، تم إحضار نزيل وكان عنيدا كبغل حرون، هؤلاء يثيرون غيظي بشكل رهيب هذه الكبرياء والعظمة وإحساسه أنه شيء مهم وهو مجرد لا شيء في النهاية، يا ابن الوسخة نحن نحيي ونميت نحن يد الله في الأرض، أنت عبيط لله الكبرياء أما الإنسان فهو عبد ذليل لا قيمة له، أنا في الحالة دي ببقى عايز أرجعه تاني لرشدة لبشريته لأن ابن العرص يضع رأسه برأس الله، ومن يموت منهم لا أغضب أو أتأثر من الداخل لو لم يستحق الموت ما كان مات لو لم يريد الله أن يقبض روحه ما استطاع أحد مسه لو اجتمع عليه كل أجهزة الأمن في العالم، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: "**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ**

لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُف". نعم رفع القلم وجفت الصحف، نعم نحن جنود الله سلطها على عباده المذنبين الله جعلنا سبباً لا أكثر، لكن نحن لا نقبض على الأرواح الملاك عزرائيل هو الموكل من الله بقبض الأرواح، فلو لم نمسسه لمات بطريقة أخرى نحن الطريقة الأخرى، إنها إرادة الله العليا الحمد لله لا أترك فرضاً الصلاة في ميعادها، حججت بيت الله الحرام مرات، وعملت عمرة لا أنظر لامرأة جاري لا أغتاب أحداً، أنا رجل في حاله، من عملي للنوم ومن النوم للعمل، لذلك كلما أحسست بالزهو وأنا أنتصر على هؤلاء الأوساخ تجدني أذل نفسي أنزل على حذاء القائد أقبلها أو أنظف الحمامات أو أصلى طوال الليل، في النهاية لو الإنسان عاش كأنه منتصر ويزهو ويتفاخر يخطئ ويغلط وينال العقاب المرعب خاصة في الجحر لذلك لا أخطئ لا يخطئ إلا الأناني اللي يظن نفسه شيء كبير ولله الكبرياء لذلك أنا ولا شيء.

هناك نزلاء يتم التوصية عليهم من القيادة، لا نعرف بالضبط السبب ولكن كلهم من شهادات عليا صيدلي، طبيب جراح، مهندس، مثل د عمرو إبراهيم، وهو من أذكي الأطباء، ويختال بعلمه وماله وزوجته الجميلة، وأولاده، وسيارته، ومرضاه ويتصور نفسه إما هنا أو هناك، مع أن الشافي هو الله، لكن ربنا جعلني سبب لأجعله مثالا لكل مغرور من خلق الله استطعت هزيمته هل بعبقريتي لا والله بحكمة ربنا ودعمه. ظل صامدا ويتلقى التعذيب بإرادة من حديد بهدلته، وكنت أستغرب من سلوكه الغير سوي، لماذا لا يعترف؟ أنه أحمق يصعب عليّ هؤلاء لماذا لا ينطقون بالحقيقة لماذا لا يرشدون على كل من سولت نفسه اللعب في دماغه الزنخة، أعرف أنه لا يمكن أبدا أن يفعل شيئاً ضد وطنه فقط شاب جاهل عديم الخبرة في الحياة طيب يدرك الحياة كيف وهو من المدرسة للبيت ومن البيت للمدرسة، لذلك ضحك عليه الإخوان الجواسيس بشوية كلام فارغ لا يودي ولا

يجيب، وعنده تصور أنه مجاهد طيب مجاهد ضد من؟ ضد حراس الوطن لو أحد تصور أنني أريد أن أعتدي عليه ولكن هو من يجبرني هو مش هيكسرني في النهاية ويضحك على الرتب دا يوم ما ينتصر على يوم موتي، لذلك ظللت أستخدم كل الوسائل المتاحة بل ابتكرت وسائل إخضاع لم تستخدم قبل ذلك هنا ولا في أي مكان، ثم بعد أربعين يوم بدأ يفقد التركيز ويضعف بدت علامات الخوف الشديد ونظراته المضطربة الغير مستقرة وكأن أحداً يجري ووراءه، فتجده يقفز مرة واحدة ويدور على نفسه ثم يلتزم الصمت ويهمس كأنه يقول سرا لرفيق له ثم يقول بصوتِ عالٍ يشبه الصراخ أسكت، أسكت خلاص بقى، ثم أصيب بانهيار نفسي مريع نوبات من الهياج والصراخ الشديد والسباب المتواصل وضرب رأسه في الحائط ثم يظل يتجول في الحجرة ويُهَلفِطُ بالكلام ويتبول على نفسه أو يبكي ويقول: أنا عايز أروح لأمي؟ حسرة أمه عليه، أنا مش عارف العيال دي تودي نفسها في داهية على الفاضي ليه؟ هو أنت يا تافه تعرف مصلحة البلد أكثر من القادة.

الشاب الإيطالي عيل ضعيف وغلبان كنت خائفاً أن أقرص عليه يموت في يدي، ولحسن الحظ لم أفعل كنت شلت الليلة لكن دعوات الأم ورضا الأب لهم مناب في الموضوع أوع تستهين بيد مرفوعة للسماء والله ما أخاف إلا دعوات نساء وبنات المعتقلين، علينا في المحاكم، بحس كده أنها بتهز السماوات فما بالك بينا إحنا، لذلك بقيت أشتغل عليه خفيف خفيف، يعني الصبح أفتح عليه خرطوم الماء، هو.. أه.. غلبان وكل حاجة لكن لازم يدوق من الحب جانب وإلا هو جاي هنا ليه؟ يصيف ولا يلعب أتاري، لازم يتظبط عشان يمش على العجين ما يتلخبطش ويعرف إن الله حق، أقوم لمسه بماس كهربة كله على يدي، صحيح لي مساعدين ولكن في النهاية أنا المسئول الأول أمام السيد اللواء لذلك لا أنام وإن نمت فخطف وأنا جالس على كرسي أو أصعد للفندق التابع للجهاز، أخذ دش وأريح جسمي في انتظار جدول التعليمات، لذلك أنا محبوبا جدا هنا الكل يشيد بكفاءتي ما دمت مخلصاً في عملك وتجتهد ستصل للكمال المهم أن لا تهمل

عملك مهما كنت مرهقا مهما ضاق صدرك مهما ضعفت عزيمتك أستمر وقاوم حتى تنال الإحترام في المكان وهذا أهم شيء، الإحترام يجعل لك قيمة، وفي النهاية الإنسان إيه سوى سيرة، كما أنك ستحصل على امتيازات، والإمتياز الوحيد الذي أريده أن أظل في أحشاء – المقر– وأنا صف ضابط كنت منضبط أشد الإنضباط، والكل يحصل على نفس المعاملة، هناك عدالة في التوزيع لا أحيد عنها الكل سواسية لا فرق عندي، أقسم بالله لو أبي وقع تحت يدي لعاملته مثلما أعامل عدوا شخصيا فلدي تقرير يومي أستلمه وأنفذه بالنسبة للدكتور هادي فقد استقبلته وهو معصوب العينين وعريان كما ولدته أمه، ومقيد اليدين فقمت بلمسة كهربائية على الأذنين، ثم الرأس، وفي نفس الوقت قابلني المخبرون المساعدون بصفعه، أو الضرب بقبضة اليد في كل الجسم أو بالعصي والقضبان المعدنية.

ورغم ذلك لم ينطق بحرف وأنكر كل التهم الموجهة له، ليه ياعم أنت؟ ماذا نفعل معه أريد إجابات مرضية على الأسئلة بدون مكر، سين سؤال جيم جواب، تكسبني تلاوع، أغضب ويكفيك شر غضبي، أو يخدعك وجهي الطيب دي خلقة ربنا ثم أزيد مدة الصدمات الكهربائية وأستخدم أداة الصعق على أجزاء أخرى من جسمه، بما فيها أعضاؤه التناسلية، رؤسائي أعرفهم لا خلق لهم وراءهم مسئوليات يريدون أن ينتهوا كي يذهب إلى مصالحهم حجم المسؤوليات كبير، مش زيي أنا لي شيء محدد أقوم به، ولو غلط غلطة بسيطة تتصحح، لكن الكبار غلطتهم بتبان ووراهم أعلام وعيال خولات على الفيس بوك عاملين زي الدبابير وسباب لأمهاتهم ودعوا، أولاد الكلب لا يملون من الدعاء علينا، تحس والواحدة أو الواحد بيدعي أن صوته أو صوتها يرج السماء السابعة صوت ولا الليزر خوفنا الأساس من هذه الدعوات، حبل حول الرقبة يخنق ويجلب الكوابيس.

شغلتنا دي عاملة زي الصلاة، تصلي بضمير ربنا يتقبل منك، تصلي بنفاق تتعب نفسك على الفاضي، أخلص لعمل مش نزواتك يعني أبننا سيد زاغت في عينه فتاة،

ودخل عليها فك نفسه فيها خرج عن الموضوع جت له رصاصة فجرت دماغه ومن فرد أمن بالخطأ، هل نقول أنه مات برصاص زميل، طبعاً يبقي هبل تم إذاعة الخبر بكونه تعرض لرصاصة غادرة من إرهابي جبان متأسلم وحضر الجنازة الأزرق وقيادات الشرطة والجيش، وظهر على التلفزيون يضرب على صدره ويقول: "**يا ليتني كنت أنا**" وتم تصوير زوجته وأولاده الصغار في عشرات من البرامج المختلفة، لو الأمر ترك للصدفة والتلقائية لانتهت البلد ولكن أهم شيء هو ضبط الأمن للنظام.

(٥)

لقد تم اختياري للعمل بالجهاز عن جدارة، فكنت البريمو في النيشان، الأكثر قوة وصلابة بدنياً حيث أمارس رياضة حمل الأثقال، والتزامي أفادني في حياتي لا أعط أبداً، علاقتي بالنساء محصورة بيني وبين زوجتي في النهاية لا يقل قيمة الفرد ويجعله هزؤ سوى الجري وراء النساء، إرادتي قوية جدا فمهما تعرضت لإغراءات لا يمكن أبدا أن أستجيب رغم أن صنف النساء متاح جدا بالإشارة وأجمل النساء والفندق الموجود داخل المقر الذي نلتقط أنفاسنا فيه، ممكن تقول بيت دعارة، الكل في الجهاز تم التسجيل له، وتصويرة صوت وصورة البعض كان يصور نفسة ويرينا إياه ولو غضب على واحدة منهن يقوم الضابط رفيقها برفع الفيديو على الإنترنت، وتصبح فضيحتها على الملاء طبعا كم من البنات تم انتهاكها لأنها عيلة قليلة التربية.

أنا لا، لا قد يكون هناك أشياء نفسية في علاقتي بالنساء تمنعني من التحرر مع الغريبات لكن في النهاية، أنا على المستوي النفسي لا أجد رغبة بالمطلق في عمل علاقة مع مرة غريبة عني، لماذا الفطاسة وكلهن يشبهن بعضهن.

من أول ما بدأت العمل هنا وكل خلاياي نشطة، وعقلي يقظ أفهمها وهي طائرة، رغم أنني لم أكن أبدا شاطر في الدراسة، وقد حصلت على ثالثة إعدادي بطلوع الروح ولولا الغش ما نجحت أبدا، ولكن أنا من الأول عايز أكون مثل أبي فالتعليم لم يكن من اهتمامي ولماذا أقرف نفسي وأنا في النهاية سأدخل معهد صف الضباط وأتخرج وأقبض مرتباً محترماً، عندما كانت أمي تضربني يقول لها أبي:

أنت كده تكسري الفرخ في الولد، أنا مش عايزه يتنيل يتعلم، هما اللي تعلموا أخذوا إيه؟

وكما نصحني أبي يجب أن أطيع قادتي طاعة عمياء فلو غضب عليك قائد يوديك السلوم أو سيناء حيث الدواعش وتعود لنا جثة، أحذر، شمال شمال، يمين يمين، لا لك دعوة بحد ولا لحد له دعوة بيك، وسمعت نصيحة أبي وكنت أحبهم أكثر من أي أحد في الدنيا، وأنظر لهم باعتبارهم المثل الأعلى فكل خطواتهم وكلامهم مقدس لا يجب أن أنسى حرفاً، لدرجة أنني كنت أتحدث مثلهم مع الضيف الذي يقع تحت يدي ولا يكون رئيسي موجود، نعم فالبشر مجرد ملف في خزانة لا أكثر، رقم ف تسلسل، أو في فايل على الكمبيوتر، أنا إبراهيم سالم خير الله، أعمل بجهاز أمن الدولة، التحقت به منذ عشر سنوات، كنت خلالها النمر الذي ينهش الفرائس، الآن أنا مجرد فريسة مذنب أسير على الصراط، وأنا أنتظر سقوطي الحتمي، فالخناق بدأ يضيق علينا في الفترة الأخيرة ولدى تصور أنني ورؤسائي سنختفى من المقر تطول أو تقصر، ولكن النهاية نعرفها جيدا فلا حلول أخرى بعد أن تعنت الطلاينة، رغم ما تم تقديمة لهم من أموال كي ينسوا هذا الشاب، عموما أنا حياتي بالنسبة لهم في الداخل لا قيمة لها مجرد صفر، ولكن كوني حلقة ضمن سلسلة يجعل عمري يمتد قليلاً، أنا أرى المشهد جيدا، والمشهد يقول لي أنني لا يجب أن أقلق من الموضوع فلو أرادو قتلي لن يمنعهم شيء، لذلك كان قراري –الصح– والوحيد الذي لم أعمله طوال حياتي وهو المغامرة من الدماغ نعم، أنا على كف عفريت، والأزرق يريد أن يحمي ولده، وهذا حقة تماما لو كنت مكانة سأفعل نفس الشيء لكي ينجو ابني لحمي، لنا قلوب عكس ما يتصور الناس رأيتها في أكثر الناس سفكاً للدماء رأيته يرتجف ودموعه تنهمر وهو يحتضن كلبه الذي تنسحب منه الروح ولا حيلة لديه، تضحكون من الواقعة وماذا لو رأيتموه ولا أعظم ممثل ممكن أن يضحككم مثل موقف القائد ولكن أنا لم أضحك، لقد تحصنا وكل منا يحاول أن يحمي روحه بطريقته الخاصة، أعرف أن رؤسائي مثلاً سحبوا كل الوثائق التي تدين الكبار وتم إرسالها مع مؤتمن لا يعرف أحد عنه شيئاً إلى الخارج، –الروح غالية– وهناك من سلم جزء صغير عن الموضوع ليخلي طرفه، ومنهم من أخبر صحافي أن الولد مات في بيت الديب، كي يتم توجيه الأمر للكبار

وفعلا هم يقومون بأقصى ما عندهم لإنهائه وكيف عرفت؟ عرفت لأنني الذي قمت بتوصيله من الجهاز لبيت الديب بعد أن صلى الفجر دخل عليه الزنزانة، وجده متكورا على نفسه، وملابسه وسخة وممزقة فتح عليه خرطوم المياه فقام مذعوراً ينتفض، فضحك وهو يرى منظر الولد وقد اصبح مثلة مثل أي عيل متشرد ضارب كوله، رمى له ملابس نظيفة كانت لمعتقل جديد، وبعد أن انتهى من ارتداء ملابسه ارتدى نظارته السوداء، نظر إليه الصول: وكأن لم يمسسه سوء أبدا، أخرج مشط شعر من المكتب وناوله إياه وأشار له أن يسرح شعره لم يرغب في ذلك فنظر إليه بحدة فاخذ يسرح شعره الملبد بالوسخ لذلك كان يتعثر في تمشيطه، فأخذ يمشط بعنف حتى حسبه يريد نزع بصيلات الشعر من الجذور، سار فتتبعه، حتى دخلنا الجراج وجدنا عم عبدالله يسخن السيارة ويمسح فيها بفوطة وعندما انتهى أخرج علبة سجائر وناولني واحدة، وعندما ناول الشاب واحدة مد يده هو الآخر وظل فترة طويلة ماسكاً السيجارة دون أن يطلب من أحد إشعالها، فأشرت لعم عبدالله الذي أنتبه ومد له الولاعة وقال: "لمؤاخذة يا بلدينا" ضحكت، عم عبدالله رجل طيب مجرد سائق لا يتدخل في شيء ولا يريد أن يعرف شيئاً فقط يأتي من الصباح ويجلس في الجراج، ينتظر أي مشوار يخصنا نحن المنفذين، السادة، لكل واحد فيهم سائقان ويتم التعاقد معهما برغبة البيه الباشا، لذلك يكون في الغالب من أقرباء السيد أو من داخل المؤسسة لكي يكونا حريصين عليه.

هو يدخن وبشراهة وكل فترة يتثاءب، ثم أخرج عضوه وطرطر أمامنا على الأرض صرخت فيه: أنا مش قلت لك بلاش العادة الوسخة دي يا عبدالله، أشار لي في لا مبالاة وقال: روق روق، أنا أستغرب علي المخبول، إنسان معفن صحيح، مش عارف والله أهلك طايقينك أزاي، ثم فتحت الباب وأدخلت جوليو وجلست جواره في الكرسي الخلفي وعلي يتقدم بنا الغريب أنه ظل صامتا عكس وجوده في المقر حيث كان يظل طوال الوقت يهدد ببلده إيطاليا التي لن تسكت على جرائمنا معه، يبدو أنه تصور أنه في سبيله للخروج والإفراج عنه، أو في طريقة للمطار، ساذج جدا هذا الولد ولا يعرف

المصير الذي سيلاقيه، وعندما خفف السائق ووجد رجلاً يركب عجلة وعلى رأسه قفص عليه عيش بلدي أخذ يصرخ، ضربته بالسنكي في جنبه فكتم ثم لزقت فمه ببلاستر وكل شوية أضرب بكوعي مرة في صدره ومرة في جنبه لحد ما عدمته العافية، كلب ابن كلب بصحيح، يعني أعمل فيك خير تقوم تغدر، عندما وصلت وسلمت الشاب، طلبوا مني أن أجلس كي أفطر ولأني كنت متضايق جدا من هؤلاء البهائم لم أوافق وعدت مرة ثانية.

كان الصباح يفرش ضيائه على الكون فأحسست بالفرح وزال الغم والهم من على كتفي، ثم عندما رأيت عربة الفول ريقي سال فطلبت من السائق أن يركن بسرعة ثم عاد للخلف حتى وقف أمام بائع الفول، طلبت طبق فول بالزيت الحار مع ليمونة وبصله، وأرغفة خبز وطعمية وطبق به بيض وأمرت السائق بالسير، عندما سارت السيارة جرى البائع ورائي وأخذ يسب لي وأنا أضحك، ووضعتهم على الكرسي وأخذت آكل حتى وصلت المقر كنت قد انتهيت من الأكل نزلت من السيارة وذهبت لمكتبي وطلبت شاي وبدأت أمارس المهام الموكلة إلي.

الموضوع بسيط يا سادة، المسؤول عن قتل جوليو ابن الأزرق، وهذا سر صمودهم وعدم التخلص منا من خلال حوادث بسيطة ثم تفجير سيارة إغتيال إلخ، نحن مربوطون بسلسلة مع قدم ابن العفريت، في بداية الموضوع جعل الولد يترك البلد في مهمة خارجية امتدت شهور ولكن الأمر طال، وهناك انتخابات وهناك صراع أجنحة وفي النهاية أنه ابنه ولن يبيعه، وكلما ضغطوا عليه يقدم عربون محبة صفقة رهيبة يسيل لها لعاب أي حكومة، منذ أن تورطنا في هذا الموضوع و أنا أتابع بدقة كل حرف في العلاقة بيننا وبين الطليان، رغم أنني لم أكن لأهتم بالمطلق بالسياسة الخارجية فلها ناسها ولكن في الفترة الأخيرة أصبحت مدمن أقلب في كل كلمة تخرج بخصوص الفتى الأحمق، لقد حفظت سيرة الولد وكل ما تقوم به أمه بصراحة سيأتي الكلام عنها قريبا هذه السوسة اللعينة التي تنبش بدأب نملة ليل نهار صامدة، أحيانا يتسلل لي احترام لهذه السيدة القوية، وأحيانا

أتمنى لو قبضت بيدي على رقبتها وعصرتها وجعلت جسدها مجرد ملعب لمغامرة طويلة أتفنن في تعذيب هذا الجسد الذي يحتويها من أول شعر رأسها حتى الشعيرات الدموية التي تعوم داخلها، في النهاية سأستبيحها.

مات كأنه مصري، وكأننا مجرد ثيران أو كائنات همجية تمارس عملها بوحشية نحن نقتل صحيح ولكن المجرم الذي يريد هدم البلد الخائن الجاسوس الدودة القذرة التي تتفنن في تخريب البلد واستباحتها من الدول المارقة، والتي تدفع جبال من الدولارات والدنانير لهدمها واحتلالها، مثلما فعلوا في سوريا والعراق، هل تريدين يا وسخة أن نكون مثل سوريا والعراق مجرد لاجئين في الدول الأخرى، أو محتلون ونسائنا مطايا للأمريكان، أعرفك وأعرف كل سلوكك القذر أنت مجرد عاهرة تريدين الاستمرار تحت الأضواء على جثة ابنك نعم الموضوع مجرد حاجة نفسية لكي تظلي موجودة وهذا ليس كلامي بالمطلق، إنه كلام قامة كبيرة في الطب النفسي وهو الدكتور عكاشة، ظل د عكاشة يشرح لنا آداءك الجسماني نظرات عينيكِ وملامح وجهك، طريقة كلامك صكك لعبارات محكمة، نعم أتذكر قالت: "أنا أم جوليو، وليس من السهل علي أن أكون هنا أود أن أشير إلى أنه توفي تحت التعذيب".

لقد حفظت وجهك وزوجك كلاديو حظك أنكِ لا تعيشين في مصر. لكنت أحضرتك هنا في المؤسسة العظيمة لكي تسيري على خطوات ابنك، حتى تنتهي حياتك مثله، نعم مات تحت التعذيب هل تتصورين أن ابن الأزرق سيحاكم ويسجن، أنت أكيد مجرد واحدة مجنونة مصابة بهستيرية الرغبة في الشهرة ولكن تذكري أنك لمجرد أنانيّتكِ ستهدمين اقتصاد بلادك وتعرضينه للخطر وتشوهين بلدنا وكله لصالح الإخوان الأنجاس عملاء الإنجليز وإسرائيل وأمريكا، هل تتصورين أنه لو انهار النظام بسبب محاولاتك الدنيئة هل سيكون لصالح بلادك أن يكون الإخوان حكاماً لهذا البلد، وتعرفين جيدا التحالف الإستراتيجي بينهم والعثماني ليستعيدوا الخلافة وتتحول مصر لدولة مارقة يحكمها داعش وحذيفة وأبو قتادة العراقي وأبو مصعب وبوعلي المصري، وأبو جهاد السوري، الخريطة

موجودة، تصوري كده، تركيا ثروة ليبيا في يد العثماني تحالف مع إخوان مصر باعتبارهم حكام وتونس الغنوشي فمن ساعتها الذي سيكون تحت الضغط، إيطاليا واليونان، فوقي توقفي عن هذا العبث الصبياني ولو تريدين أن تظلي تحت الأضواء سهله نعد لكِ برنامجاً ضخماً اقترح ذلك الإعلامي أبو لمونة، لماذا لا هذه فكرة جيدة نضع لك أي مبلغ ميزانية للبرنامج وسيكون البرنامج باسم روجيني ويكون دعماً للحالات المشابهة في العالم، سيبث من خلال أكبر محطة إيطالية، وسندفع لأعظم الخبراء في الإعلام.

الذي يحيرني فيكِ من أين تأتين بكل هذه الطاقة؟ أي شيطان يدعمكِ لكي تستمري دون يأس، أربع سنوات في مواجهة دولتين هل تتصورين أن ساسة إيطاليا يريدون، أو لهم القدرة للوقوف معكِ ضدنا، هؤلاء الأوغاد يتركون كل المصالح المتشابكة مع دولة كبيرة مثل مصر، مصر العظيمة، سبع آلاف سنة حضارة، لقد كنت آمل أن يتعلم أولادي لكي يجدوا لهم مظلة في الحياة، ولكن للأسف فرغم أني أنفقت عليهم كل مليم أكسبه من وظيفتي لكي يتعلموا أحسن علام بدل ما يكونوا مجرد "حمير شغل" مثل أبيهم وجدهم لينعموا بحياة مترفة ويصبحوا أسياداً وحكاماً مثل رؤسائي ولكن الفشل يتعقبهم ليس لديهم أي طموح من أي نوع، حتى الزواج لا أحد منهم يرغب فيه يريدون التسكع طوال اليوم وشرب الحشيش، أنا مش عارف بس وزارة الداخلية لا تقوم بالضرب من حديد على تجار المخدرات والبرشام واثق إنها لو أرادت أن تمنع الحشيش لمنعته ولا وجد أحد قرشا حشيشا في البلد، لكن فيه ناس تعمل في الوزارة لا دين ولا ضمير يتركون شباب البلد يعيش في غيبوبة، وتتحطم حياتهم لكي يحصد الكبار تلالاً من الأموال، الواحد لما يشوف أرقام الفلوس اللي مع الناس يذهل يعني تكفيهم لسابع جد، وناس مش لاقية اللضا، والله الواحد ساعات يقول الناس دي معه حق تطلع بالسلاح وتقتل الناس دي وتوزع فلوسها على الغلابة، هو ده ينفع أن واحد فقط يمتلك مليارات وواحد ولا مليم فين العدل بقى؟

أبي ظل طوال حياته الوظيفية في الشارع مجرد عسكري مرور، يرمي له سائقو

السيارات المعلوم " شلن، بريزة، ربع جنيه" نعم كانت هذه العملات الصغيرة لها شأن، الآن العشر جنيهات لا قيمة لها، أبي ظل على هذا الحال لا حلم لديه إلا جمع عملات صغيرة والعودة بها آخر النهار ليضعها في حجر أمي، لا أنكر أننا كنا نعيش بشكل جيد، طعام محترم وملابس جيدة ومصروف يومي في بلد لم يكن أحد يحصل على مصروف، كنا بين التلاميذ في المدرسة لنا شأننا نصرف ببذخ لو أبي كان طماعاً لكان بنى لنا قصرا من سائقي الحافلات أولاد الحرام، كان عليه أن يعصرهم، وإلا ينتظروا تكدس المخالفات في إدارة المرور وكلما قلت له ذلك قال: يا ابني الناس غلابة، القرش القليل ده فيه البركة أحسن من الكثير إللي متسمم، لأبي خصال جيدة، فهو لا يترك ركعة مهما حدث عندما تحين صلاة، وهو في العمل يفرش المصلية ويقيم الصلاة لا يترك مكانه وعندما ينتهي من الصلاة يجد بعض سائقي السيارات قد رمي بعض العملات بجواره، يجمعها ويضعها في جيبه ويمارس عمله، وله الفضل في تعليمي الصلاة وانتظامي، فكلما عاد من العمل ووجدني سحبني من يدي وقال: الصلاة صلة، ويدخل بي الجامع، وظل هكذا حتى أصبح لا يفوتني صلاة، ولم أنم من سنوات إلا بعد صلاة الفجر.

استطاع أبي من هذه المبالغ البسيطة والتي لا تزيد أبدا عن ١٨ جنيها في اليوم أن يشتري ثلاثة فدادين أرض وبيتين وزوج ثلاث أخوات بنات والتحق أخي رمضان بكلية الآداب قسم لغة عبرية وعمل في جريدة أدبية، أنا لا أراه ولا أعرف عنه شيء، يقولون أنه يترجم عن لغة إسرائيل، أنا جسمي يقشعر عندما أعرف إن أخي يترجم كلام أولاد الأباليس، ولا أعرف كيف للمسئولين أن يعلموا لغة اسرائيل، ويشغلوا الأولاد في صحف الدولة، وربنا المعبود لو الأمر بيدي لقبضت على كل خائن أراد تعليم لغة أعداء مصر وعلقتهم على المشنقة بيدي، أصل ما دمت تحب لغة البلد يبقوا مليين مزاجك، وعلى هواك لكن تقول إيه؟

أنا نسخة من أبي هو يقدس العمل ولم يغب يوماً عن العمل، لدرجة أن جدتي أم أبي عندما ماتت كان في طريقة للبيت وحضر الجنازة ومنع أي فرش أو قعدة وعندما يقول له

أحد من العائلة، تقعد فين؟ يقول كل واحد يشوف مصلحته أنا ورائي عمل بكرة ولازم أنام بدري، الناس استغربت من تصرفه لكن الحق هو التصرف السليم ما يفيد الميت السهر والقعدة والميكروفون، لا شيء.

إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له، وأبي ابن صالح كان لا يمل الدعاء لأبيه وأمه في الصلاة.

باولا تتصور مصر بلدا ضعيفا ولا تعرف قوتنا التي نلعب بها، أو يلعب الأزرق بها لحماية ابنه، الخريطة أنتم تحت أنيابنا، نحن لسنا القذافي الذي سلم أفراداً من شعبه ليحاكموا من دول معادية، القذافي لم يستطيع طوال تاريخه العقيم أن يبني جيش يحمي البلاد كان يبعثر الأموال هنا وهناك ويكتفى بعلف الشعب الليبي بالطعام والشراب وكأنه يربى خرفاناً، لكن لدينا جيشاً يعتبر من أعظم جيوش العالم ولدينا شعب كبير عظيم نحن ١٠٠ مليون إنسان، كمان هناك ملف الطاقة من خلال شركة إيني الإيطالية التي اكتشفت حقل ظهر وهو أكبر حقل للغاز الطبيعي في المياه الإقليمية المصرية بالبحر المتوسط، مشتريات الأسلحة والذخائر والنظم المعلوماتية الأمنية الإيطالية والتي تخطت الـ ٦٩ مليون يورو، وهي أكبر صفقة سلاح حدثت بين مصر وإيطاليا من بعد ثورة يناير، وفي عام ٢٠٢٠ اشترت مصر من إيطاليا سفينتين حربيتين بلغ ثمنهما ١,٣ مليار دولار وهناك صفقة سلاح بين مصر وإيطاليا بـ ١٠ مليار دولار، كمان هناك ملف في ملعبنا وهو ملف ليبيا والهجرة غير الشرعية.

(٦)

أكاد أجن فعلاً أن تكون كل هذه الهيصة من أجل مواطن، ويثير كل هذه الأزمات مع أننا عوضنا عن هذا الولد بخمسة أفراد خمسة مصريين، فرطنا فيهم من أجل المصلحة العليا للبلد أربع أفراد يركب ميكروباص تم استهدافهم وقتلهم، وعادي مفيش مشكلة شوية فائض بشر لا معنى لهم، مثيرو شغب وأوغاد، ثم قضية القتل التي راح ضحيتها مهندس مصري من القاتل؟ إنه مواطن ايطالي اسمه دى لوناردس إيفان باسك وتعاونا مع السفارة وقد تم الإفراج عنه على ذمة القضية، صحيح هو سافر بعد ذلك ولكن هذا خطأ يجب أن أقول الحق، كان يجب أن ينفذ العقوبة وهي ثلاث سنوات سجن، ثلاث سنوات لا غير، كانوا عليهم أن يردوا الجميل.

قتله لم يكن بغرض شخصيا هو السبب إيه اللي جابه عندنا؟ ويقوم بعمل قلاقل البلد يا دوب لسه فايقة من كل الأوساخ المجرمين إخوان وشباب مرتشي فاسد تم تدريبة في صربيا وفي كل الدول للنيل من مصر، عيال وسخة ممولون أعرفهم جيدا منذ بداية ظهورهم كثوار يا أخي أحا يا ثوار، ثوار إيه دول اللي النعمة ظهرت عليهم وعربيات وشد وش وأحسن أكل، وشقق جديدة وحياة تانية وثوار ضد مين؟ الناس اللي بتحميكم يا كلاب، في قلبي نار، نار قايدة من كلاب ستة أبريل والجماعة الإرهابية، أمهات دقون عيره بائعي الأوطان، لذلك كنا نسحقهم لكي نحمي البلد فنحن خلقنا في هذه البلدة لحماية ترابها الطاهر، الجغرافيا أهم من الإنسان، الجغرافيا زائلة والإنسان باقٍ وحق الله سمعتها من شاعر، نعم الكل يمر على المقر الشاعر والصحافي والإعلامي، والكاتب القصصي والممثلون وكل أطياف الكون، الشاعر هذا كان يدافع عن المجزرة التي صنعت للتيارات الإسلامية بجدارة رهيبة، لدرجة أنه قال: إن الفض كان بشكل احترافي لا مثيل

له وأن الشرطة والجيش قدموا تضحيات تفوق من قتلوا في الشوارع قالها: على موجات الأثير في إذاعة الشعب، أضحكني هذا الخنزير الأحمق حتى العفريت الذي حضر "الجن" دافع عن هذا العدد الرهيب من القتلى بكون الشرطة غير محترفة، مجرد خطأ لا أكثر.

عليه أن يتعلم هذا الحمار لأنه في النهاية حرق نفسه ولم يعد يصلح لقد جود بشكل من المستحيل أن يضيف شيء بعد ذلك وفعلا تم إزاحته عن الأضواء وركنه في السندرة.

لقد تعلمت من الأجانب ورؤسائي الكبار والذباب الذي نتعامل معه، أن لا نوقع على بياض مهما كانت المغريات، وهذا الأحمق لم يعد في جعبته شيء، هو كتب بعد ذلك أكثر من مرة، يشتكي من القائمين على الثقافة ويعتبرهم من التيارات الإسلامية التي تقف حجر عثرة أمام عدم تحقق المشروع التنويري الذي يسير فيه الأزرق باعتباره أحد بناة الجمهورية الثالثة، مع أن العفريت لو أحد ذكر له القريحة التي يجود بها الشاعر لأمر بقتلة فورا، ليس لأنه ضد كلامه ولكن لأنه لن يفهم أبدا هذا الكلام، هو يفهم فقط في الإعلام باعتبارهم الجيش والساتر الحامي غير ذلك ساقط من ذهنه شاغلني جدا هؤلاء الكتاب ما الذي يجعلهم يحملون كل هذا العنف؟ أنا أخاف منهم ورب الكعبة فلو وقعت في يد واحد من هؤلاء لمثل بجثتي وجعلني وجبة فاخرة للغربان والبوم وباقي طيور الله التي تعوم في الفضاء، ولكن حظهم وقع في يد لا ترحم فهو يقمعهم ويمارس عليهم إذلالاً مريع بالتجاهل التام، وهذا هو الحق كيف تريد من كبير العفاريت أن ينصت لكاتب لا يستطيع أن يجمع حولة ثلاث من الشعب.

في بداية عملي في الجهاز كنت كلما رأيت فنانا، أو كاتباً مشهورا يدخل ويرحب به سيادة اللواء وينصت باحترام، ويطلب تسجيل كل حرف يقوله سواء داخل الغرفة، أم استماعا لتسجيلات تنصت ولكن بعد فترة اكتشفت أن بدون هؤلاء ورجال الدين والتقنيين ما استطعنا تيسير الجهاز يخترعون تبريرات من الهواء، في مرة كان لدينا كاتبا ولم يكن سيادة اللواء قد وصل بعد فتكلمت معه وكنت نتكلم عما حدث في الشارع من قتل بعض الناس قال: أنت مش من الريف؟ قلت: نعم قال: لو الفاكهة أو الخضروات

به لطع، أو أفات أو أدران تعملوا إيه؟ قلت: نرشوها بالسم قال حلو وأنت بترش كنت بترش الأرض كلها ولا المنطقة المصابة قلت: الأرض كلها خاصة أن مستحيل الفلاح يعرف يفصل الورقة المصابة عن السليمة قال: قال أهو ده زي ده، أنت هتحدد إزاي البريء من المذنب أو السلمي من المسلح، الإخوان المسلحين لا حل معهم إلا برش الكل يموت البريء بالمجرم المسلح ومصر تنجو.

منطق طبعا، أنا تأملت الكلام وأعجبني وبدأت أردده في كل مكان أجلس فيه سواء داخل المقر أو عندما أعود للبلدة، وأن تصادف وجلست مع بعض أهلي المقربين جدا، لقد انقطعت علاقتي بمعارفي القدامى البعض يخاف مني، وآخرون يحسدونني على السلطة والجاه والعز الذي أعيش فيه مع أنني لم أقل لأحد مرة أنني أعمل في أمن الدولة أو تكلمت عن أي شيئًا يخص الجهاز.

زوجتي كل فترة تتصل بي وتلح علي للعودة للبيت مرة بالإستعطاف، أو التهديد مرة تضع التليفون في يد ابني أو ابنتي والولد المزعج يكرر الأسطوانة التي قامت بتحفيظه إياها أريد أن أراك يا بابا، فأقول له ما أنت تراني يا حبيبي يقول لي أريد أن أراك أنا أسلم عليك، أقول له والعمل ترضى أن مصر تضيع، يقول: لا أقول له أنا لو سبت مصر مصر تضيع يا حبيبي

حتى والدي أيضا والذي يعرف شروط النظام أخذ يوبخني بالتليفون ولم يصمت إلا بعد أن قمت بتهديده، تعلمت من رؤسائي أن أكون دقيق وهادئ كميت، لذلك قلت له بهدوء –إخرس– فخرس فعلاً وظللت أصف له كيف ستنتهي حياته بطريقة جديدة لا مثيل لها طريقة لها العجب أصف كيف سأقوم بتمزيقه، شعرت أثناء المكالمة إنني أسحب روحة بداية من ظفر رجله حتى قاربت على الحلقوم ينازع حشرجة الموت، ولولا ضحكتي المرحة لكان في عداد الأموات أنا لا أريده أن يموت لا مبرر إطلاقا لموته، يسلي الأولاد ويرعاهم في غيابي الغريب أن كل وسيلة تعذيب ذكرتها، كانت من ابتكار اللحظة، لذلك كنت في غاية السعادة، لأنها من المرات القليلة التي أمارس التعذيب بطريقتي

الخاصة، عادت روح أبي مرة ثانية، ولكنه كان مكسورا وبدا صوته يخرج واهناً وأخذ يجر ناعم –معه حق أبي– هو شرطي دقة قديمة صحيح، وبين ما نعرفه ويعرفه مسافة كبيرة لكن في النهاية يعرف جيدا متى يكون فرعوناً؟ ومتى يكون خروفاً؟ أي شرطي لا يجيد التغيير الفوري يضيع أبي شرطي متطوع يعرف جيدا يدي الطولي ولكن الحقيقة أن هذا التهديد هو طق حنك لا أكثر، هههههه نعم ضحكت على العجوز مع أنه ماكر وخلع ضروسه ولو كنت أمامه ما استطعت أن أخدعه وقد يقوم بضربي على قفاي.

هنا في المقر أتبع أوامر الباشا المنفذ لا يترك لي فرصة الإبتكار الشخصي، خذ يا خير الله هذه هي الطرق التي تستخدمها مع النزلاء من أجل أن يفوقوا نريد أن ننجز يا خيرالله إضرب العيال تخرج منهم تقارير ولكن كيف أخرج تقارير قوية مع هذه الطرق القديمة في التعذيب.

أعرف كيف ينظر لي يتصورني مجرد ثور للنطح أو كلب للنهش وهذا غير صحيح هو لا يعرف عني شيء لا يضعني في مستوى النظر يضع فقط الباشوات أمثاله لا يستحق أمثالنا أن ينظر إليهم باعتبارهم كائنات إنسانية، لا ! مجرد آلة فقط وهذا الموضوع الوحيد الذي يزعجني في المكان، لو يسمع أمثالي قد نساهم بإنجاز عمل خلاق رهيب نطور به النظام وننجز أعمالاً مهولة ولكنه شخص متعالياً أجوف منحط، قديم متخلف، المقر هو المعلم لا البيه الضابط ولا حتى السيد وزير الداخلية، حيطان المقر الغرف الغرفة واحد إلى الغرفة ١٣، سحر ما يجعلنا نمارس أعمال من المستحيل أن نقوم بها لو كنا في مكان آخر بمجرد دخولي المكان أتحول لشخص آخر، قد يكون المكان به موجات أو نظام معين يطلق من خلاله مواد كيميائية مثل ستروكس كده، تجعلنا في حالة نشاط فائق، وقد يكون لكوني أتعامل مع أجانب كجواسيس وجواسيس مضادة، وأصحاب شركات ومهندسين برمجيات كبار ورجال أعمال وكل واحد يطبع في ذهني شيئاً تعلمت منهم وصنفروا دماغي، أنا كنت داخل المقر كثور أحمق وعندما أنظر إلى أيامي الأولى هنا أصاب بالخزي وكيف كنت لا أطيق المكان هنا وكنت أسميه مرة الكهف ومرة القبو ومرة

أخرى البدروم ولكن شيئاً فشيئا أصبح لهذا المكان مسمى آخر –البيت– كوني هنا كل ما أريده ماذا أريد من الخارج؟ لا شيء كل شيء هنا متاح كل متع تشويق كل فضول كل لذة، أفخر طعام وشراب تتصوره صحيح أنها كلها فضلات الباشوات ولكن وإيه يعني؟ هل هذه الفضلات من الممكن أن تتاح لي في الخارج أنا عارف نفسي كويس معنديش أي أوهام وراضي بوضعي.

(٥)

نرجع مرة ثانية للمقر، المقر الذي صنع مني هذه الشخصية القوية عندما أخرج من المكان لا أستطيع أن أمارس أي فعل عنيف لا أعرف لماذا؟ في هذا المكان أستطيع أن أمارس أفعالاً شيطانية، أفعال يتوق الشيطان لممارستها ولكن بمجرد خروجي من المقر يتهدل جسمي وينهار داخلي يتهدم بنياني أتحول لشخص جبانر عديد أرتجف خوفا من أن يحدث صدام مع أي بني أدم، حتى ولو كان طفل، أنا عاجز عن الدخول في خناقة وكلي ثقة أنني سأنهار.

لم أكن كذلك قبل أن ينهار علينا المعبد في ٢٥ يناير ٢٠١١ حيث قام الخونة جماعة ٦ إبريل العملاء وجماعة الإخوان الإرهابية، والجمعيات الحقوقية القذرة المدربة في الخارج بالتآمر لهدم مصر، ولكن كيف ونحن حائط سد ضد الخونة واستطعنا أن نرجعهم الجحور مرة ثانية ولكن لكي نسحقهم كان علينا أن نجاهد، نضربهم ببعض، تغري بالمال، نقتل من لا فائدة منه، قتلنا الكثير وعجزنا الكثير إنها الحرب علينا، على مصر، هل يتصورون أننا نقف مكتوفي الأيدي، لا والله طوال ما احنا على وجه الأرض، لن نتركها لهم يقولوا علينا قتلة ليقولوا كله فداء الوطن، الوطن عرض لذلك وقفنا كالصناديد رجال ولجمناهم في النهاية واستطعنا أن نربيهم ونخرس أصواتهم الوسخة، هذه العيال اللي لم يربيها أهلها نربيها هو لما عيال لسه بترضع تقف في وسط الميدان وتسبنا ده كويس دي تربية لما قائد الجيش ولا سيادة اللواء وزير الداخلية يتمرمط في الشارع وعيال علوق خولات نزله هتاف ولكن الحق نحن السبب، نعم نحن السبب فقد كان رؤسائي يريدون إزاحة مبارك وابنه جمال –ماله مبارك، قائد عسكري عظيم– لذلك اخترعوا حكاية كفاية مبارك يعلم ذلك والكل يعلم ولكن الذي يجن فعلاً لماذا تركهم مبارك يلعبون بالنار.

سمعت من رؤسائي أن هذه مجرد إزاحة البخار حتى لا يحدث انفجار كبير كارثي خاصة في ظل الفقر فالكل أصبح يهوهو، هوهو ولكن في النهاية نحن من نمسك بخيوط اللعبة، كنت أثق بالعائلة ثقة عمياء ولكن في يوم خرجت من المقر وسرت لكي آكل في مطعم بوسط البلد فوجئت بكارثة تحدث بسبب قال: موت خالد سعيد تحت التعذيب، نحن نعلم جيدا أن هذا الولد صعلوك لا قيمة له بيبرشم وحشاش، لذلك حسبتها نكتة ولكن يبدوا أنها لم تكن نكتة وكانت واقعا كارثيا استغلها الأوباش لنشر الفوضى.

تجمع الناس من القرى الريفية أعرف الكثير من أهل بلدي لم يشارك أحداً قبل ذلك في السياسية ولكن لهم حضور قوي وأصبح رجالتنا الموجودين لا حول لهم ولا قوة ولم يعودوا قادرين على ضبط الميدان بعد أن نزل قرى الصعيد وجماعة الإخوان والسلف عدت ودخلت على سيادة اللواء وقلت له مصيبة سوداء قال: لا تخشى شيء الكل تحت السيطرة، لقد بدأنا في رسم خطة لتشتيت شملهم وكانت الخطة استدعاء البلطجية الذين يعملون مع الداخلية والباعة الجائلين وعصابات المخدرات المنتشرة في المدن، الموضوع تحدي فعلا هناك رغبة حقيقية في التصدي لكل هؤلاء الهمج الدين سيطروا بالفعل على ميدان التحرير وتعرت حدودنا وأصبحنا في مهب الريح وكانت الخطة أن يقوم حسني مبارك بإلقاء خطاب عاطفي يستميل به قلوب المصريين وقد قال: أنا فخور بإنجازاتي على مر السنين في خدمة مصر وشعبها، وقد عاش فيها وقاتل فيها ودافع عن أراضيها وسيادتها ومصالحها وسيموت على أرضه، كما أتعهد بتنفيذ سلسلة من الإصلاحات بما في ذلك القضاء على الفساد، وأنه لم يكن يوما طالب سلطة بل فرد من أبناء القوات المسلحة وليس من طبعه التخلي عن الواجب والمسؤولية، مؤكدا أن مسؤولياته هي استعادة أمن واستقرار الوطن لتحقيق الانتقال السلمي للسلطة وأنه لم ينوي الترشح لولاية جديدة مضيفا "هذا عهدي إلى الشعب خلال ما تبقى من ولايتي كي أختتمها بما يرضي الله والوطن وأبناءه." طبعا الخطاب أثر في قطاعات كبيرة من المصريين، وخرج رجالنا في الصحافة والإعلام بالضرب على الوتر الحساس بأنه مقاتل من القوات المسلحة، إضافة

لسنة الكبير وحاولوا توصيل فكرة لدى المصريين لاعتباره مجرد أب لك ولكل المصريين ولكن الأغبياء قاموا بهجوم على المتظاهرين مما عرف بموقعة الجمل في ٢ فبراير ٢٠١١ وذلك لإرغامهم على إخلاء الميدان و تكتل الثورة المضادة قد اتفق مع بعض البلطجية في نزلة السمان لإخلاء الميدان بالقوة، حيث قام البلطجية بالهجوم على المتظاهرين بالحجارة والعصي والسكاكين وقنابل الملوتوف وامتطى رجال آخرون من البلطجية الجمال والبغال والخيول وهجموا بها على المتظاهرين وهم يلوحون بالسيوف والعصي والسياط فسقط الكثيرون جرحى وبعضهم قتلى وتجددت الإشتباكات مرة أخرى في اليوم التالي ٣ فبراير بين البلطجية والمتظاهرين العزل مما أدى إلى سقوط بعض القتلى بالرصاص الحي ومئات الجرحى، وقد صمد المعتصمون وكان هذا مكسباً كبيراً لهم جعلهم يتمسكون برحيل حسني وظل النمل ينهش في جسد مصر حتى سقط مبارك وتفشت الفوضى وأصبحت الحكاية بزرميط وتم اقتحام الأقسام، وهرب الضباط في ملابس النساء، وحاول الكلاب الهجوم على المقر ولكنهم لم يستطيعوا فقد تدخل الجيش ومنع المتظاهرين من الدخول وعشنا في تلك الفترة أياماً عصيبة، وقد طلبوا مني أن أتسلل وأعود للقرية مرة ثانية، ولكن فضلت الموت هنا على الهرب مثل النساء، هل يتصورونا مثل هؤلاء الضباط الفرافير الذين يهربون من أول صوت أخذنا في تلك الفترة نجمع المعلومات بهدوء عن كل الناشطين المؤثرين، والقيادات القوية والتي لها حضور طاغي، وقد تم استدعاء خبراء من الخارج خاص بالأمن والإعلام وأطباء نفسيين وتكنولوجيا متطورة، لا أحد يتصور أن الأمور عادت لطبيعتها، بسهولة، أبدا والله، ولولا الشرفاء من هذه الأمة لكانت مصر ضاعت بأهلها.

هذه الهوجة الملعونة جعلت كل عيل وعيلة يطلع في الميدان ويهتف يسقط حكم العسكر وبكده خلاص بقي ناشط سياسي وليه لا مادام لقى اللي يموله، ماهي فلوس ليس لها صاحب وتطلع كل يوم على قناة ويأخذ فلوس ماهي بقت سبوبة، والبنات عديمة الحياة تلبس عريان وتنزل وسط الشباب ويقعدوا في الخيام ويقيموا علاقات جنسية كاملة

أه وعهد الله علاقات جنسية كاملة الخيام بقت أماكن للدعارة ثم بعد ذلك يطلع على قناة مصرية ثم قناة الجزيرة ويكتبون مقالات رأي في الصحف اللي ملهاش عدد، دخل رهيب يتجاوز مع البعض عشرين ألف من الجنيهات، وفي النهاية شوية كلام وخلاص ولا في دماغهم بلد وجيش وشعب، وأضرب حشيش وبيرة وطبعا لو قربنا لواحد فيهم تبص تلاقي العالم كله تاني يوم في الفيس زفت والصحافة، والتليفزيون وفي النهاية نطلع إحنا اللي ملفقين لهم تهم وهذا غير صحيح بالمرة وألف مرة اقترحت على السادة تصوير العيال دي وبثها على القنوات، ولكن يخافون من تهمة أخرى وهي التجسس على المواطنين الشرفاء، وماذا نفعل نحن عصابات تدافع عن بعضها بالحق والباطل، هل نتركها لهم حتى تضيع مصر وبعدين نقول ياريت اللي حصل ما حصلش. وكمان بنت طالعة في المقدر يرشحها الغرب النصراني لجائزة نوبليه طيب أشوف التقرير المكتوب عنها تكون فلته من فلتات الزمن يمكن جابت الديب من ديلة، أيوه الملفأهه....

ليلى حسين محمود

ناشطة سياسية مصرية ولدت في مدينة المنوفية عام ١٩٨٠ اشتغلت في التليفزيون المصري كمعدة برامج إجتماعية، كما أنشات مدونة تحكي فيها عن حياتها وأسرتها كانت تتميز بالجراءة في طرح المواضيع الإجتماعية المسكوت عنها، كتبت عن العادة السرية عند البنات، والتحرش الجنسي الذي تتعرض له في وسائل المواصلات، والأغاني التي تحبها، ومع ومشاركة أفلام سينمائية والكتابة عنها، أصبحت مدونتها ضمن المدونات في بلوجر الأكثر زيارة وكان يتابعها عدد هائل من الشباب يتجاوز ٢٠ ألف، ثم سجلت فيديو قصير تحدث فيه عن الإعتداءات التي تتعرض لها من والدها وأخيها وهذا كذب لم يحدث أن اعتدي عليها والدها لأن أبيها محامي ليبرالي ولكنه لم يكذبها، نوع من البرجماتية لكي تنال تعاطف كبير، وهذا ما حدث فقد دعتها منظمة العفو الدولية للتحدث عن تجربتها كفتاة في مجتمع محافظ، ثم نالت منحة ثلاث شهور من خلال منظمة ألمانية تعني بالحريات بعد ذلك شاركت العديد من الشباب المصري في الدعوة لإضراب ٦ أبريل ٢٠٠٨ في

مصر ضد "الغلاء والفساد" وذلك على موقع فيس بوك.

كانت بين المعارضين لنظام حسني مبارك وشاركت في ثورة يناير ٢٠١١ مثلت أمام النيابة العسكرية المصرية التي حققت معها بتهمة الإساءة إلى المجلس العسكري لما تكتبه على صفحتها عبر مدونتها، ثم قررت النيابة إخلاء سبيلها بكفالة دفعها المركز المصرية للحقوق والحريات ثم استمر التحقيق معها في الاتهامات المنسوبة إليها حتى تنازل المجلس العسكري عن البلاغ المقدم ضدها وبعد الإفراج عنها سجلت فيديو لتقول فيه فقط "**يسقط يسقط حكم العسكر**" وقد حقق هذا الفيديو مشاهدة تزيد على ١٠ ملايين مشاهدة خلال شهور بسيطة وبدأت في تلقي أموال من خلال موقع يوتيوب الشهير، وقد تزوجت من الصحافي في جريدة المصري اليوم عبد المغني حسين، والذي يرسل أيضاً تقارير لقناة الجزيرة وعندما تولى محمد مرسي الرئاسة كانت له بالمرصاد وعارضته بعنف وكانت تنشر فيديوهات ثورية ولكنها بلعت لسانها بعد الإنقلاب لأننا وجهنا له رسالة تحذير عنيفة، لذلك أغلقت القناة على اليوتيوب وجمدت نشاطها وإن كان كل فترة تقوم بكتابة بوست على الفيس.

(٨)

لقد تزوجت مرتين الأولى اسمها ناهد سليمان، نعم الفنانة الشمال التي ظهرت في بعض الأعمال التليفزيونية، وشاركت بالرقص في فيلم سينمائي كوميدي وظهرت في كام مشهد باعتبارها مومس هائجة تريد أن تمارس الجنس مع كل من تقابله، هي ابنة خالي وتزوجتها عندما كانت في الثالثة عشر، رأيتها في فرح ابن عمتي وقد فار جسمها وأصبحت فاتنة لذلك أصبحت كالمسعور أريدها بأي شكل أخذت ألح على أمي وهي ترفض فقد كانت تعيش بطريقة وحياة غيرنا، ففي النهاية نحن ناس فلاحين وهي تعيش في بلدة مجاورة ولكن قريبة من المدينة، فكانت تلبس ملابس غير محتشمة وتتكلم بجرأة مع الشباب والرجال وتضحك بمياسة، ولكن أكدت على أمي أنني سأشكمها وأطبعها بطباعنا وفعلا أقنعت أبي وذهبنا لزيارتهم وأخذنا شيء وشويات، واستقبلونا استقبال حلو جدا وفضلنا طول اليوم وعندما اختليت بها كانت حالتي منيلة بنيلة فرغم صغير سنها لكن ملوعة، من يومها خلتني عامل زي الكلب الأرمني قدامها، أبويا وأمي رجعوا البلد وهم مسكوا فيّ أقعد كام يوم وسرحت وراها طوال فترة قعادي وهما ناس منفتحين خالص لا حد يقول لي كلمة بايخة، ولا يزنق عليه في القعدة، فاتحتها في الكلام وهي فرحت وقالت: أنها موافقة، ورجعت للبيت الدنيا مش سيعاني وصممت نخطبها يوم الخميس وأبويا يقول: معرفش إيه؟ ومدرك إيه؟ وأنا راسي وألف جزمة قديمة أخطبها، وفعلا خطبتها ونهاية الصيف تجوزنا والخير على قدوم الوردين انتقلت من قسم الوراق إلى الجهاز بلاظوغلي، واكتشفت أن كل اللي مر في حياتي كوم والقادم من الأيام كوم تاني، ومر شهر العسل متعة ما بعدها متعة، كنت سعيدا وأردت أن أفخر أمام سيادة العقيد بزوجتي فأحضرت ألبوم الفرح ودخلت مكتب رئيسي المباشر العقيد عماد بحيري، أريتهُ صور الفرح، عندما

رأى جمال زوجتي صعق وأخذ يتأمل فيها كالمأخوذ وهنأني على حسن اختياري –والله وعرفت تنقي يا ضبش– أه هو يناديني ضبش لأني في بداية عملي بالجهاز فرفر تحت يدي أربعة مما اضطررنا لرميهم من خلال طائرة حربية في الصحراء، في منطقة كثبان رملية بالواحات بعد ذلك أخذت دورة تدريبة من خلال خبراء أجانب ومن يومها لم يمت في يدي أحد تشوه، كسر، جنون، قطع أجزاء من الجسم، ولذلك أنا بريء من دم هذا الريجيني، يعني يا رب لا أحاسب على عشر سنوات قتل وتعذيب والآن أحاسب على جريمة لم أرتكبها، طبعا أنا لا أستطيع أن أقول إنها مسؤولية ابن العفريت، نحن سلمنا له الولد سليم نعم هناك كسر بسيط في ذراعه، وبعض ضلوعه تم تكسيرها ولكن في النهاية كان يسير على قدمه.

يوم لقيت أمي تتصل بي في الشغل وبتقول: مراتك مش في البيت، راحت فين؟ هي معارفها محدودة في البلد وأنا حريص أن لا أختلط بأحد، فهي فرسة وعيلة صغيرة وفيها الطمع وشباب البلد عيال وسخة مش متربية، استأذنت من البيه الضابط وركبت وعدت للبلد فوجدتها قد عادت، وعرفت أنها كانت عند واحدة صاحبتها، دخلت عليها لقيتها لابسة قميص نوم أحمر ونازلة رقص، على شريط التت للست سهير ذكي، أدهولت في نفسي ما بين رغبتي وما بين المصيبة اللي عملتها، قفلت المسجل وقلت: بصي يا بنت الناس إحنا هنا فلاحين، وأنت على ذمة راجل، وأوعى تغلطي الغلطة دي تاني قالت: ببراءة وأنا عملت حاجة، أنا كنت عند صاحبتي وهزت كتفها قلت: لازم تقولي لي الأول وبعدين تستأذني من أمك إنصاف وزعقت الناس تأكل وشنا أخذت تضحك وتقول: بجد تاكل وجهك أزاي قول وأخذت تقلد أصوات الحيوانات وتقول، هم هم هم.

عرفت أن ما فيش فائدة، فقلت هاتي أكل عشان ميت من الجوع، أحضرت الأكل ومارست معها ونمت وعندما صحوت من النوم لم أجدها في الشقة، أخذت أنادي عليها لم أجدها سألت أمي قالت لي فوق السطح، طلعت فوق السطح لقيتها بتكلم الواد ابن جارنا أخذت أسب في الولد وأبوه وأمه وقلت لها أنزلي يا بنت الكلب وجريتها، على

تحت وصفعتها على ظهرها، فأخذت تصرخ بصوت عالي ثم أغمي عليها، جريت بيها على الدكتور سلامة ابن عمتي، طلعت حامل وطلب مني أن تستريح على السرير وكتب رشته، أحضرتها من الصيدلية وعندما ذهبنا للبيت قالت: أنا عايزه أروح لأمي، قلت ممنوع أنت في الشهور الأولى من الحمل وممكن تسقطي أخذت تبكي اتصلت بحماتي وترجتها تأتي لتهدئها، حماتي أول ما عادت نزلت فينا تهزئ وتسب فيّ وفي أبويا، أنا استحملت وقلت تعدي وخلاص وفضلت أسبوع، وقالت أنا أخذها معي أسبوع، وفضلنا نتناقر الآخر طلبت عربية مخصوص وودتها، وبقيت أروح عندهم لما أخرج من قسم الوراق، وبعد فترة صممت أن لا تعود للبلد مرة ثانية، وحماتي قالت: أنت شاريها أشتري شقة ليها في الوراق بجوارك، أو عندنا في البلد ممكن تشتري قراط أرض وتبنيه، طيب يا ناس أنا لسه خارج من زواج، وشقة وحكايات ملهاش أول من آخر، قالوا هو ده أخرنا، فضلت أروح لده وأروح لده لحد ما روحت وفضلنا على دي الحال كل يوم تطلب طلبات ولا شغلة في البيت، وأمي هي اللي بتطبخ وتكنس حتى شقتها لا تنظفها، أنا بقيت هاتجنن لكن قلت الحمل يعدي، في يوم جيت من الشغل لم أجدها في البيت، فين البت يا أمي قالت: الله أعلم وحق الله يا بني إحنا فلوسنا حرام، أصلها لو مش حرام ما كنش يحصل معانا كده، مش مكفياها أنها لا تعمل شغله في البيت قوم كمان تخرج من البيت من غير ما تقول، فضلت أسأل هنا وهنا وقريب المغرب لقيتها دخله البيت، بقول لها أنت كنت فين؟ قالت: أنا كنت في النادي بشوف ماتش الأهلى والزمالك، فضحتي في البلد بقت بالوية، لكن عدتها وبقيت أقول لها يا بنت الناس أنا أجيب بردعه بتاعت حمارة وتركبيني بس أحفظي كرامتي قدام أمي وناس البلد دول ناس سم فحار، ناس لها نظرات تشقق لحم البني آدم يقبلك بشوش ويهلل، حبيبي ابن عمي لحمي لكن على مين؟ النظرات تفضح العفن اللي جواهم، ناس كريهة ليس لها ملة تقولي حاضر وبعد كده ولا كأني قلت شيء، قالت: أنا عايزة أروح لأمي قلتلك علي الطلاق لو خرجتى من البيت من غير إذني لتكوني طالق، ولما رحت الشغل ورجعت أمي قابلتني بالندب وهي بتولول وقالت: مشيت!

وكل ما أكلم أمها تقول: البنت لسه صغيرة، ولما أمه سمعت قالت: أُمال بتشيل الفحل إزاي ولا بتكبر تحت الفحل، وتصغر مع شغل البيت -تقصدني بالفحل- وأخذت تضحك هيء هيء هيء،

(٧)

طيب أنا أعمل إيه في بنت الحرام دي؟ اللي خلت رقبتي قد السمسمة، وكل ما أنوي أضربها أبص لها ما يجيني قلب، تقول عمله لي عمل بنت الرفضي جريت للشيخ عبد الفضيل رديت اليمين ورحت لها أتحايل عليها لما رجعت وأمها تقول هو أنت تعيش معها في الحرام؟ وأنا أقول لها أنا رجعتها تقول مش مصدقاك فضلنا على دا الحال لحد ما رميت عليها يمين ثلاثة وقلت في داهية أنت والمولود.

ولما سلمنا لهم العزال والمتأخر، قالت فيه أشياء ناقصة والإزاز بتاع النيش مكسور، قلت طيب ما هو أنتِ اللي كسراه يا بنت الناس، ولم تتنازل لحد ما جبت بتاع الزجاج، بعد فترة أمي أخذت تلح علي بالزواج وتعرض علي أسماء وصور وكنت أرفض، وكان عندي أمل أشوف طريقة أرجعها بيها لدرجة أني رحت الأزهر عشان أجيب فتوة بأحقية عودتي لزوجتي ولكن رفضوا رفضاً تام، وخرجت وأنا أردد طيب كده المولود صغير ويضيع يا ناس.

انقطعت علاقتي بها وفي يوم كنت في طريقي في مهمة للجهاز في مدينة نصر، فلمحتها في الشارع وقفت السيارة وناديتها فتوقفت وعندما رأتني جرت نحوي فرحة مشرقة على وجهها وسلمت علي وسألتها عن أحوالها قالت: أنها تعمل في مركز المصطفى، فقلت لها: مش لو سمعتي كلامي وهديتي كنا مع بعض قالت: كل شيء قسمة ونصيب، تركتها وقضيت مهمتي وعندما عدت للمقر حكيت للعقيد ما جرى لي والصدفة التي كما يقول المثل خير من ألف ميعاد، مرت الأيام وفي يوم كنت في فرح لزميل مقام في فندق خاص بالقوات المسلحة بالعباسية فوجدت راقصة ترقص رقص خليع ثم نزلت من على المسرح وسحبتني من يدي محاولة أن ترقص معي أنا لا أعرف الرقص والحنجلة وأعتبرهم

قلة أدب وإجرام ولكن تمنيت في هذه اللحظة أن أعرف الرقص فرسة لا مثيل لها شعرها طويل حتى مؤخرتها وجسمها رائع زي الملبن بعد ذلك أخذت أصفر وأقول يا ملبن، يا ملبن وهي تنظر لي وتلاعب حواجبها، حتى وجدت العقيد قاسم سعد يقترب من الترابيزة التي أجلس عليها حاولت القيام للسلام عليه قال لي: أقعد، أقعد وظل واقفاً ورائي وينظر للراقصة نظرت إليه كان مبتهجاً ابتهاجا لم أراه قبل ثم قال: تعرف مين دي؟ قلت: وأعرفها منين يا باشا؟

– دي ناهد

ناهد مين يا فندي؟

قال: مراتك السابقة المصونة.

بلعت ريقي وأنا أكاد أن أتبول على نفسي والدنيا دارت بي وظللت ساهما أنظر إليها.

يتكلم ولا أسمع شيئا وكان طنيناً يئز داخل أذني مر علي شريط حياتي معها تفاصيل جسمها شبقها ورغبتها التي لا تنفذ، تركت الكرسي وحاولت التأكد مما يقوله سيادة العقيد.

صعدت على المسرح وأنا أهز جسدي هزات اعتباطية وأخذت أدور حولها حتى التصقت عيني ببطنها ورأيت الشامة تخدل جسمي وعدت مرة ثانية وجلست على الكرسي أفكر كيف تغيرت هكذا وكيف ترك زوج خالتي وخالتي ابنتهم على حل شعرها، أخذت استعيد أيامي معها لحظة بلحظة وحزنت كوني فرطت فيها ولكن المشكلة أني لو فكرت في عودتها مرة ثانية ستكون فضيحة لي وأنا لست ناقصا، والعمل يأخذ كل وقتي ولكن كنت فخورا أن هذه الأنثى الفرسة كانت تحتي في يوم من الأيام،

عندما نبهني زميلي بأن الفرح كان مرفوع على اليوتيوب، قلت أشوف الفرح وأرى رقص زوجتي السابقة، بعد مشاهدة الفيديو وجدت فيديوهات لها وعرفت أنها أصبحت مشهورة جدا وعدد من يتابعها ملايين دخلت أتفرج عليها كانت تتكلم بصوت هامس

شهواني ذكرني بالذي مضي فدخلت الحمام واستخدمت العادة السرية وتلذذت أكثر من ممارستي مع زوجتي، ظللت أتابع الفيديوهات التي تقوم بعرضها على اليوتيوب مقاطع خفيفة ظريفة أحيانا تظهر مساحة من جسمها، أو تلبس ملابس خفيفة، تظهر أكثر ما تخفي، ثم وجدتها تدخل المقر في رفقة العقيد قاسم، سلمت عليها وعرفت منها أنها تعمل مع الجهاز في أمور خاصة بأمن الدولة وأنها تقوم بدور وطني، وكان الموضوع مرة يخص الشاب الإيطالي ومرة يخص شخصيات ثورية ورجال أعمال ثم بعد ذلك بدأت تصنع فيديوهات تهاجم فيها الإخوان و قامت بدور هام مع حركة تمرد وكانت توزع استمارات في الشارع حتى سقط الإخوان واستعدنا الدولة منهم.

الأيام تمر وحياتي على كف عفريت وخلال أيام سأخرج على المعاش وسأكون في مهب الريح ولا أعرف كيف أتطبع مع الحياة، وهل من الصالح لي أن أعود للبلد أم أظل هنا في شقة التجمع بجوار أصدقائي وأحبابي خاصة أنني قطعت علاقتي بكل أصدقائي ولا أريد أن أصادق أحد من أهل البلدة، المشكلة أنني أيضا لا أعرف أحداً من جيراني، ولا أحب أن أجلس على المقاهي وأصرف مبلغ كل يوم عموما الزمن كفيل بحل كل شيء علي الآن أن أكف عن التفكير في كل شيئ خاصة أن دوري محصور الآن في الحضور بدون عمل ولو أنني تركت المقر ولم أعد لن يسأل عني أحداً ولذلك سأظل هنا حتى يتم إصدار قرار إحالتي على المعاش ...

النكرة

كدت أتبول على نفسي عندما اتصل بي الضابط وجيه وقال: أن الشاب الإيطالي مات قلت له: كيف ذلك؟

قال: تعرف مجرد حادثة، قلت له: الطليان سيقلبون الدنيا قالك ربنا يستر قلت له: ممكن أمر على حضرتك، قال: لقد أرسلوا لنا الجثة وطلبوا التخلص منها، وأنا أنتظر الضابط رأفت لكي نخفيها، قلت: خلاص أنا جاي.

أغلقت الخط وركنت التليفون على الكومدينو وفتحت النور كي أوقظ زوجتي لكي أعرفها أنني خارج ولن أعود إلا في الصباح ولكنها ظلت نائمة، فبمجرد أن تنام ولا الطبل البلدي تصبح مجرد جثة لأنها بدينة وأي مجهود تبذله يرهقها حتى أنني وجدتها مرة نائمة على بسطة السلم، فقد كانت عائدة من السوق والشقة في الدور الرابع فجلست تستريح فلم تستطع أن تقوم كانت تغط في النوم وتشخر فاتحة فاهها، كدت أجن صرخت فيها: فقامت مذهولة، أخذت أسب لها وهي غير قادرة على الحركة، ولا الرد حتى تركتها وأنا في قمة الغضب، معقول هذه التي كنت أفخر أمام أهل المنطقة بأني تزوجتها تصبح في النهاية كتلة لحم رهيبة غير قادرة على الحركة لدرجة أنها تظل شهور داخل جدران البيت، وعندما تخرج تعود شبه ميتة وتظل تقوم من النوم لتنام مرة ثانية، الكثير اقترح علي الزواج مرة ثانية ولكنني رفضت لا طاقة لدي للهري ووجع الدماغ، أنا في دوامة مشاكل النقابة ومشاكل الأولاد، فلو تركت لزوجتي مسؤولية الأولاد، فسينتهي حالهم للتشرد والصياعة فهي لا شخصية لديها فقط تقوم بالحد الأدنى من الواجبات المنزلية، أنا من يتابع دروس الأولاد، فهي شخصية ضعيفة عندما أراها تضرب ولد من الأولاد أضحك، فهي يادوب أطراف أصابعها تمس أجسامهم بالكاد يا وله، أنا كل يوم ضرباك جسمك نحس من

الضرب واللي فيك فيك، مفيش فايدة ووجهها يزهر ونفسها يتقطع أنا مش عارف أيه اللي غيرها كده، وجعلها مكتئبة لا تفعل شيء في الحياة سوى النوم معرفش بتودي النوم ده كله فين؟ أنا يا دوب أنام ساعات قليلة أما بالنسبة للجنس فقد توقفت عن ممارسة الجنس معها منذ فترة طويلة، لا ترفض أبدا ولكن خاملة تستجيب وكأنه واجب عليها لا أكثر، وعندما تجدني تعس وبي غضب بعد الممارسة أجدها منكسرة وتشعر بالذنب في ساعات الصفاء عندما أتطرق لهذا الموضوع تقول والله ما لي غرض من الموضوع ده خالص، أنا استكفيت ساعات أقول أنني السبب وأكيد أنها لا رغبة في بسببي أنا ولكني أعرف أنها تحبني جد، ولديها رغبة دائمة في إرضائي لذلك حليتها مع نفسي حيث كل فترة أقابل واحدة مختلفة من بائعات الهوى طبعا أعرف خريطة هؤلاء النساء وأنتقي منهم ما يناسب ذوقي، أنا لا أعرف لماذا الدولة ألغت بيوت البغاء، هذه البيوت كانت تقوم بدور جد خطير لصالح المجتمع، ولكن ماذا نفعل للساسة الأوغاد وحاملي الفضيلة.

ارتديت ملابسي وأخذت تاكسي نزلت القسم حيث مستقره الأخير بعد نقلة من مستشفى القبة العسكري، ولكن بعدما سار التاكسي فترة قلت: أنا مالي، لماذا أورط نفسي أكثر من ذلك أنا يكفي علي الهم اللي أنا فيه؟ أمرت التاكسي بالتوقف وذهبت إلى مقهي في شارع المعز أتردد عليه عندما أواجه مشكلة، جلست على المقهى وطلبت شاي ثقيل وأخذت أفكر في الموضوع، هل من الممكن أن يتم توريطي في الموضوع، فمستبعد أن يمر الموضوع على خير، لو مصري ما كنت فكرت في الموضوع فلا حقوق للمصري، مجرد نكرة يتم التعامل معهم بالجزمة ولا أحد يقدر على النطق، شعب سلبي جبان، شربت الشاي وغمزت للنادل فعرف أنني أريد الخلوة، تركني فترة ثم غمز لي فسرت ورائه ودخلنا بيت ملاصق للقهوة وصعدت حتى السطوح دق علي الباب دقات مميزة فتح الباب شاب أسود قصير القامة وله ابتسامة بشوشة، أعرفه من زمان ولد جدع بشوش لطيف رحب بي ترحيب مبالغ فيه وجهز لي مكان في زاوية البيت، كان متناثر على السطح مجموعات تتكون بين ثلاثة إلى خمسة كنت أعرف البعض وبعضهم أشار لي لكي

أشاركهم ليلة الحظ ولكن كنت مكتفي أريد أن أشرب وحدي لا قدرة لي على المشاركة، فالقادم أسود وطموحي للمشاركة السياسية والفوز بمنصب القوي العاملة في يوم من الأيام ضاع هباء بسبب ناس لا تعرف شغلها شوية جهله كنت محطم فعلا ومرعوب حد الجنون فلا طاقة لي بالسجن، فبمجرد إدانتي يضيع مستقبل أولادي فهم في النهاية أطفال صغار وزوجتي تغرق في شبر ماء ورغم أن دخلي كبير ولكن أيضا مصاريفي كثيرة جدا، ما بين مصاريف الأولاد والدروس الخصوصية الباهظة التكاليف ومصاريفي وانتقالاتي والمزاج واقعة سوداء كان يوم أسود يوم رأيت وجه البومة هذا، ولكن قدر الله وما من قدره هروب.

أخذت أشرب حتى أذن الفجر فتوقفت وحاسبت على ما شربت من حجارة، لم أكن منتبها جيدا ولكن كنت متماسك عندما وضعت رجلي على درجة السلم فلم أقدر مسافة الدرجة وسقطت على السلم وأخذت أتدحرج حتى اصطدمت بالحائط، وقوعي جعل الحشيش يتبخر وأفوق كانت رأسي قد أصيبت بجرح بسيط ورجلي كانت أصيبت بتمزق ولكنني كنت قادرا على السير، بعد أن قام بعض الحضور بحملي ولكني شكرتهم وقلت أنا بخير، سرت أعرج قليلاً وجلست على المقهى أنتظر النادل يحضر لي سيارة تاكسي، ثم طلبت كوب شاي ولم أنته منه وجدت التاكسي يقف على باب المقهى، شكرت الجميع مع أنه لا أحد كان على المقهى سوايا أنا والصبي وركبت السيارة وقلت له على وجهتي وصلت إلى البيت وتحاملت على نفسي حتى صعدت للدور الرابع وظللت أطرق الباب حتى قام ابني وفتح الباب، دخلت مباشرة على السرير واستغرقت في النوم حتى العصر، عندما قمت من النوم وجدت قدمي قد تورمت انزعجت جدا وانزعج الأولاد وفي المساء اتصلت بأخي مظهر فجاء إلي وتساندت حتى الشارع وذهبنا للطبيب الذي وجد أن قدمي قد كسرت وقام بتجبيرها وطلب مني أن أظل في البيت شهرا كاملاً، أتابع أعمالي من خلال التليفون ومتابعة قضية الشاب من خلال الإنترنت والتليفزيون الغريب أن هناك مصريين أولاد قحبة يتمنون لنا الشر ويريدون من إيطاليا الثأر للشاب على جثة مصر والمصريين شوية خونة أوغاد ليسوا مصريين أبدا ولن يكونوا وهؤلاء ليس

جماعة الإخوان فقط للأسف، ولكن الملاحدة والشيوعيين والعلمانيين والماسونيين الدين يستغلون السوشيال ميديا لطعن مصر من الخلف.

(٢)

أنا مجرد بائع متجول لا أكثر، لذلك كدت أجن عندما عرض التلفزيون المصري لمحادثة بيني وبين الإيطالي فضحوني أولاد الحرام وأظهروني للناس بأني مجرد شخص مرتزق يريد أن ينصب على الشاب ولما فشلت سلمته للحكومة.

طيب أنا مخبر ابن كلب سافل وقمت بخيانة الواد البريء ده صح، هو أنا اللي قلت لكم أقتلوه يا باشا أنت وهو أنا راجل على باب الله مجرد عصفورة بالنسبة لكم، كان عليكم أن تقوموا بالتحقيق معه بطريقتكم بريء أفرجوا عنه مدان حولوه للمحكمة والقاضي يحكم عليه ويسجن لكن تخدوه تسعة أيام وترموه في الجب تسلخوا جلده وبعدين تعلقوا الموضوع في رقبة أبو أشرف هو أنا لي أي لازمة عندكم، وحدوا الله بقى، أحنا شفنا كده في الدنيا، أنا عامل مداس للحكومة يقوم أترمط كده والناس تشمت ويتغامزوا عليه وبتبص لي نظرة وسخة عموما أنا أحد يقدر ينطق معي، لكن وليه أساساً عارفين ليه أنتم ضحيتم بي لأن لا سند لي لا أبي ضابط ولا أمي قاضي و لا أخي إعلامي كبير في التليفزيون.

طيب، علي الطلاق من مراتي أي عيل صغير عارف أنكم أنتم اللي قتلتموه، طيب أنتم ما قتلتوش الولد لقيتوا فين أغراضه أيوه بعد ما قتلتم خمسة مصريين وقلتوا أن دول هما اللي قتلوا الإيطالي وقلتم إحنا لقينا عند شقيقة المتهم أغراضه وطلع كلامكم كذب في كذب وطلع فشنك والطليان ولا خال عليهم والنائب العام طلع بنفسه وقال: أن الخمسة لا علاقة لهم بالشاب، طيب حق الناس دي فين؟

يا جدعان أقسم بالله لو فيه نظام لكنتم أتعلقتم من الخصية مش عشان القتل لا

بل بتهمة الغباء دا موضوع ريجيني ده طلع فيلم لإسماعيل ياسين مش في مخابرات لدولة كبيرة مثل مصر ومحترفة في التعذيب والقتل والإخفاء القصري والإغتصاب والقبض على النساء من أجل تسليم المشتبه دا أنتم لو شاورتم للعيال البلطجية كانوا ضربوه علقة موت وكان روح بالسلام على أمه والفاعل مجهول، تم الإعتداء عليه بغرض السرقة مين كان يقولك لا ده إعتداء ليس بغرض السرقة ويحصل في أي مكان في العالم خاصة في المدن، أجنبي معه دولارات تغري أي شمام يشرط رقبته بمطوه ويقلبه ويختفي، خاصة أن الواد غلبان كان مدي أمان، وماشي كده في الشارع وفي مناطق مشبوهة تخوف.

اللي غلط يتحاسب وأنا الوحيد في الموضوع اللي عملت شغلي مضبوط، عليهم بقى يحاسبوا الحمار اللي بوظ الموضوع، لكن تقول إيه في شعب تعود يعض في البردعة ويسيب الحمار اللي رفس، يعني كل الأفلام دي خوف من الكبار في الأمن، ولو الموضوع مشكلتي لتم تعليقي في ميدان رمسيس، أنا مش عيل صغير يا جماعة عايزين تضحوا بي عادي والله ما عندي مشكلة لكن في الأول لاغوني، قولوا تعالى يا أبو أشرف الموضوع كيت وكيت ونسويه، أنا أضحي عشان مصر وعهد الله لو قالوا لي ضع رقبتك تحت قطر ما أتأخر، لكن إصح من النوم أجد كل الناس مورهاش إلا أبو أشرف طلع عصفورة وكان السبب في قتل شاب زي الورد، ثم هل دي أول مرة أسلم حد وهل كنت أبقى نقيب للباعة الجائلين لو أنا معارض للنظام أنا عامل ضهري مداس للشرطة عشان أحمي العيال الغلابة اللي شايل بؤوقه على ضهره وسارح في الشارع يصرف على أسرته أو البنت اللي بتبيع ورد، ولا الست العجوز إلي تستجدي الناس على المقاهي عشان يشتروا مناديل وتروح لأولادها آخر النهار يسدوا رمق ناس ضائعة في الحياة، مقدمهاش غير ده أنها تدور من شارع لشارع وتريق وجهها للي يسوي واللي ما يسواش، ثم أن دول ملزومين من الحكومة شوفوا للناس وظائف بدل البهدلة وقلة القيمة، طبعا أنا ما بتكلمش على الأونطجية وتجار المخدرات واللصوص، دول الشرطة تعرفهم بالاسم وساعة زمان تلمهم في شوال وترميهم في السجن.

وعلى رأي المثل، لو نسيتم اللي جري هاتوا الدفاتر تتقرا من وقف معكم ضد العيال بتوع ٢٥ يناير، إحنا مين وقف معكم ضد الإخوان إحنا، أيد بأيد والآخر في رمسيس ومسجد الفتح والعتبة، هرسناهم بقينا نزحفهم على الأرض ضرب، وزعنا ورق حملة تمرد وكنا ساعتها سمن على عسل، فيه إحترام وتقدير، البيه الضابط يستقبلني في القسم، أحسن استقبال وطلباتنا يهتموا بيها وأحنا ما خلصناش عيون البيه الضابط وأذانه، ومحافظين على مؤسسات الدولة والآخر طلعنا إحنا حراميه وبلطجية وشممين وتجار مخدرات وتستعدوا الناس علينا.

ده كلام يرضي ربنا، الأول نسمع منهم إننا شركاء في الوطن وكلام آخر جمال وكل ما نطلب طلب يقول لنا بأدب مش وقته عشان مصر بمجرد ما تستقر الأمور كل طلباتكم أوامر، والآخر ألاقي مجهزين لنا خازوق مغري ويتم إصدار قرار بنقل الباعة الجائلين للترجمان، نقل الباعة الجائلين من رمسيس إلى سوق «أحمد حلمي» ومين اللي يقطع المسافة من رمسيس عشان يشتري مننا مكانا في رمسيس حق تاريخي ورثناه أباً عن جد أنا مثلا والدي وجدي كانوا من بائعي الصحف، يعني هو أنا أذعنت وعملت بائع صحف لأني غاوي أبدا مهنة الصحافة أساسا لمت وبقت حاجة في منتهى الحقارة، يعني الواحد يقوم بدور قذر وياريت فيه فلوس لا نمسح لهم وساختهم ونلمعهم والآخر نبات على الحميد المجيد، أما شغلانة الباعة فمصيبة سودة لا تقل سواد وطين عن عمل الصحافة فنحن محاصرون بين لقمة العيش وبين عصا الداخلية لذلك طول عمرنا بنسعي لكسب ودها ما هو إحنا ليس لنا ضهر في الحياة، خاصة بعد الحكومة ما ضغطت على أصحاب المحلات بالإبلاغ عن أي بائع متجول يعمل بالقرب من محلاتهم وإلا سحبت الحكومة تصريحاتهم وسعيًا للبقاء في الشوارع وتفادي مضايقات الشرطة، كان علينا عقد صفقة مع الشرطة، لتكون شبكة الباعة الجائلين في الشوارع شبكة مراقبة طبيعية من المخبرين المتواجدين في كل ميدان ومربّع سكني تُبلغ قوات الأمن بأي نشاطات مريبة نبلغ عن لصوص الشقق والإخوانجية والأجانب نبلغ عن كل شيء وكله من أجل لقمة العيش

المغمسة بالذل والإهانة والمرمطة، وعلى فكرة بقي ده شرف لينا أن نقوم بهذا الدور أن نكون عيون لحماية البلد هو كونا نساهم في الاستقرار وزيادة الأمان للمواطن ده يبقي وحش أبدا أنا مواطن صالح وبقوم بدوري ولو كل مصري قام بدوره مصر دي تبقي بلد الأمن والأمان بصحيح، نستفيد طيب وماله إيه الغلط في كده ده إحنا المفروض يكون لنا مرتبات من وزارة الداخلية مع أن العكس هو اللي بيحصل، وأن الباعة بيصرفوا عليها، وياريتنا عاجبين كل شوية تقوم حملة علينا وما تسمعش إلا كلمة لمّ، لمّ، وعبي البضاعة في الشولة واجري في مسجد الفتح أو في الحوارى الضيقة في وسط البلد أو العباسية أو غيرها من الشوارع والميادين.

أنتم عارفين يعني إيه واحد ضابط أو أمين يأتي لمناسبة عندي في الحته، فتح لي أبواب يعلم ربنا لو عشت مائة عام ما تحصلت عليها مش بس أبواب رزق من الهواء لا وهيبة وكرامة ومعارف وكل المشاكل اللي فوق دماغه تتحل وتصبح الأمور سهلة وتعيش حياتك في أمان ودي مش شوية وأنتم فاكرين لو أنا نشفت دماغي مع البيه الضابط ولا الأمين كانوا يكبروني وأبقى نقيب في وسط غيلان متوحشة وكله باللسان الحلو والكلمة الطيبة والكرم ما هو الناس دي تكره البخيل موت ويخدوا منه غصب عن اللي خلفوه طيب ليه؟ ماهو على رأي المثل أن جاك الغصب عده جودة وخلاص، ثم هو حد من الكبار في أي نقابة بعيد عنهم هو في النهاية راجل من رجالتهم وكل واحد درجة معينة، وكل واحد له مهام ينفذها وإلا يتمرمط بكرامته الأرض لحد ما يقعدوه في بيتهم، أنا كراجل بحتك بيه طول اليوم ما أردش الجميل طبعا أي واحد أصيل ومتربي على طبلية أبوه لازم يعمل كده هي الحياة كده خد وهات شيلني وأشيلك يعني حضرة الضابط سايبني مخالف ليه؟ عشان آخر النهار أرمي له عشرين ثلاثين جنية وفي النهاية أنا أسترزق وهو يسترزق، والحال يمشي

أنا لو ما بلغتش عن الإيطالي كان ألف غيري يبلغ، والداخلية تعتبر دي غلطة وتحاسبني عليها الناس مش عارفة حاجة وفكريين أن أنا بلغت عنه لأنه لم يدفع لي

١٠٠٠٠ آلاف يورو طيب إزاي وأنا بسجل له الحوار بأمر من أمن الدولة يعني لو هو وافق ورمى الفلوس في حجري كنت أقدر أمد أيدي عليهم كانوا قطعوا أيدي ورموها للكلاب أنا بنفذ كلام وجيه بيه وكل كلمة قلتها له، مش من دماغي دي مكتوبة لي بالحرف وذاكرتها عشان لا أغلط في حرف وكنت في غاية السعادة وأنا بسحب الولد عشان يخاف جواه، طيب كنت منتظر على أحر من الجمر أنه يطلب تجنيدي دي كانت صفقة رابحة أني أقوم بتسليم جاسوس لأمن الدولة، وكانوا يعملوا مني بطل زي رأفت الهجان وجمعة الشوان وممكن يعملوا مسلسل أو فيلم عني ولكن لم يحدث للأسف وربطوني به باعتباري حتة مخبر بتعريفة، أيه الحظوظ الخره دي، وبعد ما كان الجماعة بتوع مدينة نصر طيرين بي ووعدوني بهدية كبيرة قوي أنا بصراحة كان لي طلب شقة في مكان مميز دلوقت مش طايقين يبصوا في وجهي، مع أني لم أقصر، ومن أول ما الست إلهام أتصلت بي وعرفتني بيه وأنا ببلغ الرائد وجية بكل حرف وهو اللي وصل الملف لأمن الدولة، ولما طلب مني الرائد وجيه أن أذهب لمقابلة اللواء السعيد كنت طائر من الفرح، هذه ترقية، أن أتعامل مع الكبار في أمن الدولة، عش عسل النحل في البلد، ولما قابلته رحب بي وشكرني على سرعة تنبيه الرائد وجيه لهذا الشاب، وطلب مني كتابة تقرير وإحضاره عن كل مقابلة وطلب عدم نسيان حرف مما يحدث ولأني عملت بالصحافة فترة في حياتي فقد كان كتابة تقرير عن ما يحدث شيء بسيط، لقد كتبت تقارير كثيرة قبل ذلك من خلال جريدة الأنباء الشعبية والتي تعتمد في توزيعها على الإثارة مثل «أقرأ الحادثة.. مطرب مشهور يلقى القبض عليه وهو سكران طينة.. ضبط ممثلة شهيرة في وضع مخل.. خط الصعيد يهدد الأهالي، سقوط عصابة تبادل الزوجات في الجيزة.. القبض على فلانة في بيت دعارة.. رجل أعمال يستولي على ١٠٠٠ فدان في أخصب منطقة في الجيزة إلخ» كما استخدمها مالكوها لابتزاز رجال الأعمال من خلال نشر وقائع فساد والإكتفاء بذكر حرف، أو اثنين من أسمائهم وتلميع الوزراء والدفاع عنهم ورغم أن أصحاب الجرنال كسبوا ملايين ولكن محررو الجرنال كانوا يحصلون على فتات عمل ليل نهار وفي النهاية

يحصل معظمهم على ٥٠٠ جنية لا تكفي ثمن المواصلات أما رئيس التحرير ومدير التحرير التنفيذي فيأخذ هبره كبيرة ويعيشون كالملوك ونحن نتسول باقي الشهر، وحفيت للعمل في الجرائد القومية ولكن فشلت، فعدت لمهنة أبي والتي كنت أكرهها لدرجة أنني عملت على عربية كبدة عند الحاج رجب من ٨ مساء لـ ٣ صباحا والحاج رجب ده حكاية كبيرة قوي بدأ من الصفر وأنتهي رجل أعمال كبير وسياسي كبير وعضو مجلس شعب واشتري أرض وعايش باشا وده كلة منين؟ من رضا الداخلية عليه يابخت من كان النقيب خاله.

الذي يغيظني فعلاً في موضوع ريجيني أنه لا أحد قدم لنا كلام معقول عن سجنه وقتلة، كل واحد يقول كلام مختلف لدرجة أن اختلط عليّ الأمر وقلت أكيد الناس دي كانت شاربة مخدرات، وعاشت في غيبوبة طوال التسع أيام اللي قضاهم الولد في السجن حتى مات، أو يمكن والله أعلم أن الناس دي أتعرضت لكتابة أيوه كتابة سحر شيطاني خلى الناس دي تقتل الولد ولما فاقوا ضربوا كف على كف وقالوا غلطنا ونتصرف إزاي، وعك بقي أمال أيه؟ ما هو مادام لا يوجد لك هدف في القيام بالعملية، ستفشل مؤكد ستفشل، الخوف أن البقر دي تحولنا نحن للمحاكمة باعتبارنا إحنا المجرمين ولكن حظنا الجيد أن الطليان أذكياء ويعرفون جيدا من القاتل، ولكنهم يمسكون العصا من المنتصف، يلوحون دائماً بأوراق ضغط دون كشفها لأن كشفها عارية وصادمة وبالصوت والصورة سينحو بتحول راديكالي وبالتالي سيفقد الطليان أوراق اقتصادية وأمنية وعلاقة جيدة لذلك وضعوا سلة بها أسماء ضباط شاركت في تعذيب الشاب دون الإشارة للكبار للفاعل الأساسي في الموضوع لأنه غير مسموح بالمرة ذكر اسمه أنا مش خائف أبداً من الطليان ياريت يحكمونا في إيطاليا هي سجونهم دي سجون دي بالنسبة لحياتنا تعتبر فندق خمس نجوم

والله لو توليت إدارة وزارة الداخلية، لأخليها تمشي زي الساعة، الوزارة عايزه مؤهل مدني هارس الشارع ويعرف كيف تتعامل مع المصري، وعمر الضباط ما هيعرفوا المصري

كويس لأنهم تعلموا في الكلية أنهم فئة أرقى من كل فئات الشعب، وهناك انفصال بينهم وبين الشارع، طيب كيف تدير وزارة وأنت أساسا لا تعرف الناس ولا تعرف ميولهم وكيف يفكرون، لا تعرف كيف تتعامل مع الجانح، تستطيع حل ٤٠% تقريبا من مشاكل هؤلاء لو عرفت وزارة الداخلية كيف تتعامل معهم، كيف تنفذ إليه ومعرفة الباب التي تدخل منه إليه، أيوه كل واحد له باب وناس لها نوافذ وناس لازم تهدم حيطة عشان تتدخل لها منها، وتسيطر عليه، لازم تحفظ أسماء أبناء الحي اللي بتشتغل فيه وتحضر مناسبات خاصة ببعض من يستحق مش عشوائي بدل ما أنت لا يهمك كضابط إلا الشفط وتقليب المواطن والآخر ترمي مشاكلك وغباءك وعنصريتك عليهم وتختار أسهل الأساليب وهو التعذيب للاعتراف شغل مخك شوية يا حمار وأنت تكسب على المستوى الإنساني والمهني.

أنتم ساعدتوني حقيقي لأصل لنقيب الباعة ولكن لدي مؤهلات تجعلني أنفذ لكم وأنفذ لكل الباعة الجائلين وأتعامل مع المشاكل بكل هدوء دون أن أغضب أحد وأروح آخر الليل وجسمي مهدود لكن هذه ضريبة الطموح والرغبة في الوصول مع أن الحياة لم تكن سهلة أبدا معنا فليس لدي عائلة كبيرة تحميني فقد ولدت لأب سوداني عاش في الخرطوم ثم ذهب للسعودية للعمل هناك ولكنه لم يستمر وحصل على تأشيرة للسفر لمصر وهناك استقر وتزوج أمي وهي من النوبة وقد نزحت للقاهرة بعد تشييد السد العالي وقد عشت طفولة غاية في القسوة وقد نلت من الأطفال في المدرسة عنف، فقد كنت الطفل الوحيد الذي يسهل الإعتداء عليه، ورغم أنني كنت مسالما ولكن إعتداءاتهم المتكررة جعلتني أقابل العنف بالعنف، حتى أجبرتهم على عدم الإعتداء ولكنهم كانوا دائما ينعتوني بالعبد الظربون، وعندما قلت لأبي ذلك أخذ يطبطب علي ويقول لي عليك أن تحتمل وتكون قويا من الداخل وتصمد حتى تتفوق وترتقي من خلال التعليم وتثبت لهم أنك الأجدر بعقلك، وعندما ألححت عليه لمعرفة الظربون قال: أنه يقصد تشبيهنا بحيوان الظربان لغلبة لونه الأسود ورائحته الكريهة جدا، ولكنني لم تكن لدي رائحة كريهة، أو البواب ابن البواب مع أن أبي لم يعمل كبواب ولكنه كان يعمل بائعاً للجرائد وكلما قلت

لهم ذلك لم يبالوا، وقد كنت متفوقا دراسياً ورغم ذلك أجد تعنت في كل مراحل حياتي من المدرسين وكانوا يتحينون الفرصة للسخرية مني ومن ملابسي القديمة ومن شكلي ودائماً هناك سبب ليزفوني بالهتافات، لذلك طوال عمري أحاول أن أعرف كل من أتعامل معهم وكيف أنفذ إليه ورغم ذلك هناك أماكن لا أعرف لماذا لم أنجح في العمل فيها، لماذا لم أخترق مهنة الصحافة رغم تفوقي ورغم ذكائي وحنكتي، نافذة مسدودة ولا أعرف كيف ينفذ أنصاف المواهب من لا يعرفون كتابة خبر صحيح أو تحقيقا أو مقالا من ١٠٠ كلمة أو حتى يكتبون بلغة عربية سليمة، أكاد أجن فعلا. عيال غاية في التفاهة وتجد رئيس التحرير يركبهم عليك، وتكون مرؤوس لهم، مع أنك تقوم بكل العمل بدلاً منهم وتعيد كتابة الأخبار والمواضيع.

يا جدعان المواضيع النسائية الخاصة بالصحافيات أنا من يقوم بكتاباتها وصياغتها حتى هذه لا يعرفون كتابتها، والآخر يقول هؤلاء أن مهنة الصحافة تنحدر، من ماذا؟ من العك اللي بتعكوه ومن عابري السبيل الذين لا يعرفون الألف من كوز الذرة الذي يتم ووضعهم في أماكن ليست لهم.

الصراحة جوليو ذهب ضحية خوفنا لست وحدي في ذلك بل كل الباعة الجائلين كانوا رغم حبهم له مرتابين فيه ويخشون الكلام معه بصراحة بل كانوا يهربون منه عندما يبدأ الحديث معهم خارج الأمور الإعتيادية الطعام والشراب والحكايات الطريفة ولكن بمجرد ما ينتقل للكلام عن الحكومة أو النظام تجدهم، يختفون بصنعة لطافة خاصة أنه يتكلم عن ما حدث في ٣ يونيو بأنه إنقلاباً عسكرياً يتكلم بجرأة تجعلنا مذعورون، صحيح هو لا يحرض أحد ولا يتعمد أن يتكلم في السياسة ولكن عندما يأتي الحديث بالصدفة عن أحداث سياسية لا يحجم عن الكلام، يقول ما يعرف ومحدد وباختصار أظل طوال الوقت أتلفت حولي متوجساً من سماع أحد من البوليس، وعندما أتركه أقوم متصل فورا بالسيد الرائد لأحكي له ما حدث أنا أريد أن أكون دائما وأبدا في عين البوليس "براءة" أنا مش حمل قرصة من البيه الضابط.

وعهد الله نحن مظلومون فلو هذه البلد له نظام طبيعي، انتخابات وديمقراطية وحرية ما كان حدث أي شيء ماالذي يفعله جوليو مجرد أبحاث عادية معمول بها في كل العالم ولكن هذه الدولة ما بعد العالم الثالث تريد أن تخترع عدو تريد أن تفقد المواطن الثقة في نفسه وأنه مستهدف من العالم كله، لكي يظل خانعاً خائفاً وإذا أردت أن تسيطر على شعب أجعله في خوف دائما، أجعل كل هدفة النجاة بعمره أجعل من هذا الوطن "إله" مجرد مسه، يعني أن كل العالم الذي يعرفه سينهار وسيقضي عليه، أنت عارف يعني إيه غياب القائد والزعيم، أن يتم احتلال البلد والاستيلاء على أرضك واغتصاب زوجتك وقتلك وتدمير مستقبل أولادك، مع أن النظام نفسه يقوم بذلك وأفضل من أي احتلال فهو مجرد متعهد محلي، مثله مثل الوالي في العهد العثماني حيث دوره جمع الضرائب من خلال الملتزم وإرسالها للسلطان العثماني راحت أيام الوالي العثماني، وجاء الأمريكان وروسيا وأوروبا ليستنزفو هذه البلاد من خلال الحاكم المحلي الضعيف، أنا عارف كل شيء لكن وماذا يفيد الكلام لن يتغير شيء هو أنا كنت ضد "محمد مرسي" لا وعهد الله، أنا أديته صوتي في الانتخابات وقلت بتوع ربنا ومؤكد هم أحسن من العصابات اللي حكمة مصر والذي تتركز في مجموعة عائلات خرج بعضها من قاع المجتمع وامتزجوا مع العائلات القديمة الإقطاعية وسيطروا على البلد بقبضة من حديد وكان أملي أن يتم تفتيت هذه العائلات ودخول أولاد الفقراء الكفاءات في سوق العمل والحكم والمال لنصنع نهضة مصر، مصر التي تستحق أن تكون في مقدمة الدول الحديثة، لأنها دولة عريقة وحضارية وتملك إمكانات بشرية وطبيعية تؤهلها لذلك، ولكن فشلوا نعم فشلوا في صد هجمات الطغاة وصغار الثعالب، وكان عليهم، إما الإنسحاب بشرف أو استخدام القوة المطلقة، نعم، لا حل مع هذه الكيانات إلا بالدم هل يعني كانت ستنجح ثورة يوليو لو خرج الضباط عرايا في ٥٢ وقالوا سلميتنا أقوي من الرصاص، كان حرس الملك والبوليس السياسي والجيش الموالي للملك سحقهم على إسفلت الطريق باعتبارهم عصاة وكونوا تنظيم إرهابي مسلح لقلب نظام الحكم، وكان تم تعليقهم على أعواد المشانق في ساحة

القصر والملك يضع السيجار في فمه ويقول: عصاة، فلاحين، همج وعلى رأي شاعرنا العربي المتنبي: السيف أصدق أنباء من الكتب، الكتب هنا بمعنها الإكتفاء بالنظر دون القدرة على خوض المعارك على الأرض، طبعا المصريين خدوا بيت المتنبي بعد كده واستشفوا منه، أن العلم في الرأس مش في الكراس، يا شعب ففكرة أنك تحسس على ده وتخاف من ده وتخاف على ده يبقي تقعد في بيتكم تبيع عسلي، إحنا أعصابنا مش حطينها في كيس شيبسى، ثورة ومش ثورة والآخر تقلب بدم وأرواح ناس تهدر وأطفال تيتم وأرامل ووجع قلب وهد بيوت وتشريد وسجن وظلم وطغيان أكثر وعنصرية وتنمر وفاشية. غبية تضرب بعنف وهباب أزرق ولما وقفت في الميدان كان يجب أن يكون درس سياسي عميق تنجح فيه بقوة مزلزلة، يكتسح كل الأوغاد في المنطقة جرافة عتية تزيل كل الأوثان وتعيد تنظيم الحياة والناس في بوتقة جديدة.

في رابعة ماذا فعلتم؟ حولتم الميدان لكرنفال لمولد الحسين وسوق عكاظ للشعر العمودي والإنشاد الديني، وجاء لكم الأتباع من القرى باعتباركم المخلصين والمدافعون عن الدين من أهل الدين، تدفق طوفان من الفقراء والمرضى وحاملي السبح والدراويش وأهل الطريق وفي النهاية العدد في الليمون وعدتموهم بالنصر ولم ينالوا إلا المسالخ والسجون والقتل والتشريد، أن مش بقول أنكم لم تنالوا من المأساة جانب كبير ولكن الذي نال القسم الأكبر من المأساة هم هؤلاء الأبرياء الذين صدقوا كلام المنصة من شوية أوغاد سفلة وتصوروا أن الدولة الإسلامية بين قوسين أو أدني.

من أول إطلاق الرصاص على المصلين في الحرس الجمهوري، كان عليك أن تدرك أن هؤلاء اتخذوا قرارا لا رجعة فيه وهو الدم، قادر على المواجهة أهلا وسهلا قاوم غير قادر كان عليك أن تخفف خطابك الراديكالي وتنسحب تدريجياً ولكن لجمود وغباء في الفهم اندفعت عاريا تواجه الرصاص وكان لديك تصور مادام الكاميرات موجودة أنها لن تستطيع الفض بالقوة، لأن العالم المتمدين المتنور لن يسمح بمذابح، من قال لك هذا الكلام أيها الأبله الرخيص، العالم الغربي خاض حروب مات فيها أكثر من ٧٠ مليون نسمة، وهندس

مذابح في إفريقيا وقضي على الهنود الحمر ولا يؤمن بشيء سوى القوة، غير ذلك لا يري لا يسمع لا يتكلم، ليس هناك تنوير وعدالة في الغرب، ولا تحررا من حصل عليها حصل عليها بالدم، لذلك يحق له أن يعيش حر داخل بلدة، لكن من أنت؟ أنت عدو تقليدي سواء أردت ذلك أو لم تريد الغرب يعرف القوة الكامنة داخل الإسلام أكثر منك ألف مرة، يري عضم الإسلام الجوهري حيث المساواة الحقيقة لكل البشر العدالة التقشف وضبط النفس التضحية البساطة والبراءة الأولى، تحطيم الأوثان وثن السلعة والشراة والطغاة الصغار.

لذلك يتم جره من أوغاد من رجال الدين في مناطق هامشية، أو لوي عنقه أو استثماره لصالحهم ولصالح رغباتهم المسعورة في الشهرة والمال.

ولكن الحقيقة أن الريح قوية جدا ولا يستطيع أحد مهما أوتي من قدرة على مواجهة هذا التكتل المحمي بالمال والسلاح والدعم الغربي، مهما كان لذلك أن عرفت القوة الحقيقية وانضممت لها أنا مع الرائجة بلا مبادئ بلا زفت من وقت إيه المبادئ كانت بتوكل عيش لذلك نعم أطبل للجيش لأنه ظل لنا وهو الحامي وسأظل أطبل له إلى الأبد ولو طلب مني أن أرمي نفسي تحت عجلات القطار لن أتأخر لأن في هذه الحالة أنا ميت، ميت.

هوامش

١- ديكلان والش / ترجمة: أحمد شاكر عن النيويورك تايمز

٢- المنعطفات الغريبة في قضية اختفاء جوليو ريجيني في القاهرة

٣- تحقيق جوليو ريجيني».. حقائق مبعثرة اختفاءٌ فتعذيبٌ فقتلٌ .. قصة حياة إيطالي في القاهرة أحمد رجب، مصطفى المرصفاوي

٤- المعهد المصري للدراسات تقارير متابعة قضية ريجيني في الإعلام الإيطالي عادل رفيق

٥- وثائقي | تسعة أيام في القاهرة... من قتل جوليو ريجيني

٦- الحياة في المملكة المتحدة: جوليو – من إيطاليا إلى لندن

١٠- ٧ سنوات بعد ثورة يناير: (٢) ترسيخ الهيمنة د.عصام عبدالشافي

١١- النظام المصري ومعضلات إعادة تأسيس السلطوية عمرو عدلي

١٢- السلطوية منخفضة التكاليف: نظام السيسي والحركة العمالية في مصر منذ العام ٢٠

١٣- الصحف العربية والعالمية التي قامت بتغطية وفاة الشاب.

الفهرس

العنوان	الصفحة
اهداء.....	٥
كلمات مأثورة.....	٧
الشاب الايطالي.....	٩
منصور السعيد	١١١
ابراهيم خير الله.....	١٧٣
النكرة.....	٢٢٥
الهوامش.....	٢٤١